

الأصول الثلاثة

للإمام المحدث
مُحَمَّد بن عَاصِل بن وَهَّاب

- رحمه الله تعالى -

شرح شيخنا الفاضل العلامة

أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّد بن بَازٍ مَوْلَى

- حفظه الله -

الدرس الأول

من

شرح الأصول الثلاثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَلَا وَإِنْ أَصْدَقَ الْكَلَامُ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَشَرُّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ
فِي النَّارِ أَمَّا بَعْدُ

فمن نعم الله على المسلم أن يوفقه الله ﷻ لطلب العلم
والاشتغال به عن سفساف الأمور، قال ﷺ (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا
يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)، وقال ﷺ (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا
سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ) .

بل؛ بين النبي ﷺ أن طلب العلم واجب على كل مسلم ومسلمة
حيث قال ﷺ (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ)

قال العلماء :

المراد بالعلم هنا في حديث النبي ﷺ العلم الذي يحتاج إليه المرء
لعبادة ربه في يومه وليلته وليس المراد أن يكون كل المسلمين
علماء ؛ وإنما المراد أن يكون المسلم بصيرًا بأمور دينه يعمل بعلم

وبصيرة ؛ ولذلك فمن الخطأ الذي يقع فيه بعض المسلمين هدايا الله وإياهم للصواب ؛ أنه يظن أن العلم ليس من شأنه وأن طلب العلم إنما هو لأناس مخصوصين وهذا خطأ ؛ إذ أن الله ﷻ يقول : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٣) ١ فأمرنا ﷻ بسؤال العلماء والرجوع إليهم وهذا هو العلم وهذا هو التعلم وهذا هو التفقه في دين الله ﷻ .

فالمسلم الذي يهتم بالعلم الشرعي الذي حثه الشرع على تعلمه يكون على خير كبير ويكون في راحة بال - بإذن الله تعالى - ويرجى له الثبات - بإذن الله تعالى - على الحق .

فطلب العلم والاشتغال به خير كبير وخير كثير، وأما الاشتغال بالدنيا والاهتمام بها فلا شك أن بعض المسلمين يهتم بأمر الدنيا ويهتم بما يتعلق بها اهتمامًا بالغًا مفصلاً في الوقت الذي قد يكون من أبعد الناس أو من أجهل الناس عن العلم بأمر دينه وكيف لا يقع في ذلك والنبي ﷺ أخبرنا (بِأَنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاه) .

والعلم داخل في ذكر الله وما والاه فأى سعادة للمرء حين يُوفق لطلب العلم الشرعي فيبتعد عن حال الجهال الذين أضاعوا أوقاتهم فيما لا منفعة تعود عليهم وقد ذكر النبي ﷺ أن بعض الناس يتحسرون ويندمون على مجالس لهم في الدنيا مضت لم يذكروا فيها الله ﷻ فيبتعد طالب العلم عن حال الجهال كما يبتعد أيضًا عن حال المتعصبين الذين لم يرفعوا رأسًا للعلم ولا للحجة

(١) سورة النحل (43) .

ولم يحترموا الأدلة وساروا خلف من قوله ليس بحجة وألبسوه لباس المحجة - ولا حول ولا قوة إلا بالله - .

فطالب العلم يترفع عن هاذين الحالين ويحرص على الدليل ويحرص على أن يأخذ العلم من أهله المعروفين به الذين ورثوا سنة النبي ﷺ علماً وعملاً قولاً وفعلًا واعتقادًا ونحن في هذا الصرح العلمي (**معهد الميراث النبوي**) نقتفي ونتبع الحق والدليل ، وهو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام ونسير على ما سار عليه أئمة الدين ونرجع للعلماء الصادقين العاملين ؛ العاملين بعلمهم ونتبعهم في الحق الذي هم عليه ولا نتعصب لأحد فكل يصيب الحق ويخطئ .

كل يؤخذ من قوله ويُرد إلا الرسول ﷺ كما نحرص في هذا الصرح العلمي أن نحذر من الفتن وأهلها وأن يجتنب المسلم الفتن وأن يجتنب حال الفتانين الذين يثيرون الفتن والقتال بين المسلمين ؛ الذين يطعنون في السلفيين ؛ الذين يمشون بالنميمة فيحذرون من أهل الحق ؛ الذين يكذبون ويفترون على أهل الحق ؛ هذا من حال الفتانين ؛ أهل ظلم وبغي وفساد في الأرض فهم يفرقون بين المسلمين في وقت قد اجتمعت كلمتهم أو قربت فإذا بنا نرى بعض هؤلاء الفتانين يفرقون بين المسلمين بلا حجة وبلا هدي ؛ بل بالهوى وبالضلال وبلافتراء - ولا حول ولا قوة إلا بالله - ، لذا نحن طلبة العلم السلفيين ونحن أهل الحق السلفيين نحذر من الفتن وأهلها ، ونحذر من الفتانين ولا نظلم الناس ولا نوذيههم ، والكلام فيهم إما بحجة وبرهان وإلا فإن المسلم الصادق الخائف من الله ﷻ يترفع أن يتكلم في غيره بغير حق ، وإني أشكر كل

القائمين على هذا الصرح العلمي (**معهد الميراث النبوي**) على ما بذلوه من جهد ووقت وعمل دائب مستمر ليصل إلى هذه الدرجة من الإتقان فجزاهم الله خيرا .

وسوف تكون الدراسة - بإذن الله تعالى - في هذا المعهد في عدة علوم في العقيدة والتوحيد والمنهج وفي التفسير وفي علومه علوم القرآن وفي الحديث وأصول الحديث وفي الفقه وفي أصول الفقه وقواعده وفي بعض علوم اللغة مما ييسره الله ﷻ لنا أن نتدارسه وأن نتذكره فيما بيننا ، وسوف يتم بإذن الله تعالى شرح كتاب أو أكثر في هذه العلوم ، كما أنه سيكون بإذن الله تعالى على فترات ستكون هناك محاضرات وتوجيهات وتأصيلات وتقعيدات علمية وسلفية مأخوذة من العلماء ومن تقعيداتهم ومن الأدلة الشرعية من قبل وما كان عليه سلف الأمة - رضوان الله عليهم أجمعين - وسوف نبدأ - بإذن الله تعالى - بدراسة مختصر في علم العقيدة مهم ومفيد وله مكانة عند العلماء ومنزلة مشهورة معلومة ، هذا المختصر هو الأصول الثلاثة ، تأليف شيخ الإسلام بحق محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي السلفي المولود سنة خمسة عشر ومائة وألف والمتوفى سنة ست ومائتين وألف - رحمه الله تعالى - هذا العالم الجليل ولد بالعينينة وكان أبوه عالما كبيرا مشهورا بعلمه وكان جده عالم نجد في زمانه اشتغل بالعلم فحفظ القرآن وحفظ الأحاديث ولازم العلماء واستفاد منهم في التحرى في طلب الحق واستمر في ملازمة العلماء والرحلة إليهم ، فأخذ عن جلة من العلماء - رحمة الله عليهم أجمعين - ، له من المؤلفات كتاب التوحيد ، وكشف الشبهات ، والأصول الستة والقواعد الأربع وغيرها من الكتب الكثيرة والمفيدة التي شهد له

علماء عصره ومن بعدهم إلى يومنا هذا بالعلم والإتقان وحسن
التصنيف ، وحسن المقصد وياتباع الدليل - رحمه الله رحمة
واسعة - .

وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ترجمته مشهورة ،
ومستفيضة عند طلبة العلم وعند المسلمين ، وكتابه الأصول
الثلاثة ، كما سبق هو رسالة صغيرة ، صغيرة الحجم لكنها كبيرة
المعاني والفوائد ، كان العلماء يحفظونها طلاب العلم ، بل حتى
العوام ، كان العلماء يحفظونهم هذه المتون ، خصوصاً الأصول
الثلاثة ، وقد كتب بعض العلماء إلى بعض الأمراء يحثه على نشر
هذه الرسالة - **الأصول الثلاثة** - في القرى والبوادي ، وأن يُحفظها
أئمة المساجد للعوام ، لذلك كان العوام في تلك السنين والأعوام ؛
كانوا يحفظون الأصول الثلاثة ، وكانوا يردون على أهل الباطل ،
من أهل الشراكيات لأنهم حفظوا هذه الأصول وفهموها فردوا على
أي شبه يثيرها بعض القبورين وأهل الشرك ، مما فهموه من هذه
الرسالة .

هذه الرسالة تضمنت المسائل الأربع العلم والعمل به والدعوة
إليه والصبر ، كما تضمنت بيان الحنيفية السمحة والتوحيد
بأنواعه ، وبيان الولاء و البراء ، وبيان الأصول الثلاثة .

ما الأصول الثلاثة ؟

1- من ربك ؟

2- ما دينك ؟

3- من نبيك ؟

الأسئلة التي يسأل عنها المرء في قبره ، جعلها الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - وبنى عليها هذه الأصول الثلاثة ، معرفة الله ومعرفة دينه ، ومعرفة نبيه ﷺ ، وليس مقصود الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - حصر الأصول في ثلاثة ، لأن له الأصول الستة وإنما أراد أن هذه الأصول الثلاثة هي أصول مهمة وملمة للعلم ، وأصول عظيمة لمن حفظها وفقهاها وتدبر معانيها ، لذلك أحث طلبة العلم وحتى عامة الناس ، أحثهم على حفظها وعلى سماع أشرطة العلماء في شرحها ، فقد شرحها جماعة من أهل العلم ، فمن العلماء الذين شرحوها وكتبهم مطبوعة ؛ شرحها العلامة ابن باز - رحمه الله تعالى - وكذا العلامة العثيمين وكذا العلامة النجمي والعلامة محمد أمان الجامي والعلامة زيد المدخلي ، وأيضًا هناك حاشية نفيسة لابن قاسم على الأصول الثلاثة - رحمة الله عليهم أجمعين - ، وغيرهم من أهل العلم قد شرحوها ولازالوا إلى اليوم يشرحونها تسجل وتطبع في كتب متداولة بين طلبة العلم وهذا كما ينبه العلماء ، أن الكتاب الذي يشرح و يتتبع العلماء على شرحه يدل على أمور منها :

أنه كتاب مهم ، وكتاب عظيم ، ومنها أن كثرة الشروح على الكتاب الواحد تعين طالب العلم وتعين المسلم على فهم هذا الكتاب ، ومنها أيضًا تسهيل وبسط الشرح على هذا الكتاب بحيث يستنبط منه كل مؤلف وشارح الفوائد والحكم والمسائل التي أشار إليها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - .

وهذه الرسالة - الأصول الثلاثة - التي شرحها أو التي ألفها محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - سار فيها على الدليل ؛ بناها

على الدليل ، حال جميع مؤلفاته التي حرص فيها على الدليل ،
والتي يربي فيها طالب العلم على طلب الدليل والوقوف عليه ،
وعلى التسليم للحق وعدم معارضته ، وعلى طلب الحجة والدليل
كما سبق ، ونحن نفتقر إلى هذا ، فإن طلب الدليل وطلب الحجة
نور على نور ، وطلب الدليل والحجة ينير لنا الطريق ويجعلنا على
بصيرة ، وطلب الدليل والحجة يذهب الفتن ويردع البدع
والضلالات ؛ فمن تكلم بشيء فإما أن يأتي بالدليل والحجة والعلم
المبني على ذلك وإلا فقله إما مزيف مردود وإما موقوف لا يُعلم
حق أم باطل .

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب عن هذه الرسالة :

قَرَرْتُ ثلاثة الأصول توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية والولاء
والبراء وهذا هو حقيقة دين الإسلام ، ولكن قف عند هذه الألفاظ
واطلب ما تضمنت من العلم والعمل ، ولا يمكن العلم إلا أنك
تقف عند كل مسمى منها انتهى ؛ كما نقله بعض شراح الأصول
الثلاثة .

إذا إخواني - بارك الله فيكم - سنتدارس هذا المتن ونقف مع
مسائله التي ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه
الله تعالى - .

الدرس الثاني

من

شرح الأصول الثلاثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَلَا وَإِنْ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرِ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَشَرِّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلِّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلِّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلِّ ضَلَالَةٍ
فِي النَّارِ أَمَّا بَعْدُ

قال رحمه الله تعالى :

- بسم الله الرحمن الرحيم - اعلم رحمك الله :

أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل :

الأولى : العلم وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام
بالأدلة .

الثانية : العمل به .

الثالثة : الدعوة إليه .

الرابعة : الصبر على الأذى فيه .

والدليل قوله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾^(٢)

قال الشافعي - رحمه الله تعالى - : لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم .

وقال البخاري - رحمه الله تعالى - : باب ، العلم قبل القول والعمل .

والدليل قوله تعالى : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ ﴾^(١٩) ﴿١﴾ فبدأ بالعلم قبل القول والعمل .

هذه الجمل المفيدة التي ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - سنقف معها جملة جملة .

قوله - رحمه الله تعالى - : **بسم الله الرحمن الرحيم .**

ابتدأ الكلام وابتدأ الرسالة بالبسملة بسم الله الرحمن الرحيم اقتداء بالقرآن الكريم حيث أن البسملة في أوله ، وأيضاً جاء عن بعض السلف أنه كان يكتب البسملة في أول الكلام ، وأما حديث (**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبت**) وفي لفظ أقطع أو أجزم فهو حديث ضعيف ضعفه الألباني - رحمه الله تعالى - في إرواء الغليل ؛ فلا يجوز للمسلم أن ينسب هذا الحديث للنبي ﷺ فهو حديث ضعيف وإن اشتهر وتداول عند بعض الناس ؛ وهنا لابد أن يعود طالب العلم نفسه يُعوّد نفسه على **ماذا ؟**

(٢) سورة العصر .

(٣) سورة محمد (19) .

يُعَوِّدَهَا عَلَى الْبَحْثِ عَنِ الْحَقِّ وَأَنْ لَا يَرِدَ الْحَقُّ لِمَعْلُومَاتٍ سَابِقَةٍ عِنْدَهُ ، وَأَنْ يَتَجَرَّدَ لِلْحَقِّ ؛ نَعَمْ قَدْ تَكُونُ تَعَلَّمْتُ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ حَسَنٌ أَوْ صَحِيحٌ وَلَكِنْ الصَّحِيحُ بَعْدَ الْبَحْثِ وَالنَّظَرِ وَالتَّتَبُّعِ لَطَرَقِهِ كَمَا قَامَ بِذَلِكَ الْإِمَامُ الْأَلْبَانِي - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي أَرْوَاءِ الْغَلِيلِ وَجَزَمَ بِضَعْفِهِ مِنْ كُلِّ طَرَقِهِ ، فَلَا يَسُوعُ لَكَ وَلَا يَجُوزُ لَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنْ تَسْتَدِلَّ بِهِ مَرَّةً أُخْرَى إِلَّا مُحَذَّرًا مِنْهُ وَمُبَيِّنًا ضَعْفَهُ وَنَكَتِي بِأَنَّهُ فِي أَوَّلِ الْقُرْآنِ كَمَا مَرَّ مَعْنَا وَأَنَّ بَعْضَ السَّلَفِ كَانَ يَكْتُبُ الْبِسْمَلَةَ فِي بَعْضِ رِسَائِلِهِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعلم رحمك الله :

قوله " **اعلم** " أي تيقن واجزم ولا يكن عندك شك ، والإتيان بكلمة " **اعلم** " تفيد الانتباه والتنبيه لطالب العلم للمسائل التي سيذكرها وهي مسائل حقيقٌ أن يهتم بها وأن يلتفت إليها وأن تحفظ ، ثم دعا له بأن يرحمه الله ﷻ وهذا من حسن تربيته وعنايته أن يدعو لإخوانه المسلمين وأن يدعو لطلاب العلم وهذه صفة العالم ، العالم يحرص على الخير وعلى النفع وعلى هداية الناس وعلى أن يكون المسلم مستنيرًا بالحق عاملاً به ، وأما الغلظة والفظاظة والشدة على المسلمين الذين هم على الحق فليست من الحق وليست من مسلك العلماء ولا من هدي السلف الصالح - رضوان الله عليهم - ، فقد كان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه لما يرى طلاب العلم يحتف بهم ويقول مرحباً بوصية رسول الله ﷺ ، وكان العلماء يسألون عن أحوال طلابهم ويهتمون بهم ؛ لذلك شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى -

نجد هذا الأسلوب وهذه الرحمة وهذه الشفقة في غالب كتبه -
فجزاه الله خيرا - .

قال " اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل "

قوله " يجب علينا " أي يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم
هذه المسائل الأربعة وأن يتقنها لأنها مما أمر الله ﷻ بتعلمها
ولأنها مما يقوم عليها دين المرء فلا ينبغي لمسلم أن يجهلها فضلا
على أن يتجاهلها وأن لا يهتم بها ، هذه الأربع مسائل يبين لنا
شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - أنها مما
يجب علينا أن نتعلمها كما تجب عليك بعض العبادات فتعلم هذه
المسائل من العبادات الواجبة عليك يا عبد الله ويا أمة الله .

ما هي المسألة الأولى :

قال العلم : وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام
بالأدلة .

ومعرفة العلم : أي العلم الشرعي والمراد من العلم معرفة الله ﷻ .

أن تعرف الله بأنه ﷻ هو الخالق الرازق المدبر الذي بيده الأمور
كلها وأن الناس والمخلوقين كلهم فقراء إلى الله ﷻ وأن الله ﷻ هو
الغني ، فتعرفه بربوبيته ﷻ ، وتعرفه بالوهيته بأنه المستحق أن
يصرف إليه وأن تصرف إليه جميع أنواع العبادة قولاً وفعلاً
واعتقاداً هو المستحق لها ﷻ :

﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦٢) ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ﴾ (١٦٣) ﴿ ٤٠ ﴾

(٤) سورة الأنعام (162 - 163) .

ومعرفة أسماؤه وصفاته ، أسماؤه الحسنی وصفاته العليا وأن له
أسماءً وصفاتٍ تليق بجلاله ﷻ .

نؤمنُ بها على حقيقتها كما أثبتها ﷺ في كتابه و أثبتها الرسول ﷺ في
سنّته على ما يليق به من غير تكيّفٍ ولا تمثيلٍ ولا تعطيلٍ ولا
تحريفٍ ..

ومن العلم الذي يجبُ أن نتعلمه معرفة نبيّنا محمد ﷺ وأنه يجبُ
أن يُطاع لأنه رسولٌ من الله ﷻ ، وأنه بشرٌ ﷺ بشرٌ - عليه الصلاة
و السلام - يوحى إليه ، فيُطاع فيما أمر ، و يُجتنبُ فما نهى عنه
وزجر ، و يُصدّقُ ﷺ فيما أخبر.

و معرفته دين الإسلام الذي جاء به الرسول ﷺ من عند الله ، وبلغه
أتمّ البلاغ و أكمله قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (٣) ٥

فلا بد من العلم بهذه الأمور وأن يتدبر العبد هذه المسألة الأولى ،
والتي سيأتي إن شاء الله الكثير من تفاصيلها في الأصول الثلاثة
حين يتكلم عنها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله
تعالى - فإنه ذكرها هنا إجمالاً و سيُفصلها فيما يأتي.

ثم قال :

الثانية : العمل به

(٥) سورة المائدة (3) .

ليس المراد بالعلم أن تتباهى وأن تطغى به على الناس ، ليس المراد بالعلم أن تُذكر وأن يُرفع شأنك بين الناس ، إنما المراد به أن تعمل به لله ﷻ وأن تمتثل أوامر الله ﷻ .

فلا بد من العلم ولا بد من العمل به ، فإن الإيمان كما يقول الحسن البصري : (ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل) .

فمن قال خيراً وعَمِلَ خيراً قُبِلَ منه ، ومن قال خيراً وعَمِلَ شراً لم يُقْبَلْ منه .

ولا شك أن العمل هو ثمرة العلم ، والعلم يقود إلى العمل ، وجاء عن بعض السلف أنه قال : (هتف العلم بالعمل ، فإن أجابه وإلا ارتحل) ، لابد أن تعمل بالعلم ومن أبرز الأمور المتعلقة بالعلم الإخلاص لله ﷻ ، أن يكون مقصودك الله ﷻ ، وأن لا تراقب الناس وأن لا تعمل للناس وإنما تراقب الله ﷻ ، العمل بالعلم في متابعة سنة الرسول ﷺ في شأنه وأحواله - عليه الصلاة والسلام - ، العمل بالعلم أن تكون تقياً ، نقياً ، لا غل ولا حسد ولا أذى ، وإلى أن يتعلم المرء أن أذية المسلمين حرام ويؤذيهم ما فائدة العلم حينها ، يكون العلم حجة عليه ، لا حجة له .

من يتعلم أن السنة وأهلها غرباء فهم بحاجة إلى من ينصرهم ويؤيدهم ثم يناصر أهل البدع والأهواء ، فأَيُّ فائدة في العلم هذا .

العمل بالعلم لو قام به أهله والله لقلّت الفتن ، لو قام به أهله لتقاربت القلوب على الحق لكن هي فتن وابتلاء من الله ﷻ يتعلم المرء من العلم ما يكون حجة عليه و يتعلم الآخر من العلم ما

يكون حجةً له فلا بد من العمل بالعلم ولذلك من صفات العالم عند أهل العلم أن يكون عالمًا عاملاً ، وإلا فلو كان عنده علم ، ثم نجد في أعماله الخبث والأذية والفساد والتفريق بين المسلمين ، ونجد في أعماله تحزيب المسلمين فلا شك أن هذا ليس بعالم يؤخذ منه العلم ، فما بالك لو كان هذا الذي يعمل هذه الأعمال لا يُعد طالب علم ولا يستحق أن يوصف بأنه عالم ، فلا شك أن هذا لم يستفد من علمه ، وأن المسلم عليه أن يبتعد عن أمثال هؤلاء كما نبّه على ذلك أهل العلم ، إذا فلا بُدّ من العلم ، ولا بدّ أيضًا من العمل

- لماذا العلم ؟ لماذا لا بدّ من العلم ؟

حتى لا تتكلم في دين الله إلا ببصيرة ، فلا تكثر أخطاءك ، ولا تكثر مخالفاتك ، فإن الخطأ الذي مثله لا يُحتمل من طالب العلم ، جهله يؤثر عند العلماء في قيمة هذا المخطئ وفي بعده عن الحق ، فما بالك حينما يُخطئ في مسائل تتعلق بالعقيدة والتوحيد ، ومسائل تتعلق بالشرك والتحذير منه ، ومسائل تتعلق بالمنهج ، هي مسائل واضحة ظاهرات يفهمها طلاب العلم الصغار قبل الكبار مما يدل على أن هذا إما أنه لم يُحصّل العلم بطريقة شرعية وإما إنه قد انحرف وزاغ قلبه عن الحق - نسأل الله السلامة والعافية - .

ثمّ الثالثة بعد أن تعلم وأن تعمل لا بُدّ أن تدعو إلى العلم أن تُعلّم الناس بحسب استطاعتك ، فما تعلّمته لا مانع أن تدعو الناس إليه ، وأن تُبيّنه للناس ، وهُنا لا بُدّ من بيان أمر مُهم وهو أن بيانك ونقلك للحقّ وللعلم الذي تعلّمته للعلماء ليس من باب الفتوى

وليس من باب التصدُّر ، فلو تعلَّمت مثلاً على سبيل المثال :
أَنَّ قول (والنبى) لا يجوز ، وَأَنَّ قول (والنبى) من الشرك المنهى
عنه ، لقوله ﷺ : (مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ فَلْيَصْمُتْ)
وقوله ﷺ : (لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ ، وَلَا بِاللَّاتِ
وَالْعُزَّى) (ومن حلف بغير الله فقد لُشرك) فلَمَّا تسمع هذا
وتسمع رجل آخر يقول : **(والنبى)** فهُنا تقول لَهُ يا أَخِي اتقِ الله لا
تقل والنبى ، قل وَالله ، أو لاتحلف بغير الله ﷻ ثُمَّ تذكر لَهُ الأدلة
التي سمعتها ، هذا ليس من باب التصدُّر ، هذا من باب الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر بعلم وحكمة ، فهذا لا مانع منه ،
لأننا نجد كثيرًا من المسلمين للأسف يرى خطأ ويعلم أنه خطأ من
قول العلماء ويعرف الدليل ولكن يسكُت ، فتقول لَهُ

- لماذا لم تُنكر؟

يقول يا أَخِي لستُ عالمًا ، هذا خطأ ، هذه شُبْهة شيطانية لكي لا
تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فلا بُدَّ أن تعلموا - بارك الله
فيكم - أننا إذا تعلَّمتنا مسألةً من العلماء بدليلها ووجدنا من يُخطئُ
فيها أنه يُشرعُ لنا أن نُنبِّههُ ، وأن ندُلَّهُ على الحق وأن نرشدهُ إلى
الخير ، وأما الاشتغال بالمسائل العلمية وطُرق الاستدلال
والمناقشات والمناظرات وإيراد الحُجج فهذه للعلماء ولطُلاب
العلم المتمكنين في علمهم فلا مانع ، أما العوام فلا يخوضون فيها
فإِذَا ينبغي أن نُفرِّق بين دقائق المسائل ، وينبغي أن نُفرِّق بين
المسائل الظاهرة التي تلقيناها عن العلماء بأدلتها ، فَالْعَامِّي يُمكنُ
أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي تِلْكَ الْمَسَائِلِ وَلَكِنْ لَا يَخُوضُ فِي الْمَسَائِلِ الدَّقِيقَةِ ،
وَأَيْضًا مِنَ الْمُهِّمِّ أَنْ ننبه إِلى مسألة عَظِيمَةٍ وَهِيَ أَنَّ الْعَامِّيَّ وَالْعَالِمَ
إِذَا جَاءَ فِي مَسْأَلَةٍ لَا يَعْرِفُ دَلِيلَهَا وَلَا يُحْسِنُهَا فَلَا يَتَكَلَّمُ فِيهَا يَحْرُمُ

عَلَيْهِ الْكَلَامُ فِيهَا وَلَوْ سَكَتَ الْجَاهِلُ لَقَلَ الْخِلَافُ وَلَوْ قَالَ مَنْ لَا
يَذَرِي لَا أَذْرِي لَسَلِمَ ، وَكَانَ السَّلَفُ يُحَذِّرُونَ مِنَ الْفِتْوَى فِي كُلِّ
مَسْأَلَةٍ وَلِذَلِكَ تَجِدُ الَّذِي يُفْتِي دَائِمًا وَيَحْرِصُ عَلَى الْفِتْوَى وَيَتَصَدَّرُ
لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَتَأَهَّلَ وَيُشْهَدَ لَهُ تَجِدُ عِنْدَهُ التَّخَبُّطَاتِ وَتَجِدُ عِنْدَهُ
كَثْرَةَ الْأَخْطَاءِ نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ .

فَلَا بُدَّ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى هَذَا الْعِلْمِ الصَّحِيحِ الَّذِي تَعَلَّمْتَهُ لِيَنْتَشِرَ
الْحَقُّ وَيُظْهَرَ دِينُ اللَّهِ ﷻ فَإِذَا دَعَوْتَ النَّاسَ وَبَيَّنْتَ لَهُمُ الْحَقَّ مِنَ
الْبَاطِلِ فَلَا بُدَّ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ مُعَرَّضٌ لِلْأَذَى فَلَا بُدَّ أَنْ تَصْبِرَ عَلَى الْأَذَى
، فَهَذَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ أَوْذَى وَهُوَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْخَيْرِ يُخْرِجُهُمْ مِنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ حَرِيصٌ عَلَيْهِمْ كُلِّ الْحَرِصِ ﷺ وَمَعَ ذَلِكَ أَوْذَى
ﷺ فَمَنْ سَلَكَ طَرِيقَهُ فَلَا بُدَّ أَنْ يُؤْذَى وَلَا بُدَّ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِلْأَذَى إِلَّا أَنْ
يَشَاءَ اللَّهُ ، فَلْيُوَظَّنْ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ ، وَفَرَّقْ بَيْنَ أَنْ يَتَعَرَّضَ
لِلْأَذَى وَأَنْ يَسْلُكَ غَيْرَ السَّبِيلِ الصَّحِيحِ فَيُوبِقَ أَوْ فَيَجْعَلَ نَفْسَهُ فِي
مَوَاطِنِ الْهَلَاكِ وَيَبْنِ أَنْ يَدْعُو النَّاسَ وَيُؤْذَى فِي دَعْوَتِهِ فَإِنْ بَعْضُ
النَّاسِ يَعْمَلُ أَعْمَالًا غَيْرَ شَرْعِيَّةٍ وَيَزْعُمُ أَنَّهُ فِي هَذِهِ الْأَعْمَالِ يَغْنِي
يَدْعُو إِلَى اللَّهِ فَيُؤْذَى وَأَنَّهُ يَصْبِرُ عَلَى ذَلِكَ لَا ، أَنْتَ تَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ
وَتَعْمَلُ بِهِ وَتَسِيرُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الْكِرَامُ فَإِنْ
عَلِمْتَ وَعَمِلْتَ وَسِرْتَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الْكِرَامُ
فَأَوْذِيتَ بَعْدَ ذَلِكَ لِلزُّومِ لِلْحَقِّ فَاصْبِرْ وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ
وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ فَاصْبِرْ عَلَى ذَلِكَ وَ
الزَّمِ الصَّبْرَ ،

- لِمَاذَا يُؤْذُونَكَ ؟

لِأَنَّكَ تَدْعُو النَّاسَ وَتُحَذِّرُهُمْ مِنْ جَانِبَيْنِ مِنْ جَانِبِ الشَّهَوَاتِ فَأَهْلُ
الدُّنْيَا يَرْفُضُونَكَ يَرْفُضُونَكَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ وَيُبْغِضُونَكَ وَأَهْلُ الشُّبُهَاتِ

أَيْضًا يَرْفُضُونَكَ وَيَرْفُضُونَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ فَيَحَارِبُونَكَ وَيُؤْذُونَكَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ إِنَّمَا تَعْمَلُ لِلَّهِ لَا لِنَفْسِكَ فَمَا تَعَرَّضْتَ فِيهِ مِنَ الْأَذَى لِلَّهِ فَمَا أَحْلَاهُ وَمَا أَلَّذَهُ وَأَطْعَمَهُ لِأَنَّهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ وَعَلَيْكَ وَلِذَلِكَ إِنْ كُنْتَ تَغْضَبُ إِنْ أُودِيتَ فَأَنْتَ عَلَيْكَ أَنْ تُرَاجِعَ هَلْ تَدْعُو إِلَى اللَّهِ أَمْ تَدْعُو إِلَى نَفْسِكَ ، فَلِذَلِكَ نَبَّهَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - عَلَى الصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى ، نَعَمْ الْأَذَى يُصِيبُ الْمُسْلِمَ حَتَّى مِنْ بَعْضِ مَنْ هُوَ عَلَى - يَعْنِي قُرْبٍ مِنْهُ - إِمَّا حَسَدًا وَإِمَّا ظُلْمًا وَإِمَّا بَغْيًا ، قَدْ يَكُونُ مُوَافِقًا لَكَ فِي الْمَنْهَجِ وَيَدْعُو إِلَى الْحَقِّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ وَلَكِنْ تَتَلَاعَبُ بِهِ الشَّيَاطِينُ فَيَقَعُ فِي الْحَسَدِ فَيُؤْذِيكَ وَيَتَكَلَّمُ عَلَيْكَ وَيُحَذِّرُ مِنْكَ وَيُبْغِضُكَ وَيَتَقَوَّلُ عَلَيْكَ ، فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ بَصِيرًا نَبِيهَا حَرِيصًا عَلَى الْحَقِّ وَأَنْ يَبْعُدَ عَنْ طُرُقِ الرَّدَى وَسُبُلِ الْهَوَى .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى -
والدليل قوله تعالى هكذا يربي طلبة العلم على الدليل وقبل قال :
العلم وهو معرفة الله و معرفة دينه و معرفة نبيه ، معرفة الله
ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة ، بالدليل وهنا أيضًا
يقول والدليل أي على ما سبق ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ (٦) .

وجه الدلالة من هذه السورة على المسائل الأربعة كالتالي :
أما العلم : فهذا مأخوذ من قوله تعالى ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فبماذا
امنوا ؟ علموا ما يؤمنوا به فأمنوا.

(٦) سورة العصر .

﴿ وعملوا ﴾ بماذا عملوا ؟

عملوا بما علموا فإذا هذا دليل العلم وأما العلم به فهم حققوا الإيمان فوصفهم الله بأنهم ﴿ آمَنُوا ﴾ وأيضًا وصفهم بأنهم ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ وأنهم ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾ والصبر عليه فإذا هذا دليل العمل به .

وأما الدعوة إليه : فدليلها التواصي بالحق و التواصي بالصبر.

و أما الصبر على الأذى : فدليلها التواصي بالصبر.

إذا هذه المسائل الأربعة : العلم والعمل والدعوة والصبر مع ظهورها إلا أن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يربيك ؛ يربينا نحن طلبة العلم على الدليل ، كل مفسد وفتان تستطيع أن توقف فتنته و إفساده بأن تقول له **ما الدليل على ما أنت عليه ؟**

ما الحجة على ما أنت عليه ؟

فإن هرب فاعلم أنه كذاب فتان وإن أتى بالحجة وكانت حجة ثابتة وكان الحق ظاهر فيجب قبوله وإلا فقله مردود عليه.

قال الشافعي - رحمه الله تعالى - : " لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم " يعني الشافعي بهذا الكلام أن هذه السورة **" سورة العصر "** من حيث دلالتها على العلم والعمل والدعوة والصبر هي حجة كافية لو ما أنزل الله ﷻ من الآيات في هذه المعاني إلا هذه السورة ، وليس المراد أنه لا ينزل الله إلا هذه السورة فقط - لا - وإنما إلا هذه السورة في هذه المعاني العلم والعمل والدعوة والصبر .

قال البخاري - رحمه الله تعالى - : " بابٌ ، العلم قبل القول والعمل " واستدل بقوله تعالى و الدليل قوله تعالى : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِدُنْبِكَ ﴾ (١٩) فبدأ بالعلم " فاعلم " قبل القول والعمل قبل قول ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ والعمل بالاستغفار ، فمن عمل بلا علم كما يقول السلف " من عمل بلا علم كان يفسد أكثر مما يصلح " وقالوا " كيف يستقيم الظل والعود أعوج " ومن عمل بلا علم أشبه حال النصارى الذين ضلوا عن الطريق المستقيم .

والذين ترهبوا وابتدعوا رهبانية واشتغلوا بالعبادة ولم يشتغلوا بالعلم ، العمل مطلوب والعبادة مطلوبة ولكن أن تكون على علم فلذلك قال البخاري - رحمه الله تعالى - " بابٌ ، العلم قبل القول والعمل " وهذا فيه رد على الجماعات التي تدعوا الناس بلا علم فهذه الجماعات ينبغي أن تدعوا نفسها أولا للعلم قبل أن تدعوا غيرها وأيضا في هذا القول : " بابٌ ، العلم قبل القول والعمل " رد على الذين يتصدرون قبل أن يتأهلوا علميا ، قال البخاري - رحمه الله تعالى - " فبدأ بالعلم قبل القول والعمل " أي أن الله ﷻ بدأ بالعلم في قوله " فاعلم " قبل القول والعمل ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِدُنْبِكَ ﴾ .

ما الذي يريد أن يشير إليه البخاري والإمام محمد بن عبد الوهاب ؟

يريد أن يركز على قضية العلم ، وأن تكون الحجة والدليل هي نبراس وضياء ونور يهتدي به المسلم في طريقه إلا الله ﷻ ، فالنبي

(٧) سورة محمد (19) .

ﷺ كما قال الله ﷻ : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ
أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي ﴾ (١٠٨) ۞

فما هي البصيرة : هي العلم والحجة والحكمة ﴿ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي ﴾
إن كنت متبعا لهدي النبي ﷺ فاطلب الحجة واحذر - بارك الله
فيك - من جعل الحجة قول فلان وفلان قال بن عباس " يوشك
أن تسقط عليكم حجارة من السماء أقول لكم قال الله قال رسوله
تقولون قال أبو بكر قال عمر " .

إذا كان بن عباس - رضي الله عنهما - وعن جميع صحابة رسول
الله ﷺ لا يرتضي بقول أحد مع قول الله وقول رسوله يعني مع
الحجة فكيف نقدم قول زيد أو عبيد من الناس على الحجج
والأدلة الشرعية إن هذا هو التعصب في صورة الاتباع أن هذا هو
الجهل والانحراف في صورة الاهتداء للحق موازين معكوسة
ومقلوبة عند هؤلاء الناس الذين تأتيهم بالحق فيقول لك لا قال
فلان نحن لسنا أعلم منه يا أخي طيب فلا أعلم من قال الله قال
رسوله قال الصحابة - رضوان الله عليهم -

- يا أخي فلان هل قوله مقدم على الحجة ؟

والله للأسف نجد بعض الناس مهما تأتته بآية يعرض عنها إلا من
رحم الله ﷻ فنسأل الله السلامة والعافية ونسأل الله ﷻ أن
يجعلنا ممن يتبع الحجة وممن يسير على الحجة على الدليل ،
ويجعلنا ممن يتبع الحق ويبتعد عن الباطل فاحرصوا - بارك الله
فيكم - في كل أمركم على لزوم الحق على لزوم السنة على لزوم ما
كان عليه سلف الأمة - رضوان الله عليهم أجمعين - .

(٨) سورة يوسف (108) .

أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكُمْ لِمَا يَحِبُّهُ
وَيَرْضَاهُ .

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

الدرس الثالث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً
لِلْعَالَمِينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم أَجْمَعِينَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فنواصل - بإذن الله تعالى - قراءة رسالة الأصول الثلاثة لشيخ
الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - ، وقبل أن
أدخل في القراءة والتعليق أحببتُ أن أراجع مع إخواني طلاب
العلم وطالبات العلم ما سبق أن مر معنا في أول الرسالة وهي
المسائل الأربع التي يجبُ على كل مسلمٍ ومسلمة أن يتعلمها

فما هي تلك المسائل ؟

أَوَّلًا : الْعِلْمُ .

وِثَانِيًا : الْعَمَلُ .

وِثَالثًا : الدَّعْوَةُ إِلَى هَذَا الْعِلْمِ .

وِرَابِعًا : الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى ؛ الذي قد يترتب على دعوة الناس .

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ ﴿٣﴾ (٩)

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : بَابُ : الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ؛ ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ ﷺ : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لَذَنْبِكَ ﴾ (١٩) (١٠)

فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ .

إِذَا هَذِهِ الْمَسَائِلُ الْأَرْبَعَةُ عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ مُتَذَكِّرِينَ لَهَا عَامِلِينَ بِهَا ؛ وَالْيَوْمَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى نَكْمَلُ دَرَسَةَ هَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ حَيْثُ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

" اَعْلَمَ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ وَالْعَمَلِ بِهِنَّ .

الْأُولَى : أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا ، وَرَزَقَنَا ، وَلَمْ يَرْكُنَا هَمَلًا ، بَلْ لُرَّسَلِ إِلَيْنَا رَسُولًا فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ ،
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا لُرَّسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا لُرَّسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾ (١٦) (١١)

(٩) سورة العصر .

(١٠) سورة محمد الآية (19) .

(١١) سورة المزمل الآية (15 - 16) .

الثَّانِيَّةُ : أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (١٨) 12

الثَّالِثَةُ : أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ ، وَوَحَّدَ اللَّهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةٌ مِنْ حَادِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢٢) 13 .

فهذه الجمل التي ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - هي من الأصول المفيدة والمهمة والمسائل العظيمة التي ينبغي لكل مسلم ومسلمة أن يتعلمها .

قال - رحمه الله - : " اَعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ " ، فقلوه : " يَجِبُ " أي وجوباً عينياً لماذا ؟

لأن هذه المسائل يستقيم بها الدين وهذه المسائل من المسائل الأصول والمسائل المهمة التي لا يمكن جهلها ولا يجوز العمل بخلافها .

قلوه : " عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ " يعني ذكرًا كان أو أنثى ،

(12) سورة الجن الآية (18) .

(13) سورة المجادلة (22) .

فالمسلم مُكَلَّفٌ وعليه أن يتعلَّم والمسلمة مُكَلَّفةٌ وعليها أن تتعلم ، وأن تشتغل بما ينفعها من أمور دينها وما يقربها إلى ربها ، وأن تحذر المسلمة خصوصًا هذه الأيام وهذه الأزمنة المتأخرة التي يحرص فيها أعداء الله ويحرص فيها أهل الفتن والشر على فتنها وعلى انحرافها وعلى استعمالها سلاحًا ضد المسلمين فيجعلونها فتنةً لأهل الإسلام ، فالمسلمة هي أم وهي أختٌ وهي زوجةٌ وهي بنتٌ وهي قريبةٌ من القربات عليها أن تحرص كل الحرص على من تستطيع أن تفيده ممن هي مسئولة عنه أما قال النبي ﷺ : (

كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) (14) فالرجل راع وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيتها وهي مسئولة عن رعيته ؛ فأنت يا أمة الله أنت مسئولة والحمل ثقيل عليك هذه الأجيال تحتاج إلى تربيتك وإلى توجيهك على طاعة الله وعلى محبة الله وعلى اتباع الرسول ﷺ وحبّه ﷺ وعلى أن ينشأ النشء عندك من الأبناء والإخوة ونحوهم على طاعة الله ﷻ .

قال : **" يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعْلَمُ ثَلَاثَ هَذِهِ الْمَسَائِلِ "**

والثلاث المسائل هي :

المسألة الأولى : في توحيد الربوبية .

والمسألة الثانية : في توحيد الألوهية .

والمسألة الثالثة : في الولاء والبراء .

(14) الراوي : عبدالله بن عمر ، المحدث : البخاري ، المصدر : صحيح البخاري .

أما المسألة الأولى : توحيد الربوبية وهي هذه المسألة تعني أن نعتقد وأن نؤمن بأن الله ﷻ هو الخالق والرازق والمالك ﷻ وأن الأمر بيده وأنه ﷻ له الملك التام ﷻ .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : " الأولى : أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا ، وَرَزَقَنَا ، وَلَمْ يَرْكَزْنَا هَمَلًا " .

فإن الله ﷻ خلقنا من العدم كما قال ﷻ : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ (١) ﴿ ١٥ ﴾ أي كان معدومًا لم يكن موجودًا فالله ﷻ هو الذي خلقنا هو الذي أوجدنا من العدم .

وخلقنا ﷻ ومن رحمته وعظيم فضله أن رزقنا ؛ فرزقنا النعم كما قال الله ﷻ : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (٦) ﴿ ١٦ ﴾ فالله ﷻ هو الرزاق وهو ﷻ هو الغني ونحن الفقراء إليه ، فالله ﷻ خلقنا ورزقنا كما قال الله ﷻ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) ﴿ ٥٧ ﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿ ٥٧ ﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿ ٥٨ ﴾ (١٧)

فالله هو الخالق الرازق هو الذي نتوجه إليه ﷻ في سؤال الرزق ، الرزق ليس فقط في المال ؛ الرزق يكون بالولد الصالح بالزوج الصالح بالحياة الطيبة برزق الطيبات والأمور الصالحة ، فمن الغلط الذي يفهمه بعض الناس أنه يقصر الرزق فقط على المال ؛ لا الله ﷻ قد يعطيك من الرزق ما لا يعطي غيرك من الأغنياء بأن

(١٥) سورة الإنسان الآية (٦) .

(١٦) سورة هود الآية (٦) .

(١٧) سورة الذاريات الآية (٥٦ - ٥٧ - ٥٨) .

يرزقك أولادًا صالحين بارّين أو أن يرزقك الصلاح في أمرك فالمال ليس كل شيءٍ ولذلك علينا أن نحمد الله ﷻ على ما رزقنا من النعم ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (١٨) ﴿ 18﴾

إِذَا " أَنْ اللَّهَ خَلَقَنَا ، وَرَزَقَنَا ، وَلَمْ يَرْكُنَا هَمَلًا " ؛ يعني لم يتركنا نفعل ما نشاء ونختار ما نشاء ولم يتركنا نلعب ونلهو ثم نموت وتنقضي الأمور لا ؛ بل إن الله ﷻ مع ما أنعم علينا بنعمة الخلق ونعمة الرزق أنعم علينا بنعمة الرسالة .

فأرسل لنا رسوله محمدًا ﷺ ليخرجنا من الظلمات إلى النور ليقرّبنا من ربنا ﷻ ومن جنته ويبعدنا عن النار وعن سخطه وعقابه ؛ فالله ﷻ لم يتركنا هملاً سدى لا نُؤمر ولا نُنهي ، كما قال ﷻ : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (١١٥) ﴿ 19﴾ وقال ﷻ : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ (٣٦) ﴿ 20﴾ أي هملاً لا يُحاسب ولا يُعاقب ولا حكمة من خلقه ؛ بل هناك كما سبق حكمة عظيمة ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) ﴿ 21﴾

فالله ﷻ أرسل إلينا هذا الرسول كما قال المصنف - رحمه الله تعالى - " بَلْ لُرْسَلِ الْبَيْنَارِ سُوْلًا فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ " ، هذا الرسول كما نعلم كلنا هو حبيبنا محمد ﷺ الرحيم الرؤوف بهذه الأمة ؛ الذي ما ترك خيرًا إلا ودلنا عليه وما ترك شرًا إلا وحذّرنا منه ، وبلغ الرسالة على أوجه أتمّها وأشهد

(18) سورة النحل الآية (18) .

(19) سورة المؤمنون الآية (115) .

(20) سورة القيامة الآية (36) .

(21) سورة الذاريات الآية (56) .

الصحابة لَمَّا قال لهم في حَجَّة الوداع : " أَلَا هَلْ بَلَغْتَ أَلَا هَلْ
بَلَغْتَ اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ " 22

فَاللَّهُ ﷻ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ لِنَطِيعَهُ فِيمَا أَمَرَ وَنَجْتَنِبُ
مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ لَذَا قَالَ الْمَصْنِفُ : " فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ "

ما الدليل ؟

الدليل - قوله تعالى - : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ﴾ (١٣) ، وَأَيْضًا قَوْلُهُ ﷺ : (كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي قَالُوا : وَمَنْ يَأْبَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟) - من أبي يعني
من يرفض - (قَالُوا : وَمَنْ يَأْبَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟) - من يرفض
يدخل الجنة - فقال ﷺ : (مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ
عَصَانِي فَقَدْ أَبَى) (24)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : " الكمال في
كمال طاعة الله ورسوله ﷺ باطنًا وظاهرًا " انتهى .

(22) الرِّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا : مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ثَلَاثُ مُتَوَالِيَاتٍ ، ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ ، وَالْمُحَرَّمُ ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشُعْبَانَ ، أَيُّ شَهْرٍ هَذَا ؟ ، قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ ، قَالَ : أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ ؟ ، قُلْنَا : بَلَى ، قَالَ : أَيُّ بَلَدٍ هَذَا ؟ ، قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ ، قَالَ : أَلَيْسَ الْبَلَدَةُ ؟ ، قُلْنَا : بَلَى ، قَالَ : فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ ، قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ ، قَالَ : أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ ؟ ، قُلْنَا : بَلَى ، قَالَ : فَإِنْ دِمَاءُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ - قَالَ مُحَمَّدٌ وَأُحْسِبُهُ قَالَ : وَأَعْرَاضُكُمْ - عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ ، أَلَا فَلَ تَرْجِعُوا بَعْضُهُمْ غُلَامًا ضَالًّا ، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ، أَلَا لِيُبْلِغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ، فَلْيَعَلَّ بَعْضٌ مَنِ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ مَنِ سَمِعَهُ ، - فَكَانَ مُحَمَّدٌ إِذَا ذَكَرَهُ قَالَ : صَدَقَ النَّبِيُّ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا هَلْ بَلَغْتُ أَلَا هَلْ بَلَغْتُ .

الراوي : نفع بن الحارث الثقفي أبو بكر ، المحدث : البخاري ، المصدر : صحيح البخاري ، الصفحة أو الرقم : (7447) ، خلاصة حكم المحدث : [صحيح] ، انظر شرح الحديث رقم : (25671)

(23) سورة النساء الآية (13) .

(24) الراوي : أبو هريرة ، المحدث : الألباني ، المصدر : صحيح الجامع .

فطاعة الرسول ﷺ فيها الخير والسعادة وفيها النجاة .

نحن نبحث عن السعادة نبحت عن ما يريحنا نبحت عن ما يسعدنا نبحت عن أمور يكون فيها الخير ؛ ألا فلنعلم جميعاً أن الخير كل الخير في طاعة الرسول ﷺ والسعادة كل السعادة في طاعة الرسول ﷺ والرّاحة كل الرّاحة في اتباع سنته وطاعته ﷺ .

لذلك من بحث عن السعادة في غير الحق الذي جاء به الرسول ﷺ والله لم يسعد والله لم يُفلح والله إنه لفي شقاء لأن السعادة هذا طريقها وهذا سبيلها وهذا الطريق المؤدي إليها وأما ما سوى ذلك فإنه كما قال - عليه الصلاة والسلام - :

(الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاه) (25) .

" وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ " من عصى الرسول ﷺ دخل النار كما قال الله ﷻ : ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ (٢٣) (26) .

ومراداه هنا " وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ " ؛ يعني من كفر به ومن جحده ومن لم يتبع ما جاء به عن الله ﷻ دخل النار ؛ هذا إذا وقع في الكفر .

" وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ " وأيضا من عصى الرسول ﷺ بأن ارتكب الذنوب دون الكفر فإن مذهب أهل السنة والجماعة والسلف الصالح - رضوان الله عليهم -

(25) الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا ، إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ ، وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ .
الراوي : أبو هريرة ، المحدث : العقيلي ، المصدر : الضعفاء الكبير .

(26) سورة الجن الآية (23) .

أنه تحت المشيئة ؛ إن مات على التوحيد وعنده ذنوبٌ ومعاصي
هو تحت المشيئة

إن شاء الله غفر له ابتداءً فدخل الجنة وإن شاء عذبه ثم مصيره
إلى الجنة كما قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ
وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (٤٨) (2٦

وذكر النبي ﷺ (أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَأْمُرُ مَلَائِكَتَهُ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ
فِي قَلْبِهِ أَذْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ ثُمَّ يُرْسِلُهُمْ مَرَّةً أُخْرَى أَنْ
تُخْرَجَ مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى أَذْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ ثُمَّ
يُرْسِلُهُمْ مَرَّةً ثَالِثَةً أَنْ يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى أَذْنَى
مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ ثُمَّ يَقْبِضُ اللَّهُ قَبْضَةً يُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ)
(2٨ ﷻ مِمَّنْ مَاتُوا عَلَى التَّوْحِيدِ فَهُمْ لَا يَخْلُدُونَ فِي النَّارِ .

وهم كما سبق تحت المشيئة إن شاء الله غفر لهم ابتداءً وإن شاء
عذبهم وهذا هو مذهب السلف .

والشيخ - رحمه الله تعالى - أراد بقوله " وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ "
أي ومن كفر به بدليل قوله حين قال : " وَالدَّلِيلُ - قَوْلُهُ تَعَالَى - :
﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
رَسُولًا ﴾ (١٥) ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا
وَبِيعًا ﴾ (١٦) (2٩ فإذا مراده - رحمه الله تعالى - بقوله : " وَمَنْ
عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ " أي بالكفر والجحود والإشراك يستوجب النار
بذلك .

(27) سورة النساء الآية (48) .

(28) الراوي : أبو سعيد الخدري ، المحدث : مسلم ، المصدر : صحيح مسلم .

(29) سورة المزمل الآية (15 - 16) .

وإنما نبهتُ على مسألة أن من عصاه مع التَّوْحِيد لا يُخَلَّد في النَّار هو تحت المشيئة لأن هذه المسألة مسألة عظيمة حصل فيها التَّدليس والتَّلْبِيس ممن يُعرف بالخوارج وممن يُعرفون بالدَّواعش ونحوهم الذين يُكفِّرون أهل المعاصي من أهل الإسلام .

فإن أهل السنة والجماعة السلف الصالح يعتقدون ما دلت عليه الأدلة أن من مات على التوحيد ولو كانت عنده ذنوب أنه ليس بكافر وليس بمشرك ، وأن من كان حيًّا ممن وقع في الذنوب مع إتيانه بالتَّوْحِيد فهو مسلمٌ ناقص الإيمان مؤمنٌ بطاعته فاسق بمعصيته **ما الدليل ؟** .

الدَّليل قوله ﷺ (**حِينَ ذَكَرَ أَنَّ امْرَأَةً مِمَّنْ كَانَتْ قَبْلَنَا بَغِيًّا كَانَتْ زَانِيَةً تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ فَرَأَتْ كَلْبًا يَلْهَثُ فَنَزَعَتْ خُفَّهَا فَسَقَتْهُ مِنْ الْبُرِّ فَعَفَرَ اللَّهُ لَهَا**) (30)

جاء في قصة أحد الصحابة أنه كان يشرب الخمر فجُلد مرةً ومرتين وثلاثة فسبه بعض الصحابة فقال النبي ﷺ : (**لَا تَسْبِهِ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**) (31) ؛ فأثبت له محبة الله ورسوله مع إنه كان يشرب الخمر.

(30) إِنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا يَلْهَثُ عَلَى رَأْسِ رَكِيٍّ وَهُوَ يَطْلُعُ فِيهَا فَجَعَلَتْ خُفَّهَا وَنَزَعَتْ نَصِيْقَهَا فَأَسْقَتْهُ فَعَفَرَ اللَّهُ لَهَا . الراوي : أبو هريرة ، المحدث : ابن القيسراني ، المصدر : ذخيرة الحفاظ .

(31) كان نعيمان الأنصاري رجلاً مرآحاً فكان يشرب الخمر في المدينة ، فيؤتى به إلى النبي ﷺ عليه وسلّم فيضربه بنعله ، ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه ، قال له رجل من الصحابة : لعنك الله فقال له النبي ﷺ عليه وسلّم لا تفعل فإنه يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وكان لا يدخل المدينة رَسَلٌ ولا طَرْفَةٌ إلا اشترى منها ، ثم أتى بها النبي ﷺ عليه وسلّم ، فيقول يا رسول الله ، هذا قد اشتريته لك ، وأهديته لك فإذا جاء صاحبها يتقاضاه بالثمن جاء به إلى النبي ﷺ عليه وسلّم ، وقال يا رسول الله أعطه ثمن متاعه فيقول صلى الله عليه وسلّم : أولم تهذه لنا ؟ فيقول : يا رسول الله ، إنه لم يكن عندي ثمنه ، وأحببت أن تأكل منه فيضحك النبي ﷺ عليه وسلّم ويأمر لصاحبه بثمانه . الراوي : محمد بن عمرو بن حزم ، المحدث : العراقي ، المصدر : تخريج الإحياء .

فإذا مذهب أهل السنة والجماعة عدم تكفير صاحب المعصية
وكما في الآية السابقة ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا
دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (٤٨) وكما في الحديث القدسي
عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال : (يَا ابْنَ آدَمَ ، لَوْ لَقِيتَنِي
بِقَرَابِ الْأَرْضِ - أي بما يملأ الأرض خطايا - ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تَشْرِكُ
بِي شَيْئًا لَغَفَرْتُ لَكَ وَلَا أَبَالِي) (٣٤) هذه الأدلة تدل على أهمية
التوحيد وعلى أهمية تحقيق التوحيد وأن على المسلم أن يحرص
كل الحرص على معرفة التوحيد وعلى خطورة الشرك والبعد عنه
وأن الشرك يبطل العمل ؛ كما قال الله ﷻ مخاطباً نبيه ﷺ من
باب التحذير والتخويف وحاشاه ﷻ أن يقع في ذلك .

كما قال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ
لَشَرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٦٥) بَلِ اللَّهَ
فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٦٦) (٣٤)

فإذا هذه الأدلة فيها ردٌ على الدواعش فيها ردٌ على الخوارج الذين
يُكْفَرُونَ الناس بالذنوب والمعاصي ، أما سمعناهم - قَبَّحَهُمُ اللَّهُ
وقاتلهم أنى يؤفكون - أما سمعناهم يقولون : " قريبك أخوك
خالك ابن عمك يعصي فكفره ثم اقتله " أعوذ بالله من الضلال
أعوذ بالله من خبث الشيطان كما وصفهم النبي ﷺ بأنهم (ذَنَابٌ
فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ) (٣٥) ووصفهم ﷺ بأنهم (يَقْتُلُونَ أَهْلَ

(٣٢) سورة النساء الآية (48) .

(٣٣) الراوي : أنس بن مالك ، المحدث : شعيب الأرناؤوط ، المصدر : تخريج المسند .

(٣٤) سورة الزمر الآية (65 - 66) .

(٣٥) الراوي : حذيفة بن اليمان ، المحدث : الألباني ، المصدر : السلسلة الصحيحة .

الإِسْلَامَ وَيُتْرَكُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ) (36 ووصفهم ﷺ بأنهم (شَرُّ
الْخَلِيقَةِ) وأنهم (شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ) (37

لذلك لا يجوز الفرح بما يعملون ولا تجوز محبتهم ولا نصرتهم
ولا اعتقاد أنهم على حق ؛ بل يجب على كل مسلم ومسلمة أن
يعتقد أنهم على باطل وأنهم مفسدون وأنهم مبتدعة ضلال كما
حكم بذلك أهل العلم وكما بين ذلك أهل العلم .

إذا نعود لمسألتنا وهي : أن من عصى الرسول ﷺ بالكفر أو الشرك
أو إلحاد أو ما يخرج به عن الدين فهو من أهل النار .

قال : " وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا
عَلَيْكُمْ ﴾ (١٥) 38 ، هذا خطاب لنا أرسل الله لنا نبيه محمدًا
ﷺ شاهدًا علينا ؛ في ماذا يكون ﷺ شاهدًا علينا ؟ .

بأن بلغنا يعني ؛ شاهدًا عليكم أيضًا بأعمالكم في عهده عليه
الصلاة والسلام يعني في الصحابة ، وأيضًا شاهدًا علينا بأنه يشهد
أنه بلغ هذه الأمة ما أمره الله به كما سبق معنا في حجة الوداع
حين قال عليه الصلاة والسلام : (أَلَا هَلْ بَلَغْتُ اللَّهْمَ فَاشْهَدْ ،
اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ) ، إذا رسولًا شاهدًا عليكم وكل نبي يأتي مع أمته
يشهد عليها بأنه قد بلغها ما أمره الله به .

(36) الراوي : علي بن أبي طالب ، المحدث : الألباني ، المصدر : تخريج كتاب السنة .

(37) الراوي : أبو غالب الراسبي ، المحدث : الترمذي ، المصدر : سنن الترمذي .

(38) سورة المزمل الآية (15) .

قال : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ (١٥) ﴿ ٣٩ ﴾ وهو موسى - عليه الصلاة والسلام - ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ (40)؛ كفر به وجحد ولم يؤمن به .

ما كان عقابه ؟

قال : ﴿ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾ (١٦) .

أي أخذنا فرعون أخذًا شديدًا بإغراقه وجنوده الذين معه في البحر فلم يفلت منهم أحد ثم بعد ذلك في عذاب القبر إلى يوم القيامة يعرضون كما قال الله ﷻ : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ (٤٦) ﴿ 41 ﴾ فيعرضون في قبورهم ويُعَذَّبون غُدُوًّا في أول النهار وعَشِيًّا في آخره ويوم القيامة عاقبتهم أنهم في النار ﴿ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ (٤٦) ﴿ 42 ﴾

إذا هذه المسألة الأولى توحيد الربوبية .

والشيخ رحمه الله ذكر توحيد الربوبية لذكرنا جميعًا أن الأمر كله لله وأن المستحق للعبادة هو الله ﷻ وأن الله ﷻ هو المتصرف في هذا الكون وأن ما سواه عبادٌ له من الملائكة ومن الإنس ومن الجن ؛ فلا يجوز أن نعتقد في أحدٍ أن بيده شيئًا من الأمر بل الأمر كله بيد الله ﷻ .

(39) سورة المزمل الآية (15) .

(40) سورة المزمل الآية (16) .

(41) سورة غافر الآية (46) .

(42) سورة غافر الآية (46) .

كلنا نؤمن بأن الله خالق رازق وأنه ﷻ بعث إلينا رسولاً فيجب علينا أن نؤمن بهذا وأن نتذكر هذا وأن لا يصرفنا الشيطان عن هذا الأمر .

لذا رتب على هذا الأمر المسألة الثانية وهي توحيد الألوهية فقال :

" أَنْ مِمَّا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَهُ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ " ، لابد أن نوقن بهذه المسألة وأن نعتقدها ، أنه لا يجوز أن نشرك مع الله أحدا ؛ لا يجوز أن نصرف أي نوع من أنواع العبادة من الدعاء والطواف والنذر والذبح وغير ذلك ؛ أي نوع من أنواع العبادة لا تُصرف إلا لله ﷻ فمن صرفها لغير الله ؛ فليعلم أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته .

" لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ " لا جبريل ولا ميكائيل ولا إسرافيل ولا غيرهم من الملائكة ؛ الله ما يرضى أن تشركهم معه في عبادته
لماذا ؟

لأنه هو الخالق ، هو الرازق ، هو الرب ﷻ وما سواه مخلوقون .

فكيف تجعل المخلوق كالخالق ؟!

كيف تعتقد أن المخلوق يستطيع أن يتصرف في هذا الكون أو أن ينفعك أو أن يضرك وهو مخلوق مثلك عبد مثلك ؟!

كيف تعتقد مثل هذا الأمر الضال ؟

لذلك يجب أن تعلم أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في

عبادته لا ملكٌ مُقرب ولا نبيُّ مرسل ، فالله ﷻ كما قال : ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۚ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ (٧) (43) .

وقال : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (٣) (44) أي ولم يرض غيره ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (45)

وقال : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (46)

والإسلام هو الاستسلام لله والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك ، فاعلم يا عبد الله هذا الأمر .

" وَلَا نَبِيَّ مُرْسَلٌ " لا نوح ولا موسى ولا عيسى ولا محمد وهو أفضلهم - عليه الصلاة والسلام - ، سيد ولد آدم ، صاحب اللواء والمقام المحمود - عليه الصلاة والسلام - ؛ صاحب لواء الحمد وسيد ولد آدم - عليه الصلاة والسلام - ؛ فإن الله ﷻ لا يرضى أن يشركه معه ؛ بل ولا الأنبياء ولا الملائكة لا يرضون أن يشركهم مع الله ﷻ ويوم القيامة يتبرؤون ممن عبدتهم ويذكرون أنهم لا يعلمون بهم ولم يأمرهم بذلك فإذا على المسلم أن يتنبه لهذا الأمر.

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : " وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (١٨) (47) ؛ أي الدليل

(43) سورة الزمر الآية (7) .

(44) سورة المائدة الآية (3) .

(45) سورة آل عمران الآية (19) .

(46) سورة آل عمران الآية (58) .

(47) سورة الجن الآية (17) .

على أن الله ﷻ لا يرضى أن يشرك معه ، أن الله ﷻ يقول : ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (48) ههنا أن ندعو معه أحدًا كائنًا من كان .

" وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ " ما المراد بالمساجد ؟ .

المساجد إما الأماكن المخصصة للصلاة ؛ هذا معنى .

ومعنى آخر أن المساجد هي أعضاء السجود ؛ يعني الوجه ومنه الجبهة والأنف واليدين والركبتان والقدمان ؛ هذه أعضاء السجود التي تسجد لله ، هذه المساجد التي تسجد لله لا تكون لغير الله ﷻ ولا تُصرف لغير الله ﷻ ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ وقوله ﷻ ﴿ أَحَدًا ﴾ ؛ يعني لا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا ولا وليًا ولا غيرهم ؛ لا دعاء عبادة ولا دعاء مسألة ولا أي نوع من أنواع العبادة إنما هي لله .

والله ﷻ هنا قال : ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ فذكر ﷻ أن لا ندعو مع الله أحدًا والمعنى أن لا ندعو مع الله أحدًا ولا أي نوع من أنواع العبادة نصرفها لغير الله **ما الدليل ؟ .**

الدليل أن الرسول ﷺ يقول : **" الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ "** (49) يعني أعظم أنواع العبادة ومن أعظم أنواع العبادة دعاء الله ﷻ وتوحيده بالدعاء وإخلاصه بالدعاء له ﷻ .

هذه المسألة المسألة الثانية هي توحيد الألوهية المترتبة على توحيد الربوبية فلا بد أن نعي هذا الأمر .

(48) سورة الجن الآية (17) .

(49) الراوي : النعمان بن بشير ، المحدث : أبو داود ، المصدر : سنن أبي داود .

وكما جاء في الحديث القدسي عن النبي ﷺ في ما يرويه عن ربه
يقول الله ﷻ : (**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ**) الله ﷻ يقول تأملوا
(**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَّشْرِكَ فِيهِ غَيْرِي**
تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ) (50) يعني لم يقبله .

فإن الله ﷻ يقول كل شريك مع شريكه قد يفرح به وقد يحتاج إليه
وقد يستعينه ولكن أنا الله الأحد الصمد الفرد ، أنا لا أحتاج إلى
شريك ولا أرضى بشريك فمن عبدني وأشرك معي غيري فإني أتركه
ولا أقبل منه .

(**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ**
يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾) (51) فإذا علينا أن نتنبه
لهذا الأمر ؛ وسيفصل شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -
رحمه الله تعالى - أنواع العبادة ويذكرها لنا وسنقف معها واحدة
واحدة بإذن الله تعالى .

(50) الراوي : أبو هريرة ، المحدث : ابن حزم ، المصدر : المحلى .

(51) سورة الإخلاص .

الدرس الرابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ
يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرِّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلِّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلِّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلِّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أما بعد :

قال : - رحمه الله تعالى - : " **الثَّالِثَةُ** " ؛ أشار إلى مسألة الولاء
والبراء .

ولماذا يشير إلى مسألة الولاء والبراء ؟

لأن من الأمور التي قد تحرف الإنسان عن الحق وتضله وتجعله
مع المشركين ، قضية الولاء والبراء ، قضية الولاء والبراء ، هذه
المسألة من المسائل المهمة التي يجب أن نفهمها وأن نتعلمها
وأن لا نقع فيما يخالفها لأنه سياترّب عليها أمور عظيمة .

فالولاء : بمعنى المحبة والنصرة والتولي .

والبراء : بمعنى التبرّي والترك والخلوص من الشرك وأهله .

يقول الشيخ - رحمه الله تعالى - " **الثالثة** : **أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ ، وَوَحَّدَ اللَّهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةٌ مِّنْ حَادِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ** " مراده بموالاته من حاد الله ورسوله ؛ أي محبته على الكفر الذي هو عليه ونصرته على أهل الإسلام والفرح بنصره ومحبة نصرتهم على أهل الإسلام ؛ فإن هذا النوع من الولاء كفرٌ مخرج من الملة .

قال : " **وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ ﴾ (52) ؛ أي يحبون .**
﴿ يُوَادُّونَ مِّنْ حَادِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ؛ أي من كفر .
﴿ وَلَوْ كَانُوا ﴾ ؛ أي هؤلاء الكفار .

﴿ آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ ؛ فذكر أقرب قريب الذي قد يصعب على الإنسان تركه ؛ ولكن يسهل على المؤمن تركه لأنه يتركه لله كما تبرأ إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - من أبيه ومن قومه حين عبدوا وأشركوا من دون الله ﷻ ، حين عبدوا النار وأشركوا من دون الله ﷻ فإنما ذكر الله ﷻ هؤلاء الأقرباء ليقول لنا إن من سواهم من باب أولى وإن الأبوة أو البنوة أو الأخوة أو القربى بالعشيرة لا مكان لها مع الكفر ولا اعتبار لها مع الكفر .

لذا كان الصحابة - رضوان الله عليهم - منهم من قتل أباه حين قتله وهو كافر ، ومنهم من قتل ابن عمه لأنه كافر وأراد مقاتلة الرسول وأصحابه فقتلهم لذلك .

(52) سورة المجادلة (22) .

لذلك قال الله ﷻ عن أولئك ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢٢) 53

فالمؤمن كما يقول الله ﷻ لا يتصور منه أن يقع في هذا الأمر أن يحب هؤلاء الكفار لكفرهم وأن ينصرهم .

فمن حقق البراءة فالله ﷻ أخبر بأنه يثيبه ويجازيه بأمر منها :

- جمع الإيمان في قلبه : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ .
- ومنها دخول الجنة : ﴿ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ .

- ومنها رضى الله ﷻ : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ .
- وأيضا أنهم يرضوا وكما قال الله ﷻ : ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (٧٢) 54

- وأيضا إكرام الله ﷻ لهم بأنهم حزب الله ﷻ .

قال السعدي - رحمه الله تعالى - : (من يزعم أنه يؤمن بالله واليوم الآخر وهو مع ذلك موادٍ لأعداء الله محبٌّ لمن نبذ الإيمان وراء ظهره فإن هذا الإيمان زعمي لا حقيقة له) يعني مجرد زعم مجرد قول لا يتبعه فعل لا حقيقة له فإن كل أمر لابد له من برهان يصدقه ؛ يعني من دليل يصدقه فمجرد الدعوى لا تفيد شيئا ولا يصدق صاحبها انتهى .

(53) سورة المجادلة (22) .

(54) سورة التوبة (72) .

فإِذَا عَلِينَا أَن نَعْلَمَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ جَيِّدًا ، أَن مَوَالَاةَ الْكَافِرِينَ
وَتَوَلَّيْهِمْ كُفْرٌ مَّخْرُجٌ مِنَ الْمِلَّةِ .

متى تكون كفرًا مخرجًا من الملة ؟

- إذا كانت موالاتهم من باب توليهم محبة الشرك الذي هم عليه
 - ومحبة أهله .
 - ومحبة نصرة الكفار على المؤمنين أو الفرح بنصرتهم على المؤمنين أو إعانتهم على المؤمنين ومظاهرتهم على ذلك ؛
فهذا كفرٌ أكبر كما قال الله ﷻ : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ (٥١) 55 كما قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - في "رسالة نواقض الإسلام الثامن" أي من نواقض الإسلام : (مظاهره المشركين ومعاونتهم على المسلمين ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾) .
- هذا النوع من الموالاة كفرٌ مخرجٌ من الملة .

هناك نوعٌ آخر من الموالاة ليس بكفرٍ ولا يخرج من الملة ؛ ولكنه محرّمٌ وكبيرٌ من كبائر الذنوب.

ما هي هذه الموالاة ؟

هي المودة والصداقة ضد المعادة والمحاداة ؛ كما قال شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - : (الولاية ضد العداوة والولاية تتضمن المحبة والموافقة والعداوة تتضمن البغض والمخالفة) .

(55) سورة المائدة (53) .

فإذا ضابط المولاة التي هي من باب المعصية وليست بكفر من باب الكبيرة من كبائر الذنوب هي محبة أهل الشرك لأجل الدنيا لا لأجل الدين ، إذا كانت لأجل الدين فهذه كفر أكبر كما سبق ، وأما إذا كانت لأجل الدنيا فإنها ليست بكفر ؛ بل كبيرة من كبائر الذنوب كما قال الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ (١) ﴿ قَسَمَاهُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ (١) ؛ أي بالمحبة لأموال الدنيا .

قال شيخ الإسلام : (وقد تحصل للرجل موادتهم لرحمٍ أو حاجةٍ فتكون ذنبا ؛ ينقص به إيمانه ولا يكون به كافراً كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة حينما كان عمله ذنباً وتاب الله ﷻ عليه وغفر الله له رضي الله عنه وأرضاه) .

فإذا لابد أن نعرف الفرق بين الموالاة الكفرية والموالاة التي هي ليست بكفرية ، والعلماء يطلقون على الموالاة الكفرية ؛ التولي لما فيها من محبتهم ونصرتهم وما سبق .
وأما الموالاة التي لأجل الدنيا فإن العلماء لا يجعلونها من باب التولي بل يجعلونها من باب الذنوب وكبائر الذنوب .
فالمحبة للكافرين لدينهم ؛ كفرٌ .

والمحبة للكافرين للدنيا ؛ معصية وكبيرة من كبائر الذنوب .

ونوعٌ ثالث لابد أن نعرفه وأن نفرّق بين المحبة لهم للدنيا وبين مجرد التعامل معهم .

(56) سورة الممتحنة (1) .

فإن التعامل مع الكفار في تجاراتٍ ونحوها وفي معاهدات دولية ونحو ذلك مما لا يخالف شرع الله ؛ فإن هذا التعامل لا يقتضي محبتهم ولا يقتضي موالاتهم ؛ بل هذه معاملة دنيوية ليست بإثم وليست بذنب ؛ بل هي أمر مباح ، فالصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا يتبايعون ويشترون من اليهود والنصارى في المدينة.

بل النبي ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهودي ﷺ فينبغي أن نفرق بين أنواع الموالاة هذه الثلاثة وحكم كل نوع .

فإن بعض الناس من التكفيريين ؛ من الدواعش والخوارج وتنظيم القاعدة وغيرهم من التكفيريين كجبهة النصرة وغيرهم من التكفيريين يُلبَّسون على الناس دينهم فيزعمون أن محبة الكافرين للدين ؛ كفر وأن التعامل مع الكافرين ولو كان بلا محبة لهم هي محبة وكفر !! .

فيكفرون الناس من هذا المنطلق وهذا بلا شك خطأ وتلبس على الناس .

- فقد بيّنا الفرق بين الأنواع الثلاثة :

- فالنوع الأول :

الموالاة بمعنى التولي ؛ محبتهم لدينهم ، ونصرتهم لدينهم ، والفرح بنصرهم على المؤمنين ، ومظاهرتهم على المؤمنين ؛ فهذه كفر أكبر مخرج من الملة .

- ولا يتصور من مسلم أن يقع في هذا الأمر ، كيف يفرح المسلم بنصرة الكافر على المؤمنين ؟! .

- كيف يحب المسلم للكافر أن ينتصر على المؤمنين ؟! .

- كيف يقاتل المؤمنون مع الكافرين ؛ من باب قتل المؤمن ونصرة الكافر ؟ ! .

لا بد أن نعرف هذا الفرق فإن هذا كفرٌ مخرج عن الملة .

- وأما النوع الثاني :

أن يحب المسلم الكافر للدنيا ؛ فإن هذا كبيرة من كبائر الذنوب ، ليس بكفر كما يقوله التكفيريون ، وإنما هو ذنب .

ومن هنا لا بد أن ننبه إلى أنه لا يجوز حب لاعبين الكرة من الكافرين ، ولا يجوز محبة الفنانين والفنانات والممثلين والممثلات والمغنيين والمغنيات من الكافرين ، هم أصلاً لو كانوا مسلمين ينبغي للمسلم أن يُبغض ما هم عليه من فسق ، ولا يكفرهم إن كانوا مسلمين ، وأما إن كانوا مع هذا الفجور الذي هم عليه كانوا كفاراً كأن يكونوا يهوداً أو نصارى أو ملحدين ؛ فإن على المسلم أن يُبغضهم ، ويحرم عليه أن يحبهم أو أن يعلق صورهم أو أن يفعل مثلهم أو أن يتتبع أخبارهم محبة لهم ؛ فإن هذا من الموالاة المحرمة وهي كبيرة من كبائر الذنوب ؛ إن كان حبهم لأجل الدنيا لا لدينهم وكفرهم فهذا ليس بكفر ؛ بل كبيرة من كبائر الذنوب فنتنبه لهذين الأمرين .

الأمر الأول من يستغل هذا النوع ويكفره ، فنقول له " لا " ليس بكفر لأن الله يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ فسماهم مؤمنين ولم يكفرهم الله ﷻ لأن

هؤلاء أو بعض هؤلاء الذين خاطبهم الله إنما وقعت منهم محبتهم لهم للدنيا لا للدين فلذلك لم يكفروا .

والتنبيه الثاني ؛ التنبيه على إخواننا المسلمين وأخواتنا المسلمات أن لا يحبوا الكافرين من الممثلين والممثلات ولاعبين الكرة وغيرهم حتى ولو كانوا مفكرين ، أو كانوا يعني ممن لهم وجاهات في الدنيا فإن أمثال هؤلاء يُبغضون في الله ، ويُتبرأ منهم في الله ، ولا يُحبون ؛ لأن المؤمن يترفع عن هؤلاء .

- **وأما النوع الثالث ؛** وهو التعامل مع الكفار بيعًا وشراءً ونحو ذلك ؛ بل حتى المسلم يتزوج النصرانية والكتابية - يعني - من اليهود والنصارى فقد أذن به الشرع ، ولا يُعتبر هذا من باب محبتهم لدينهم ، ولا من باب محبتهم لدنياهم فينبغي للمسلم أن يعرف هذا الأمر وأنه ليس بكفرٍ وليس بمعصيةٍ أصلاً ، هذا النوع الثالث ؛ المعاملة مع الكافرين لأجل الدنيا .
ثم شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - بعد أن بيّن هذه الأمور الثلاثة :

توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ومسألة الولاء والبراء ؛ وهي كما سبق من المسائل المهمة والمسائل العظيمة التي ينبغي للمسلم أن يعتني بها وأن يتفهمها وأن يعرف مقاصدها فلا يدعو إلا الله ولا يعبد إلا الله ولا يصرف أي شيء إلا لله ﷻ .

وأن يعلم أن ما وقع فيه بعض المسلمين - هدايا الله وإياهم للصواب - من اعتقادات باطلة وبعض الاعتقادات الكفرية أو الشركية ما وقع فيه بعض الناس من المسلمين أن هذا أمرٌ خطأ ؛ من الذبح لغير الله أو الطواف على القبور أو دعاء غير الله أو

اعتقاد أن السيّد الفلاني ينفع ويضر أو مدد يا فلان أو نحو ذلك من الأدعية أو نحو ذلك من الاستغاثات بالأموات والأولياء أو أن الشيخ الولي يعرف ما في قلبي ؛ فكل هذا من الباطل كل هذا من الخطأ العظيم .

إخواني وأخواتي المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ؛ أخطبكم بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ وما كان عليه سلف الأمة احذروا احذروا احذروا من الشرك وصوره ، احذروا من هذا الضلال ؛ دعاء الأموات الطواف حول القبور الذبح لغير الله .

اسأل نفسك ؟

هذا الميت أصبح ترابًا ما الذي يفيدني ؟!

وما الذي بيده ؟!

هل يستطيع أن ينفع نفسه حتى ينفعني أنا ؟!

اسأل نفسك ؟

ذاك الولي ما الذي يُعلمه الغيب والله ﷻ يقول : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (٦٥) ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﷻ .

فكيف يعلم هذا الولي الغيب ؟!

من الذي أطلعه ؟!

(٥٧) سورة النمل (65) .

الرسول ﷺ يُسأل عن مسائل ويقول لا أدري ويقول لا أعلم
الغيب ، فكيف يعلم هذا الولي المزعوم أنه يعلم الغيب ؟!
وكيف تصدقه ؟!

فإن هؤلاء ولو أخبروكم ببعض الأمور وقد وقعت ؛ فإن هذا دليلٌ
على تعاونهم مع الشياطين الذين يسترقون السمع ، فلا
تصدقوهم ولا تؤمنوا بهم ولا تسلموهم قلوبكم وعقولكم .
سلموا قلوبكم وعقولكم لله ولسنة رسوله ﷺ ولدينه الإسلام الذي
جاء به .

كيف تشرك مع الله ﷻ وكيف تدعو مع الله غيره ؟!
راجع نفسك وحاسب نفسك وسل نفسك ؛ هل هذه الأفعال
تقربني من الله ؟!

هل هذه الأفعال يرضاها الله ؟ ! .

لماذا بعث الله الرسول ﷺ ؟ ! .

وما الذي جاء به الرسول ﷺ ؟ ! .

إنما بعثه لنعبده وحده ﷻ وإنما جاء ﷺ بتوحيد الله وبتقريره حتى
قبل موته - عليه الصلاة والسلام - كان يدعو إلى التوحيد (لَعْنَةُ
اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ) (58)
لعن الذين اتخذوا قبور الأنبياء مساجد ؛ فكيف بمن اتخذ قبور
الأولياء وبعضهم في حقيقة أمرهم ليسوا بأولياء لله ؛ ولكن من

(58) الراوي : عبدالله بن عباس وعائشة ، المحدث : البخاري ، المصدر : صحيح البخاري .

دُعِيَ من الأولياء وهو غير راضٍ ، فكيف بدعاء غير الأنبياء والرسل !

لاشك أنهم داخلون في قوله ﷺ : (لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ) فمن دعا هؤلاء من دون الله قد استحق اللعن ، (لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ) (59) كما قال - عليه الصلاة والسلام - (لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ) .

إخواني أخواتي هذا هو الدين الحق هذا هو الإسلام ، والله لن ينفعكم فلان وفلان إن متم على الشرك وإن متم على الكفر ، والله هؤلاء الذين تتبعونهم من دون الرسول ﷺ يوم القيامة يتبرأون منكم إن كانوا هم أولياء لله حقًا فيتبرأون منكم ، وإن كانوا أولياء للشياطين وأوهموكم أنهم أولياء لله ؛ يوم القيامة كلكم في النار؛ مَنْ مات على الشرك والكفر كلهم في النار ويتبرأون منكم ، الذي يهددك في الدنيا يتبرأ منك في الآخرة **لماذا ؟**

لأنه في حقيقة أمره ليس بيده شيء ولا يستطيع شيء ؛ لأن الأمر كله لله .

من أعظم من الله ؟!

من الخالق من المستحق لكل هذه العبادات ؟!

هو الله وحده لا شريك له .

تأملوا عباد الله تأملوا إخواني وأخواتي هذه المعاني راجعوا أنفسكم وحاسبوها قبل أن تُحاسَبوا .

(59) الراوي : عبدالله بن عباس ، المحدث : الألباني ، المصدر : السلسلة الصحيحة .

أَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَنْفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا سَمِعْنَا وَأَنْ يَكُونَ حُجَّةً لَنَا لَا حُجَّةَ عَلَيْنَا .

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

الدرس الخامس

من

شرح الأصول الثلاثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ
يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرُّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أما بعد :

فلا زال الحديث مستمراً عن الأصول الثلاثة التي ألفها شيخ
الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - وكنا قد
تدارسنا فيما سبق المسائل الأربعة التي ذكر شيخ الإسلام محمد
بن عبد الوهاب أنه يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلموها
وهي : العلم ، والعمل ، والدعوة إلى ذاك العلم والصبر على الأذى

بعد بيانه ونشره للناس ، ثم ذكر - رحمه الله تعالى - ثلاثة مسائل لا بد أيضًا أن نتعلمها .

وهي المسألة الأولى : المتعلقة بتوحيد الربوبية بأن الله ﷻ هو الرب الخالق الرازق الذي بيده الأمور كلها وأنه ﷻ لم يتركنا هملاً بل أقام علينا الحجة بإرسال الرسل .

فالواجب الإيمان به ﷻ واعتقاد أنه قادر على كل شيء .

وأن الخلق خلقه والكون ملكه وأنه أرسل إلينا رسوله محمداً ﷺ لنطيعه فيما أمر ونجتب ما نهى عنه وزجر فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار .

وأما الثانية : في توحيد الألوهية أن الله ﷻ لا يرضى أن يشرك معه أحدٌ في عبادته لا ملكٌ مقرب ولا نبيٌ مرسل .

وأما المسألة الثالثة : ففي الولاء والبراء فالمسلم يوالي المؤمنين ويتبرأ من الكافرين ولا يواليهم وقد مر معنا ما يتعلق بالولاء والبراء وأنواع الموالات وحكم كل نوع فقلنا إذا كانت الموالات هي التولي في الدين وحب نصر الكافرين على المؤمنين وإعانتهم على المؤمنين فهي موالات كفرية وإذا كانت محبة الكفار للدنيا فهي ليست بكفرية ولكنها كبيرة من كبائر الذنوب .

وإذا كانت معاملته الكفار في أمور الدنيا بلا محبة فهذه معاملَةٌ جائزة ليست بكفرية وليست من باب كبائر الذنوب بل هي مباحة كما مر معنا في اللقاء الماضي .

وفي هذا اللقاء - بإذن الله تعالى - ندخل إلى درس جديد وفوائد عظيمة من شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى

- حيث قال : " اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين وبذلك أمر الله الإنس والجن وخلقهم لها .

كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) ﴿١﴾ معنى يعبدون يوحدون .

وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة .

وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعوة غيره معه .

والدليل قوله - تعالى - : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ (٦١) ﴿٢﴾

فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ؟

فقل : معرفة العبدربه ، ومعرفة العبددينه ، ومعرفة العبدنبيه محمدا صلى الله عليه وسلم .

" فإذا قيل لك "من ربك ؟

فقل ربي الله الذي رباني ، ورب جميع العالمين بنعمه ، فهو معبودي ليس لي معبود سواه " والدليل قوله - تعالى - : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ﴿٣﴾ 61

و كل ما سوى الله عالم و أنا واحد من ذلك العالم .

في هذه الكلمات التي أصّل فيها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - هذه الأصول النافعة الجامعة ، يقول

(60) سورة الذاريات (56) .

(61) سورة النساء (36) .

(62) سورة الفاتحة .

- رحمه الله تعالى - : " **اعلم أرشدك الله لطاعته** " اعلم كما مر معنا أي تيقن ولا يكن عندك شك .

لماذا ؟

لأنه حق أقيمت عليه الحجج والأدلة ولأنه يقين لأنه مبني على وحي من الله ﷻ فاعلم متيقنًا لا شك عندك ولا اضطراب واجزم بالحق لأنك على الحق ب - إذن الله تعالى - .

" **اعلم أرشدك الله لطاعته** " : أرشدك بمعنى وفقك وجعل لك الرشد في أمرك ، أرشدك الله لطاعته فالله ﷻ يوفق من يشاء من عباده لطاعته .

فأسأل الله ﷻ أن يجعلني وإياكم ممن وفقهم الله - تعالى - لطاعته .

ما الذي تعلمه ؟

وما الذي تتيقنه ؟

يجب أن تتيقن أن الحنيفية هي أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين وهذه هي ملة إبراهيم - عليه السلام - فقله " **أن الحنيفية ملة إبراهيم** " **ما هي الحنيفية ؟**

وما هي ملة إبراهيم ؟

هي أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين .

فإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - إمام الحنفاء الذي قال الله ﷻ فيه ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنْ

الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ 63 وقال أيضًا : ﴿ مَلَّةٌ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ
سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ ﴿٧٨﴾ 64 وقال الله ﷻ ﴿ ثُمَّ
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنْ
الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١٢٣﴾ 65 فهذه الملة أي الدين والطريقة التي
كان عليها نبي الله إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - والتي أمرنا الله
ﷻ وأمر نبينا محمدًا ﷺ أن يتبعها .

ما هي هذه الحنيفية ؟

- هي أن تعبد الله مخلصًا له الدين .

وقوله " **أن تعبد الله وحده** " تأكيدًا لإفراد الله بالعبادة ثم أكدّه
أيضًا بقوله " **مخلصًا له الدين** " أي لا تشرك معه أحدا .

لأن المخلص هو من أفرد الله وحده بالعبادة ، وهذه هي ملة
إبراهيم - عليه السلام - .

لماذا قيل لملة إبراهيم عليه السلام بأنها الحنيفية ؟

لأن أبانا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - مال عن طريق الشرك
إلى التوحيد وإلى إفراد الله بالعبادة وكَفَرَ بما يُعبد من دون الله ﷻ
ولذلك الأحنف في لغة العرب هو الذي في قدمه ميل فإبراهيم -
عليه الصلاة والسلام - مال عن ما كان يعبد أبوه وقومه من دون
الله ﷻ ، وكفر بما يعبدون من دون الله ﷻ ، و آمن بالله ﷻ .

لذلك ينبغي للمسلم أن ينظر هل هو يعبد الله ﷻ وحده لا شريك
، فلا يصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله ﷻ فهو على ملة

(63) سورة النحل (120) .

(64) سورة الحج (78) .

(65) سورة النحل (132) .

أبينّا إبراهيم ، على الحنيفية السمحاء ، التي فيها صرف جميع أنواع العبادة لله ﷻ من دعاءٍ و خوفٍ و رجاءٍ إلى آخره كما سيأتينا - إن شاء الله تعالى .

- قال " وبذلك أمر الله الإنس و الجن " بذلك ؛ ما الأمر الذي أمر الله ﷻ به الإنس و الجن ؟

- هو أن نعبد الله مخلصين له الدين .

قال " وبذلك أمر الله الإنس و الجن " لأنهم مكلفون ، أي عاقلون بالغون ، وكلفوا بهذه العبادة فهم محاسبون على ما كُلفوا به .

قال " وبذلك أمر الله الإنس و الجن وخلقهم لها " قوله خلقهم أي أن الله ﷻ خلق الإنس و الجن لعبادته ، فمن آمن واتبع الصراط المستقيم نجا ، ومن كفر وتولى فلا يضر إلا نفسه ويهلك مع الهالكين .

لذلك على كل مسلمٍ ومسلمة أن يحرصوا على تحقيق التوحيد ، على تحقيق عبادة الله وحده لا شريك له ، لأن الله ﷻ أمرنا بذلك وخلقنا لعبادته.

قال المصنف - رحمه الله تعالى - : كما قال الله - تعالى - : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) أي والدليل على ما قلت لك من أن الله ﷻ أمر بذلك وخلقنا لعبادته هو - قوله تعالى - : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ومعنى

(٥٦) سورة الذاريات (56) .

يعبدون : أي يوحدون أي : يفرّدوني بالعبادة فلا يصرف أي نوع من أنواع العبادة لغيري .

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ فالله هو الذي خلقنا ﷻ فهل يليق بنا وقد خلقنا الله ﷻ وأوجدنا من العدم أن نصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله ﷻ ، نصرّفها لمخلوقين أمثالنا أم نصرّفها لله ﷻ الذي خلقنا وأوجدنا من العدم .

قوله ﴿ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ قال ابن عباس أي يوحدون ، فجميع العبادات لله ﷻ كما قال - عز شأنه - : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦٢) ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ﴾ (٦٦) والله أمرنا أيضًا بعبادته كما قال ﷻ : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (٥) (٦٨) فبين ﷻ أنه أمرنا بعبادته بل ومخلصين له الدين .

ما معنى مخلصين له الدين ؟

أي لا نصرف أي نوع من العبادة إلا لله ﷻ وبذلك نكون حنفاء أي نعبد الله ﷻ ولا نشرك به شيئاً .

ثم قال - رحمه الله تعالى - : " وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو أفراد الله بالعبادة " ، أعظم ما أمر الله به التوحيد ، الله ﷻ أرسل رسله وأوحى إلى أنبيائه - صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين - واختلفت شرائعهم ، فأرسلهم الله ﷻ في كل زمن بما شاء من عبادات إلا أن هؤلاء الرسل والأنبياء - عليهم صلوات ربي

(٦٧) سورة الأنعام (162) .

(٦٨) سورة البينة (5) .

وسلامه - وإن اختلفت شرائعهم وعباداتهم إلا أنهم جميعًا متفقون على توحيد الله ﷻ وعلى تحريم الشرك به ﷻ وهذا يدل على عظمة التوحيد ، وعلى أهميته فأعظم ما أمر الله ﷻ به التوحيد .

ما الدليل على هذا ؟

الدليل على هذا الآيات والأحاديث وأقوال السلف المتواترة في بيان التوحيد .

فالتوحيد حق الله على العباد ، والتوحيد لأجله خلق الله العباد ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ أي يوحّدون .

والتوحيد هو الأساس الذي تُبنى عليه العبادة فمن صح توحيدَه صح وقُبِلَ منه باقي عمله ، ومن فسد توحيدَه لن يقبل منه سائر عمله .

ما الدليل ؟

الدليل قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (١١٦) ﴿ ٦٩ ﴾ فبيّن ﷻ أنه إذا مات العبد على الشرك لا يغفر له أبداً .

وأما إذا لم يمت على الشرك بل مات على التوحيد وعنده ذنوب ومعاصي فهو تحت المشيئة ، إن شاء غفر الله له ابتداءً فأدخله الجنة ، وإن شاء عذبه ولكن يخرج من النار ويدخل الجنة كما أفادته الأحاديث التي ذكر فيها النبي ﷺ : (أن الله يُخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان إلى أن قال أدنى أدنى

(⁶⁹) سورة النساء (116) .

أدنى مثقال ذرة من إيمان) وهو التوحيد ، وفي الحديث القدسي
عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه (يا ابن آدم لو لقيتني بقراب
الأرض " بملء الأرض " خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا " أي
مؤحد " لغفرت لك و لا أبالي) .

فبيّن ﷺ أن العبد لو جاءه مؤحد وعنده ذنوب قد يغفرها الله ﷻ له
ولا يبالي مادام أنه على التوحيد .

وأما الكفار فانظروا إلى - قوله الله تعالى - : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا
مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ (٢٣) أي هباءً مثل
الذرات التي نراها في الهواء ، لا وزن لها ولا قيمة ، ولا تنفع
صاحبها فهذا هو حال الكافرين .

لذلك المصنف - رحمه الله تعالى - بيّن أن أعظم ما أمر الله به
التوحيد .

كما سبق هو الأساس ، ومعنى التوحيد إفراد الله ﷻ بالعبادة
 وإفراد الله ﷻ بأفعاله وإفراد الله ﷻ بأسمائه وصفاته .

فهذا أعظم ما أمر الله به من العبادات ، بعض الناس قد يهتم
بالصلاة ويهتم بالحج ويهتم بسائر العبادات ولكن لا يهتم
بالتوحيد ، فقد يقع في ما يخالفه وهو لا يعلم ، فقد يذبح لغير
الله أو يدعو غير الله أو يتعلق قلبه بغير الله ﷻ فيأتي بما يناقض
التوحيد أو يخالفه أو ينقصه .

لذلك العلم بهذه الأمور ينفع العبد - بإذن الله تعالى - في تجنب
ذلك الباطل وذلك الكفر والشرك .

(70) سورة الفرقان (23) .

قال الشيخ : " وأعظم ما أمر الله به التوحيد ، وهو أفراد الله بالعبادة "

فأي نوع من أنواع العبادة لا تُصَرَفُ إلا لله ، وأعظمها الدعاء كما قال النبي ﷺ : (الدعاء هو العبادة) وسيأتي - إن شاء الله - ذلك .

و تأملوا - بارك الله فيكم - في قول الشيخ " وأعظم ما أمر الله به التوحيد " حيث بين أن التوحيد هو أعظم الأمور فقولوا لي بربكم ما صحة حال أناسٍ يعتبرون التوحيد أنه يفرّق الجماعة ، وما صحة دعوة أناسٍ يزعمون أن توحيد الله فيه إهانةٌ واحتقارٌ للأولياء ، وأن توحيد الله ﷻ أمرٌ غير مهم فلا شك أن هذا كله من تزيين الشيطان ، وإضلاله لبني الإنسان .

فلا بد أن نتيقن وأن نعلم أن التوحيد هو أعظم العبادات التي أمر الله ﷻ بها ، وأرسل بذلك رسله - عليهم الصلاة والسلام - .
إفراد الله بالعبادة أي لا تشرك به شيئاً ولذلك ، قال الشيخ - رحمه الله - " وأعظم ما نهى عنه الشرك ، وهو دعوة غيره معه "

دعوة غيره معه ، فالشرك أعظم ما نهى عنه ، قال الله ﷻ : ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٣) ، قال الله ﷻ في كتابه أن لقمان قال لابنه : ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ .

والنبي ﷺ سئل أي الذنب أعظم ؟

(71) سورة لقمان (13) .

فقال : (أن تجعل لله ندًا وهو خلقك) أيُّ الذنب أعظم ؟
فبيّن النبي ﷺ حين سُئل هذا السؤال : (أن تجعل لله ندًا) ؛ الند
هو المثل والشبيه .

كيف تجعله شبيهًا وندًا لله ؟

حين تدعوه مع الله فكأنك ساوите بالله ، حين تذبح للولي الفلاني
مع الله فكأنك ساوите مع الله وأعطيته ما يستحقه الرب الخالق .

ولذلك قال ﷺ : (أن تجعل لله ندًا) أي شبيهًا ومثيلاً وهو
خلقك ، أي أن الله هو الذي خلقك فهو المستحق لجميع أنواع
العبادة ، فالشرك هو أن تصرف أي نوعٍ من أنواع العبادة لغير الله
ﷻ .

ولذلك قال الشيخ " وهو دعوة غيره معه " يعني أن تتوجه
بالدعاء للولي أو للقبر أو لأي أمرٍ كان كحجر أو كشجر أو بقر أو
ملك أو نبي ، تتوجه إليه بصرف الدعاء أو أي نوعٍ من أنواع العبادة
فهذا شرك .

ولذلك قال النبي ﷺ : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا : بلى يا
رسول الله ، قال : الإِشراك بالله وعقوق الوالدين) .

فلا شك أن الشرك ذنب عظيم .

لماذا ؟

لأنك تسوي بين الخالق والمخلوق .

وذنبٌ عظيم لماذا أيضًا ؟

لأنك جعلت المخلوق في منزلة الخالق وفوق منزلته ، فهذا من الظلم وهذا من الضياع ومن الأمور المفسدة للعبادة ، بل للعمل كاملاً فمن وقع في الشرك قد أحبط عمله كما قال الله ﷻ مخاطباً نبيه وأنبياءه من قبل وحاشاهم - عليهم الصلاة والسلام - من ذلك ولكن من باب التحذير ومن باب تحذير الناس قال الله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ (٦٥) ﴿ 72 ﴾ فمن وقع في الشرك فقد حبط عمله ، ﴿ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٦٥) ﴿ 73 ﴾ أي من المعذبين في النار ، من مات على الشرك أو الكفر - والعياذ بالله - يحبط عمله ويكون من الخاسرين ، خسر الدنيا والآخرة .

لذلك الواجب على العبد المسلم أن يتوجه إلى الله ﷻ بجميع أنواع العبادة ، وألا يصرف أي نوع منها لغيره ﷻ قال والدليل - قوله تعالى - ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ (٧٤)

الدليل على ماذا ؟

الدليل على أن أعظم ما أمر الله به التوحيد في قوله ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ فهذا أمرٌ من الله ﷻ مخاطباً به الناس أن يعبدوه ﴿ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ أي لا تشركوا بالله ﷻ أي أحدٍ كائناً من كان لأن الله ﷻ قال ﴿ وَلَا تَشْرِكُوا ﴾ نهانا ؛ نهانا عن ماذا ؟

عن أن نشرك به شيئاً معيناً ؟

(72) سورة الزمر (65) .

(73) سورة الزمر (65) .

(74) سورة النساء (36) .

لا إنما قال شيئاً ؛ أي كل شيء ؛ أي لا نشرك به ؛ أي شيء ففيه
 تحريم أن نشرك بالله ﷻ أي شيء أو أي أحد كائناً من كان فهذا
 أعظم ما أمر الله ﷻ به وهنا لابد من وقفة سريعة وهي : أننا نلاحظ
 أن الله ﷻ يقول : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ ويقول
 ﷻ : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾
 ﴿ ٧٢ ﴾ (75) ويقول : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٣) (76)

ما الذي نلاحظه ؟

نلاحظ أن الله ﷻ أمرنا بعبادته وهذا أمرٌ معلوم والأمر الملحوظ
 أنه مع أمره لنا ﷻ بعبادته نهانا أن نشرك به ؛ نهانا أن نشرك معه
 غيره .

ولذلك بعض الناس قد يحث الناس على عبادة الله وعلى طاعته
 ولكن لا يتعرض للتحذير من الشرك بالله ﷻ فلا شك أن هذا خطأ
 ؛ لأن الله ﷻ وهو العليم الحكيم جمع بين الأمرين : بين الأمر
 بعبادته وبين النهي عن الشرك معه ﷻ .

فلا بد يا عبد الله إذا أردت أن تحقق توحيد الله ﷻ أن تلاحظ
 الأمرين معاً .

إفراده بالعبادة وعدم الشرك به بل هذا هو معنى قولنا نشهد أو
 أشهد أن لا إله إلا الله ، فقولنا أشهد أن لا إله : نفي لجميع الآلهة ،
 إلا الله : إثبات بأن الله هو المعبود بحق ﷻ وأن ما سواه باطل .

قوله لا إله : فهو ﷻ المستحق للعبادة فليكن هذا الأمر من كل
 واحد منا على ذكرٍ وعلى تأملٍ من تحقيق العبادة ومن البراءة من

(75) سورة المائدة (72) .

(76) سورة لقمان (13) .

الشرك والبعد من الشرك والحذر من الشرك ، والشيطان يغوي بني الإنسان ويهلكه من باب الشرك إن استطاع فيزين له الشرك ويصوره له ، لذلك قال إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - وهو إمام الحنفاء :

﴿ وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ (٣٥) 77 فخاف على نفسه وعلى ولده من عبادة الأصنام وهو إمام الحنفاء نبي ورسول مرسل من الله ﷻ .

فلذلك إذا كان هذا حال نبي الله - عليه الصلاة والسلام - فما بالنا بمن دونه .

لذلك من الخطأ الذي نسمعه من بعض الناس إذا جئت تحذره من الشرك وإذا جئت تأمره بالتوحيد يقول لك ما في شرك نحننا موحدين - سبحان الله - إذا كان الله ﷻ في آيات كثيرة يأمرنا بالتوحيد ويحذرننا من الشرك ونسمع من يقول : ما يحتاج أن تذكر التوحيد والشرك كلنا موحدين .

لاشك أن هذه من وساوس الشيطان فعليك يا ابن آدم فعليك يا عبد الله ويا أمة الله علينا جميعاً أن نحرص على التوحيد وأن نحذر من الشرك .

(77) سورة إبراهيم (35) .

الدرس السادس

من

شرح الأصول الثلاثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ
يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرَّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلَّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أما بعد :

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : **فإذا قيل لك يعني إن سئلت : ما
الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ؟**

فقل :

- معرفة العبدربه .
- ومعرفة العبد دينه .
- ومعرفة العبد نبيه محمدا ﷺ .

هذا من الشيخ تعليمٌ لطلاب العلم وجميع المسلمين وكما مر معنا سابقًا ؛ أنهم في السابق كانوا يحفظون هذه الأصول حتى العوام يحفظون هذه الأصول الثلاثة ويفهمونها .
ولذلك الشيخ - رحمه الله تعالى - أتى بصورة السؤال والجواب حتى تحفظ وحتى تفهم فتكون راسخة في العقول والقلوب .

فإذا قيل لك ؛ إن سألك سائل : **ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ؟**

لماذا يجب على الإنسان معرفتها ؟

يجب على الإنسان معرفتها ؛ لأنه بمعرفتها يكون قد أتى على الأساس السليم لهذا الدين

- فلا بد أن يعرف ربه .
- ولا بد أن يعرف دينه .
- ولا بد أن يعرف نبيه محمدًا ﷺ .

أما الله : فهو الخالق ﷻ المستحق للعبادة .

وأما الدين : فهو ما أمرنا الله ﷻ به من الأوامر أو نهانا عنه من النواهي .

وأما نبينا : محمد ﷺ فهو الذي بلغنا عن الله رسالته وأتمها على أحسن الأوجه - عليه الصلاة والسلام - فلا طريق لنا لمعرفة أمر الله ﷻ إلا من طريق نبينا محمد ﷺ فلا بد أن تعرف هذه الأمور .
يجب على الإنسان ، أي على كل مسلم ومسلمة .

- كيف مسلم لا يعرف ربه ؟!
- كيف مسلم لا يعرف دينه ؟!
- كيف مسلم لا يعرفه نبيه محمدا ﷺ ؟!

فلذلك هذا السؤال والجواب ينبغي أن يكون محفوظًا لدينا كحفظ الفاتحة ، الأصول الثلاثة : معرفة العبد ربه ومعرفة العبد دينه ومعرفة العبد نبيه محمدًا ﷺ .

إنّ هذه المعرفة سيأتي - إن شاء الله - شيء من تفاصيلها ، وليس فقط أن تقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد فقط ، لابد أيضًا أن تتعلم لوازم هذه المعرفة والأمور المتعلقة بهذه المعرفة كما سيأتي - إن شاء الله تعالى - .

فالأصل الأول : معرفة العبد ربّه بأنّه هو الخالق الرّازق المدبّر وهذا توحيد الربوبية ، وأنّه المستحق لجميع أنواع العبادة وهذا توحيد الألوهية ، وأنّ له أسماء وصفات تليق بجلاله وعظمته وهذا توحيد الأسماء والصفات .

وأما الدين : وهو **الأصل الثاني** فلا بد من معرفة أنّ الله ﷻ أرسل نبينا محمدًا ﷺ يرشدنا لنعبد الله وحده لا شريك له وأنّه أمرنا بجملة من العبادات ونهانا عن جملة من المحرمات وأباح لنا كثيرًا من الطيبات فنعرف تفاصيلها الواردة في الإسلام .

ثم أيضًا معرفة الإيمان ومعرفة الإحسان وهي من مراتب الدين .

وأما معرفة نبينا محمد ﷺ فإنّ نبينا محمدًا هو الرسول الذي أرسله الله ﷻ ، اصطفاه واختاره لتبليغ رسالته وهو طريقنا لمعرفة

أمر الله ﷺ كما قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٧) (78) وأيضاً قول الله ﷻ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (٦٤) (79) فما فائدة الرسول إذا ؟

فائدته أن نسمع له ونطيع .

– طيب ، هل نسمع للأولياء وللصالحين وللعلماء ؟

نقول : نسمع لهم فيما بلغونا من أمر رسول الله ﷺ ولا نسمع لهم في أمرٍ يخالف أمر الرسول ﷺ .

فإن الولي لا يستحق اسم الولاية إلا إذا كان متبعا لهدي النبي ﷺ ، وأما إن كان مخالفا متعمدا لأمر الله وما جاء به الرسول أو ظن نفسه أنه فوق النبي - عليه الصلاة والسلام - فلا شك أنه ولي لكن ليس لله وإنما للشيطان ولا شك أنه صاحب أعمال ولكن ليس خيرة بل أعمال فاجرة أعمال فسق وفجور نسأل الله ﷻ السلامة والعافية .

والشيخ - رحمه الله تعالى - سيفصل لنا هذه الأصول الثلاثة واحداً تلو الآخر ؛ وإنما ذكرها هنا إجمالاً ثم سيفصل هذه الأصول فبدأ :

بالأصل الأول

وهو معرفة العبد ربه ، فقال - رحمه الله - : (فإذا قيل لك من ربك ؟)

(78) سورة الحشر (7) .

(79) سورة النساء (64) .

نعم هناك من يأتي ويشوش عليك ، هناك قد يأتي من يحاول أن يُضَلِّلَكَ ولا شك أنّ الأصل في المسلم أن يبتعد عن هؤلاء الذين يشكُّونه أو يضلُّونه أو أصحاب الأهواء والبدع ؛ بلا شك أنّ الواجب على المسلم أن يبتعد عنهم وألاّ يسمع لهم ، ولكن إن جاءه رجلٌ مسترشد

أراد أن يعرف الحق ليس من باب التشكيك ، أو الطعن في الدين .
أراد أن يتعلم الحق وأن يعرف الحق .

وأنت أيضًا وأنت أيضًا يا أمة الله وأنت أيضًا يا عبد الله ؟!
لا بد أن تنشر هذا بين أبنائك وبناتك ، وبين أهلِكَ ، وبين نسائك ، فلا بد أن تنشر هذا الأمر .

قل لهم : ما الأصول الثلاثة التي يجب علينا معرفتها ؟

فتبين لهم أنها : معرفة العبد ربه ، ومعرفة العبد دينه ، ومعرفة العبد نبيه محمدًا ﷺ .

فإذا لابد أن نتسلح بسلاح العلم وأن نتخذ العلم جُنة نتقي به ؛ أي بالعلم بعد فضل الله ﷻ ورحمته نتقي بها الشبهات والشهوات ومضلات الفتن .

قال : فإذا قيل لك : من ربك ؟ فقل : ربّي الله الذي رباني ، ورب جميع العالمين بنعمه ، فهو معبودي ليس لي معبودٌ سواه .

أنت تؤمن بأن الله ﷻ الرب : هو المستحق للعبادة فإن سُئلت
من ربك ؟ وما معنى ربك ؟

فتقول : معنى الرب : الذي رباني بنعمه وفضله وإحسانه ورحمته
ليس فقط أنا بل ربى جميع العالمين بنعمه ﷻ .

ولذلك هو المستحق للعبادة فهو معبودي أي : أنا أعبد الله لأنه
الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه ، ليس لي معبودٌ سواه ليس
لي ربٌ يستحق العبادة سوى الله ﷻ **لماذا ؟**

لأن ما سوى الله مخلوق ، ما سوى الله فقيرٌ إلى الله ، ما سوى
الله ليس بيده شيء ، من أراد المال فليسأل الله ﷻ ؟
من أراد الولد فليسأل الله ﷻ ؟

من أراد التوفيق والسداد في الحياة في الدنيا والآخرة فليسأل الله
ﷻ ؟

لم_____ اذا ؟

لأن هذه الأمور كلها وغيرها هي بيد الله ﷻ وحده ، ومن سواه
ليس بيده شيء فكيف تسأل من ليس بيده شيء وتترك من بيده
كل شيء !!!

أليس هذا من تضليل الشيطان ؟!

**أليس هذا من إغواء بني آدم عن الحق وصرفهم عن الصراط
المستقيم ؟!**

فالله ﷻ هو الذي ربى جميع العالمين بنعمه .

كما قال الله ﷻ : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾^{8Q}
وما من دابة في الأرض يعني : كل ما يدب على الأرض

(^{8Q}) سورة هود (6) .

؛ فإن الله ﷻ هو الذي يرزقه ، وهو الذي خلقه ، وهو الذي رباه ،
فالله ﷻ كما يقول : شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -
الرب : هو المربي الخالق ، الرازق ، الناصر ، الهادي ، وهذا الاسم
أحق باسم الاستعانة والمسألة.

والدليل قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ﴿ 81﴾
وكل ما سوى الله عالم أنا واحد من ذلك العالم .

الحمد لله ، الحمد : هو الثناء على الله ﷻ المستحق لهذا الثناء
فهو ﷻ المحمود مع المحبة والتعظيم .

فقولنا الحمد أي : أن جميع المحامد لمن ؟!

لله ؛ جميع الثناء على المحمود هو لله ﷻ .

والله ؛ أي : المألوه المعبود بحق .

﴿ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦٢) ﴿ 82﴾ رب العالمين : أي الذي ربي
العالمين من جن وإنس وغيرهم .

فهنا فيه إثبات أن الله ﷻ هو الرب ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ﴾ وفيه
إثبات أن الله هو رب جميع العالمين وهم ما سوى الله ﷻ وأنه ﷻ
رباهم بنعمه ؛ فهو المستحق للحمد .

قال الشيخ : " وكل ما سوى الله عالم وأنا واحد من ذلك
العالم " ؛ فهو ربي ﷻ أحمدته على نعمه وآلائه ، وأشكره على
فضله وجزيل عطائه ﷻ .

(81) سورة الفاتحة (2) .

(82) سورة الأنعام (162) .

لابد أن نعرف هذا الأمر ؟

وأن نتيقنه حق التيقن فالله ﷻ هو الرب الذي ربي جميع العالمين
بنعمه ، **لماذا نعرف هذا؟؟؟**

نعرف هذا حتى نزداد إيماناً و يقيناً ، ونزداد توحيداً لله ﷻ فلا
نصرف شيئاً لغير الله ﷻ .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : **" فإذا قيل لك : بما عرفت ربك ؟**

**فقل : بآياته ومخلوقاته ، ومن آياته : الليل ، والنهار ، والشمس ،
والقمر " .**

أي إن سُئلت بهذا السؤال : **بما عرفت ربك ؟**

يعني ما الدليل ؟

لأن كل قولٍ لابد له من دليلٍ يدل عليه ولذلك المسلم على بصيرةٍ
وعلى نورٍ من ربه ، إذا تكلم بشيءٍ فإنما يتكلم بدليله ، وإلا يكل
علمه لله ﷻ هذا شأن المسلم الذي يخاف الله ﷻ فقال : **بما
عرفت ربك ؟**

ما الدليل على ذلك ؟

فالجواب أننا عرفنا الله ﷻ بآياته ومخلوقاته ، ومعنى آياته أي
علاماته ، والآية هي العلامة فهناك علامات جعلها الله ﷻ دليلاً
على وحدانيته وتفردهِ ﷻ بالربوبية - أعني الربوبية - التي تتضمن
استحقاقه ﷻ بلألوهية أي بعبادته ﷻ عرفته بآياته وأيضاً عرفته
بمخلوقاته أي بمخلوقات الله ﷻ العظيمة مثل السموات السبع
والأراضون السبع ، وآياته مثل الليل والنهار والشمس والقمر كما

ذكر الشيخ - رحمه الله تعالى - وآياته من مخلوقاته وإنما أفردتها تخصيصاً لها لعظيم شأنها ، وعظيم أمرها ، ولأنه كذلك جاء في الدليل كما سيأتي - إن شاء الله تعالى - .

فهذه الشمس والقمر ، وهذه المخلوقات من السموات السبع والأراضون السبع وما فيهن وما بينهما ؛ هي من مخلوقات الله ﷻ وهي دالة على أن الله ﷻ هو الرب الخالق لها - عز شأنه -

ما الدليل ؟

قال : **والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ (٣٧) 83** فهنا وصف الله ﷻ الليل والنهار والشمس والقمر بأنهن من آياته .

قال : **﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (٣٧) 84** يعني أن الشمس والقمر من آيات الله ﷻ الدالة على استحقاقه ﷻ للعبادة .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ﴾ أي ولا لغيرهن مع عظمة الشمس والقمر ، إلا أنها ليست مستحقة للعبادة **لماذا ؟**

لأنها مخلوقة وهي آية من آيات الله ﷻ فالشمس والقمر من الذي أوجدهما ، ومن الذي خلقهما ؛ إنه الله ، فإذا كان الله هو الذي خلقها فإننا نسجد له ﷻ لذلك قال : **﴿ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي**

(83) سورة فصلت (37) .

(84) سورة فصلت (37) .

خَلَقَهُنَّ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ إِن أَعْظَمْتُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ؛ فالله أعظم من جميع المخلوقات لأنه هو خالقها ﷻ .

ثم قال : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ 84

هنا جعل من مخلوقاته السموات والأرض ، وأنه ﷻ خلقها في ستة أيام ثم استوى على العرش ، خلقها في ستة أيام مبتدئاً بيوم الأحد وآخرها يوم الجمعة ، ثم استوى على العرش ﷻ أي علا وصعد وارتفع على عرشه ﷻ ؛ وصفة الاستواء تؤمن بها على ما يليق لله ﷻ من غير تمثيل ولا تكيف ولا تعطيل ولا تحريف .

ثم قال : ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ أي أنه ﷻ جعل الليل يغطي النهار بظلمته ، وجعل النهار يكشف ظلمة الليل ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ أي كأنهما يجريان ويتسابقان يخلف أحدهما الآخر ؛ ليل ونهار يتعاقبان بلا خلط ولا اختلاط و بلا اضطراب .

من الذي أحكم هذه الأمور ومن الذي سخر الشمس والقمر والنجوم تجري في منازل لا تختلف ولا تضطرب لا لساعات محدودة بل لأزمنة مديدة وعديدة لا شك أن هذه الأمور لا تحصل من تلقاء نفسها ولا تحصل بالصدفة وإنما لها مسخر ومسير وخالق وهو الله ﷻ وحده لا شريك له .

(85) سورة الأعراف (54) .

لذلك قال الله ﷻ : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ فالله ﷻ هو الذي خلق هذه المخلوقات ؛ بل وخلق جميع المخلوقات ﷻ وله الأمر ؛ بمعنى أنه ﷻ يأمر بما شاء من الأوامر الشرعية التي أرسل بها أنبيائه ورسله - تبارك الله رب العالمين - .

أثنى على نفسه ﷻ بالبركة البالغة في نهايتها - سبحانه وتعالى وتقدس - ﴿ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ٥٤ .

قال : والرب هو المعبود ، والدليل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ٢١ ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ٢٢ ﴿ ٨٩

الرب هو المعبود لأن الله يقول ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ .

فاعبدوا من ؟ نعبد الرب لماذا ؟

- لأنه هو الذي خلقنا وخلق الذين من قبلنا وهو الذي جعل لنا الأرض فراشا مهدًا وسهلاً ويسر لنا العيش فيها وذلّل لنا صعابها وطرقها ﷻ . إذ لو كانت الأرض كلها جبال وكانت الأرض كلها معوجة لما استطاع الناس أن يستفيدوا منها ولكنه ﷻ دحاها فأخرج منها ماءها ومرعاها ، والسماء بناها فجعلها سقفا فوق هذه الأرض سقفاً بلا أعمدة بلا أعمدة ، تُرى .

من الذي أمسك هذه السماء ؟

(٨٦) سورة البقرة (21 - 22) .

من الذي لم يجعل فيها عواجا ولا تشقق ولا اضطراب في الخلقة ؟

- بل هي من أحكم ما يكون ﴿ وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ أنزل المطر من السماء ، من السحب التي اجتمعت فيها المياه فسقطت على الأرض ونزلت على الأرض فأخرج به - أي بالماء - من الثمرات رزقا لكم .
- أنبت في الأرض الكلاً والعشب واستفاد الناس وأكلت البهائم واخضرت الأرض وأصبحت جميلة بعد نزول المطر وخروج الثمر .
- هذه كلها نعمٌ من الله ﷻ أنهارٌ جارية ؛ فيها من اللحوم والأسماك ومن الثمرات والخيرات وأرضٌ خضراء وأرضٌ يستفيدون منها وينتفعون بها .

من الذي سخر كل هذه الأمور ؟

- هو الله ﷻ .
- فلذلك الله ﷻ خاطب جميع الناس بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ جميع الناس مؤمنهم وكافرهم ، أما المؤمن فيزداد إيماناً ، وأما الكافر فإن الواجب عليه أن يعبد الله ﷻ لأنه هو الذي خلقه وخلق الذين من قبله وهو الذي أنعم عليه بهذه النعم .
- فقال : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴾ أي أمثالاً وأشباباً وأنتم تعلمون تعلمون أن هذه النعم وأن هذا الخلق هو خلق الله ﷻ

وأن الله ﷻ هو المستحق للعبادة وتعلمون أن تلك الأصنام باطلة
وأنها لا تملك شيئاً .

ولذلك كان بعضهم يصنع الصنم من التمر فإذا جاع أكله ،
وبعضهم رأى الصنم يبول عليه كلب فقال أأعبد صنماً لا يحمي
نفسه من بول كلب فكفر به ، يعلمون أن هذه الأصنام وأن تلك
الأحجار وأن الشمس والقمر ليس بيدها شيء وأنها كلها مخلوقة
ولكن زين لهم الشيطان أعمالهم .

**قال ابن كثير رحمه الله : الخالق لهذه الأشياء هو المستحق
للعبادة ، قال الخالق لهذه الأشياء ؛ ما الأشياء ؟**

خلقنا نحن وخلق من قبلنا وسيخلق من بعدنا ﷻ : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى
الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ (١) ﴿ ٨٧ ﴾ فالله
هو الذي خلق الإنسان بعد أن لم يكن موجوداً هذا الإنسان .

إذا قال ابن كثير : الخالق لهذه الأشياء خلقنا وخلق من قبلنا ومن
بعدنا أيضاً جعل لنا الأرض فراشا وجعل لنا السماء بناء وأنزل من
السماء ماءً وأخرج من الأرض من الثمرات رزقاً لكم نعماً كثيرة فهو
ﷻ المستحق للعبادة .

فلا تصرف العبادة كما سبق لغيره كائناً من كان .

إن القرآن العظيم وسنة النبي ﷺ فيها من الأدلة الكثيرة على
استحقاق الله للعبادة وعلى شناعة وعظم وخطر الشرك بالله كما
مر معنا ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٣) ﴿ ٨٨ ﴾ كما في القرآن

(٨٧) سورة الإنسان (١) .

(٨٨) سورة لقمان (١٣) .

وكما في السنة (أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو **خلقك**) أي شريكاً وهو خلقك أي أن الله خلقك وتشرك به .

أسأل الله ﷻ أن ينفعني وإياكم بما سمعنا وأن يكون حجةً لنا لا حجةً علينا وأسأله ﷻ أن يتوفاني وإياكم على التوحيد مخلصين له الدين غير مشركين به ﷻ .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السابع

من

شرح الأصول الثلاثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ
يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢) ﴿ (89)

(89) سورة آل عمران (102) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ ﴿١﴾ (90)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٧١﴾ (91)

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أما بعد :

فقد توقفنا عند قول المُصنف - رحمه الله تعالى - : " **أنواع العبادة التي أمر الله بها** " .

وقبل البدء في الدرس أعذر عن الغياب في الأسبوع الماضي وذلك لظرفٍ طارئٍ حصل ، فقدّر الله وما شاء فعل ، وإن شاء الله ﷻ سأحاول أن أعوّض هذا الغياب في الأسبوع الماضي بلقاءات أخرى - بإذن الله تعالى - حسب ما ييسره الله ﷻ لنا .

وأيضًا قبل أن أبدأ الدرس كالعادة نراجع ما سبق أن درسناه :

فأولًا : مما سبقت دراسته **المسائل الأربع** التي يجب علينا أن نتعلمها وهي :

(90) سورة النساء (1) .

(91) سورة الأحزاب (70 - 71) .

العلم ؛ وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة ،
والعمل به ، والدعوة إليه ، والصبر على الأذى الذي يحصل من
الدعوة .

ودليل هذه المسائل - قوله تعالى - : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا
بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ (94

ونبّهنا على مسألة أن العلم قبل القول والعمل ، كما نبّه على ذلك
الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - .

ثمّ انتقلنا إلى المسائل الثلاث التي نبّه عليها شيخ الإسلام محمد
بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - وهي :

مسألة توحيد الربوبية ؛ في كونه ﷻ خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً ؛
بل أرسل إلينا رسولا من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار
.

ثم المسألة الثانية في توحيد الألوهية ؛ في أنّ الله ﷻ لا يرضى أن
يُشرك معه أحد في عبادته لا ملكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل .

ثمّ مسألة الولاء والبراء ؛ وأن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز
له موالاة من حادّ الله ورسوله .

وفي هذه المسألة ؛ مسألة الموالاة أنبّه على سؤالٍ طرِحَ : **محبة**
الزوجة النصرانية أو اليهودية الكتابية فهل يدخل هذا في الولاء
والبراء ، فهل يدخل هذا في الولاء المحرم ؟

(92) سورة العصر .

الجواب : لا ؛ لأن محبتها من محبة أمور الدنيا ؛ أنا لما أتعامل مع إنسان مثلاً نصراني في التجارة أنا أحبُّ المال وأحب أن أربح من هذه التجارة ؛ وهذا ليس من باب الموالاة لأموال الدين أو المحبة مع كفره ، وإنما هذه محبة طبيعية لأموال الدنيا .

ومن أمور الدنيا : محبة الشخص لقربته كأن يكون أب أو أم أو نحو ذلك فالله ﷻ قال في حال الوالد أو الوالدة الكافرين سواء كلاهما أو أحدهما قال : ﴿ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ (١٥) 93 أي : عاملهم بالمعاملة الطيبة ، فلا شك أن المعاملة الطيبة تتنافى مع إظهار البغض المطلق لهم ، فلا بد من نوع إحسان ؛ ومن الإحسان المحبة لأجل هذه القرابة ، فالوالد والوالدة هما سببا وجود هذا الولد أو البنت بعد أمر الله ﷻ ، فلا تنافي بين هذا وبين ما سبق تقريره في أنواع الولاء الثلاثة . فهذا النوع من محبة الزوجة أو محبة القربات هو داخل في الأمر الثالث ؛ الولاء أو المحبة التي هي ليست بكفرية وليست من باب الأمر المحرم ، مع ملاحظة ما سبق أنني وإن تزوجت نصرانية أو كان أحد قراباتي كالوالدين مثلاً غير مسلم : كأن يكون نصراني أو غيره أنني أبغض هذا الدين ، أبغض ما عليه من الكفر ، أبغض هذا الأمر ، وفي الوقت نفسه لا مانع من هذه المحبة على هذه الصورة السابقة ، فأمل أن تكون الصورة قد اتضحت لنا وأن لا يلتبس الأمر .

بعد ذلك بين شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - :

(93) سورة لقمان (15) .

ما هي الحنيفية ؟

ملة أبينا إبراهيم عليه - الصلاة والسلام - .

بيّن أن الحنيفية هي أن نعبد الله ﷻ مخلصين له الدين ، فلا بد من العبادة ولا بد من الإخلاص في هذه العبادة بعدم الشرك بالله ﷻ .

وبيّن الحكمة من خَلَقِ الخلق في - قوله تعالى - : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) ؛ 94 ؛ ومرّ معنا أن يعبدون بمعنى " يوحدون " .

ثم بيّن - رحمه الله تعالى - أمرين مهمّين لا بدّ أن يدركهما المسلم :

ما هما ؟

الأمر الأول : أن أعظم ما أمر الله به التوحيد وهو إفراده بالعبادة ، وأعظم ما نهى الله عنه الشرك وهو دعوة غيره معه .

ثم بيّن - رحمه الله تعالى - ما هي الأصول الثلاثة ؟
فبيّن أن الأصول الثلاثة : معرفة العبد ربّه ، ومعرفة العبد دينه ، ومعرفة العبد نبيّه محمداً ﷺ .

ثم بيّن كيف يعرف العبد ربّه ، أو كيف عرف العبد ربّه فيما لو سئل أو فيما إذا جاءه الشيطان وحاول أن يلبس عليه فإنه يجيبه بهذا الجواب ؛ بأن يجيب من يسأله بأنه عرفه ﷻ بمخلوقاته وآياته .

(٩٤) سورة الذاريات (56) .

وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي رَبَّانَا بِنِعْمِهِ وَهُوَ رَبِّي وَرَبَّ الْعَالَمِينَ كَمَا فِي -
قوله تعالى - : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) 94 ؛ فإذا كان
الله عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الرَّبُّ وَهُوَ الْمَعْبُودُ ﷻ فَإِنَّ الرَّبَّ الْخَالِقَ لِهَذِهِ
الْمَخْلُوقَاتِ مِنْ شَمْسٍ وَقَمَرٍ وَشَجَرٍ وَحَجَرٍ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَكُلِّ مَنْ
سِوَاهُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْخَالِقُ لَهَا ، فَالْخَالِقُ لَهَا هُوَ
الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ ؛ الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأُمُورِ هُوَ الَّذِي يُتَوَجَّهُ إِلَيْهِ
بِالْعِبَادَةِ ، وَأَمَّا مَنْ سِوَاهُ فَهُمْ مَخْلُوقُونَ بِشَرٍّ أَمْ جِنٍّ أَمْ حَجَرٍ أَمْ غَيْرِ
ذَلِكَ أَمْ بَقَرٍ أَمْ غَيْرِ ذَلِكَ فَهُمْ مَخْلُوقُونَ .

عيسى - عليه الصلاة والسلام - بشرٌ مخلوق لا يُعبد من دون الله
، محمد ﷺ بشرٌ مخلوق لا يُعبد من دون الله ، جبريل - عليه
الصلاة والسلام - ملكٌ مخلوق لا يعبد من دون الله ؛ **فكيف يُعبد**
فلان أو فلان من الناس ممن تدعى له الولاية أو يدعى من دون
الله عَزَّ وَجَلَّ ؟ !

لذلك على المسلم أن يعرف أنواع العبادة وأن يهتم بهذه المعرفة
حتى لا يصرف شيئاً منها لغير الله عَزَّ وَجَلَّ .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - :

" و أنواع العبادة التي أمر الله بها مثل : الإسلام والإيمان
والإحسان ، ومنها الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة
والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة
والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من العبادة التي أمر الله بها
كلُّها لله تعالى ، والدليل - قوله تعالى - : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا

(95) سورة الفاتحة (4) .

تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ 96 فمن صرف منها شيئاً لغير
الله ؛ فهو مشرك كافر ؛ والدليل - قوله تعالى - : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ
اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۖ إِنَّهُ لَا
يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿١١٧﴾ 97

وفي الحديث : (الدعاء مخ العبادة) والدليل - قوله تعالى - : ﴿
وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ ﴿٦٠﴾ 98 فهذه أنواع
العبادة ومن أعظمها الإسلام والإيمان والإحسان .

والإسلام كما في حديث جبريل الطويل فسّره النبي ﷺ حين سأله ما
الإسلام ؟ قال : (أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول
الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت
(99 ؛ فهذا هو الإسلام ، وهذه هي أركان الإسلام : الشهادتان
مع الصلاة والصيام والزكاة والحج .

قال : " والإيمان " أي : ومن العبادة التي أمر الله ﷻ بها الإيمان ،
وفسّرها النبي ﷺ لجبريل حين سأله ما الإيمان ؟ قال : (أن تؤمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر) ، فهذه
أركان الإيمان الستة : الإيمان بالله ، الإيمان بالملائكة ، الإيمان
بالكتب التي أنزلها على رسله ، الإيمان بالرسول ، الإيمان باليوم
الآخر ، الإيمان بالقدر خيره وشره .

(96) سورة الجن (18) .

(97) سورة المؤمنون (117) .

(98) سورة غافر (60) .

(99) حديث إسناده مجمع على صحته .

قال : " والإحسان " في حديث جبريل لما سأل النبي ﷺ عن الإحسان قال : (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) .

وهذه المراتب الثلاثة هي مراتب الدين : الإسلام والإيمان والإحسان .

والإسلام أوسع دائرة من الإيمان فأهل الإسلام كثر ، وأما أهل الإيمان فهم أقل من أهل الإسلام ، لأن أهل الإيمان يأتون بالإسلام ويزدادون بالطاعة فيزداد إيمانهم ، فينتقلون إلى مرحلة الإيمان .

وأهل الإحسان هم أعلى مرتبة من أهل الإيمان وهم أقل ، فهم مع الطاعة ومع العبادة لله ﷻ إلا أنهم يعبدون الله ﷻ عبادة من يرى أن الله يراه ومن يعلم ويوقن أن الله يراه ، فإنه وإن لم يكن يرى الله في الدنيا إلا أنه يعلم يقيناً أن الله يراه .

**ولذلك كان من أجوبة الفضيل بن عياض - رحمه الله تعالى -
البديعة حين سأله رجل وقال له : يا إمام إني أريد أن أعصي الله
ﷻ فهل لي ذلك ؟؟**

قال : نعم ، اعص الله ﷻ ، لا مانع من ذلك ولكن بشرط ، قال :
ما هو ؟ ، قال : اعصه حيث لا يراك .

فتعجب السائل قال : كيف ؟! لا يوجد مكان أكون فيه إلا والله
ﷻ يراني و يعلم بحالي ﷻ .

فقال : أما تستحي أن يراك الله ﷻ وتعصيه ؟!

أما تستحي أن تعصي الله ﷻ وأنت في ملكه ؟!

أما تستحي أن تعصي الله وأنت بهذا الحال ؟!

فإذا حال الإحسان حال عالية راقية جدًا فإن العبد يستشعر ويستحضر أن الله ﷻ يراه ويعلم بحاله بل هو أقرب إليه من حبل الوريد ويعلم ما تخفي نفسه ، فيراقب الله ﷻ ويخلص لله ﷻ لذا كان أهله أقل .

ومن هنا لما قالت الأعراب آمنا قال الله ﷻ : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ (١٤٠) 10Q يعني أنتم أسلمتم ولم تصلوا لمرحلة الإيمان .

فهذه أنواع العبادة : الإسلام بأركانه الخمس ، والإيمان بأركانه الست ، والإحسان باستحضار أن الله ﷻ يرى ويعلم بحال العبد مهما كان في أي زمانٍ ومكان .

وقدّمها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - لأنها من المكانة والعظمة والأهمية بدرجةٍ عالية .
والناس تتفاضل في قلوبها وفي أعمالها وفي عبادتها بهذه الأمور التي ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - .

ثم قال " ومنها " أي ومن العبادة ، العبادة أنواع ليست نوعًا واحدًا ؛ هي أنواع كما جاء بها النبي ﷺ ، وهنا أنبه سريعًا ، أنبه نفسي وأنّبه إخواني المسلمين في كل مكان ممن يستمعوا لهذا

(100) سورة الحجرات (14) .

الكلام ، أنبّهم على مسألةٍ مهمةٍ وخطيرةٍ جدًا وهي أن العبادة والعمل لا يوصف بكونه عبادة وقربة إلى الله ﷻ

إلا بشرطين أساسيين :

الشرط الأول : الإخلاص لله ﷻ ؛ أن يكون العمل لوجه الله تعالى ، فلا تشرك مع الله ﷻ أحد في هذا العمل كما قال الله ﷻ في الحديث القدسي : (**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَشُرْكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي ، تَرَكْتُهُ وَشُرْكُهُ**) (**101**)

وأما الشرط الثاني : وهو الذي أيضًا ينبغي أن يُراعى ويجب أن يراعى فلا تُقبل العبادة أيضًا إلا به هو : متابعة سنّة النبي ﷺ وهديه وما كان عليه أصحابه الكرام ؛ فلا ينبغي للإنسان أن يأتي بعبادة من تلقاء نفسه ويتقرب بها إلى الله فإن الله لا يقبلها - **ما الدليل ؟**

الدليل قوله ﷺ : (**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**) (**102**) أي : مردود غير مقبول .

وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾ (**٧**) (**103**) والبدع والمحدثات مما نهانا عنها النبي ﷺ .

¹⁰¹ (صحيح مسلم .

(102) صحيح مسلم (1718) .

(103) سورة الحشر (9) .

فينبغي للمرء المسلم وينبغي للمسلمة أن إذا عملت عملاً أن تعلم
أن هذا العمل واردٌ في سنة النبي ﷺ ومن هديه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ
رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (٦٤) 104

فهذا جانبٌ مهم لأننا نجد من بعض المسلمين - هداًنا الله وإياهم
للصواب - قد يعملون أعمالاً هي من باب البدع والمحدثات فلا
تُقبل منهم .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : " ومنها " أي : ومن العبادة "
الدعاء والخوف " هنا عدد - رحمه الله تعالى - أنواع العبادة
- لكن هل حصرها كلها ؟

- الجواب : لا .

لأنه قال في آخرها : " وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله
بها "

السؤال هنا :

- لماذا ذكر هذه الأنواع ؟

- ذكر هذه الأنواع لأمر منها : أنه وقع الخلل فيها من بعض
المسلمين ؛ فصرفوا الدعاء لغير الله وخافوا من غير الله ورجوا غير
الله وتوكلوا على غير الله إلى آخره .

فنبّه على هذا الأمر لوقوع الخطأ فيها ، وهذا دأب العالم يحذر من
الأخطاء الواقعة في المجتمع وينبّه عليها وليس هذا من تفريق
المسلمين ، وليس هذا من التشويش ، وليس هذا من - يعني - عدم

الألفة وعدم المحبة ، فإننا إذا اجتمعنا نجتمع على الحق ونجتمع في الله ﷻ ، ولا بد من النصيحة ولا بد من البيان ولا بد من إظهار الحق ودمغ الباطل .

فإذا لابد للعالم أن ينبّه على الأخطاء الواقعة في المجتمع .

ومن فوائد ذكر هذه الأنواع من العبادة التي نصّ عليها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - أنها من أهم أنواع العبادة ، وأيضًا من فوائد ذكر هذه الأنواع أن هذه الأنواع غالبًا إذا صحّت فإنها تقود إلى غيرها ، ولذلك قدّم الدعاء . والدعاء عبادة لله ﷻ عظيمة ، وأغلب أنواع الشرك ترجع للدعاء ؛ فمن ذبح لغير الله دعا غير الله ، ومن طاف في قبرٍ إنما طاف ليدعوه ، لذا كما سيأتي - إن شاء الله - الدعاء من أهم الأمور .

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - ذكر هذه الأنواع وعدّها هنا وسيذكر أدلّتها دليلاً دليلاً - بإذن الله تعالى - فيما سيأتي ، وسيأتي معنا تعريفها وما يتعلق بها .

فإذا " ومنها " : أي : من العبادة ، أي من أنواعها : " الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرغبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر بها " .

- كلها لمن ؟

كلها لله ، تصرف لله ﷻ وتكون لله ﷻ .

قال الشيخ : " **كلها لله تعالى** " : كلها : أي كل هذه الأنواع لا يجوز أن نصرف أي نوع منها لغير الله ﷻ .

- ما الدليل ؟

- قال : " **الدليل قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (١٨) 105**

﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ** ﴾ : مرّ معنا أن المساجد هنا في هذه الآية يراد بها أحد أمرين : إما المساجد الأماكن التي يُصلى فيها ، وإما أعضاء السجود .

فالله ﷻ يقول : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ** ﴾ أي : له ﷻ تُصرف له وتُفعل له لا لغيره ، فهي مختصة لله ﷻ لا يجوز للعبد أن يصرفها لغير الله ﷻ .

الله ﷻ لم يقتصر على قوله : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ** ﴾ ؛ وإنما أتمه بقوله : ﴿ **فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ ؛ أمر بعبادته ونهى عن شركه ، فقوله : ﴿ **فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ يعني قولاً عام ؛ لا تدعوا أي أحدٍ كائناً من كان ، لا ملكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل ولا وليٌّ صالح ولا حجر ولا شجر ولا قمر ولا شمس ولا غيرها من المخلوقات .

﴿ **فَلَا تَدْعُوا** ﴾ : نهى ؛ الله ﷻ ينهانا - ينهانا - أن ندعو مع الله أحداً .

- لماذا ؟

(105) سورة الجن (18) .

- لأنه ﷺ هو المستحق لجميع هذه العبادات ، وهو ﷺ الذي إذا صرفنا إليه هذه العبادات نكون صرفناها في وجهها الشرعي ونكون قد أتينا بما أُمِرنا به .

- لماذا ؟

- لأنه كما سبق هو الخالق ، هو الرازق ، هو الرب ، هو الذي بيده الأمور كلها ﷺ ؛ فهو المستحق لهذه العبادات .

طيب ، من صرف أي شيء من العبادات لغير الله ؟

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - :

" فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشركٌ كافر "

يعني إذا صرفنا أي نوع من أنواع العبادات ؛ لو دعونا غير الله ، أو توكلنا على غير الله كما نتوكل على الله ، وخشينا أو ذبحنا أو نذرنا لغير الله ﷻ مما يستحقه الله ﷻ فمن وقع في ذلك فهو مشركٌ كافر .

هنا أنبّه على مسألة ينبّه عليها العلماء وهي أن هذا القول من شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - قولٌ عام .

- ما معنى قولٍ عام ؟

- القول العام : يعني ما نحكم به على الأشخاص مباشرة وإنما نقول دعاء غير الله شرك ، الذبح لغير الله شرك ، النذر لغير الله شرك .

طيب ، هذا قول عام ؛ حكم عام .

هذا الحكم العام لا ننزله على الْمُعَيَّن إلا بعد قيام الحجة و انتفاء الموانع ؛

فلو وجدنا رجلاً يدعو يقول يا حسين ، أو يقول يا عبد القادر ،
نقول يا أخي اتق الله ، هذا دعاء غير الله ﷻ ، لا يجوز وهو شرك ،
فقد يقول وهذا غالباً ؛ يقول : والله لا أدري أنه شرك ، ظننت أنه
جائز ، فنقول له : لا ، لا هذا خطأ وهو شرك ، فاتق الله واتركه .
فلا نأتي نقول له أنت دعوت الحسين ، أو أنت دعوت عبد القادر
الجيلاني أو أنت دعوت فلان ؛ أنت كافر ، أنت مشرك ، يا عدو
الله ونذبحه ، لا هذا خطأ ؛ هذا عمل الحدادية .

الحدادية :

طائفة تسمى " الحدادية " تنسب إلى رجل اسمه " محمود
الحداد " مصري معاصر موجود ، هذا الرجل تكفيري ودخل في
صفوف أهل السنة وروّج لبدعه وردّ عليه العلماء وبيّنوا ضلاله ،
هذا الرجل تكفيري والحداديون تكفيريون ولهم علاقة وثيقة
بالدواعش ولهم علاقة وثيقة بالخوارج وكذا هذا مذهب الخوارج
ومذهب الدواعش وغيرهم ؛ أنهم يكفّرون الناس جُزأفاً ويكفّرون
الناس ظلماً وعدواناً بغير حجة وبرهان .

فإذاً ينبغي أن نتنبّه لمثل أقوال العلماء هذه وأن لا نفعل وأن لا
نقع فيما وقع فيه أولئك المبتدعة من الحدادية والدواعش
وغيرهم .

فهنا نقول : **" فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر "**
حكم عام ؛ لما نأتي لإنسان مسلم وقع في هذه الأمور نعلّمه أولاً ،

لو سمعنا واحدا يقول مثلا (والنبي) ما نقول له أنت كافر ، يا
مشرك يا عدو الله ونذبحه أو نكفره ، لا ؛ نعلمه أنه لا يجوز
الحلف بغير الله ﷻ .

طيب (مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ لَشَرَكَ) 106 نقول نعم ؛
حكمٌ عام ، لكن قد يكون الإنسان جاهل والجهل مانع ، والجهل
مانع ، قد يكون الإنسان غير قاصد لهذا المعنى فوقع بسبب سوء
الفهم ؛ ظنه جائز ، أو له عنده من علماء السوء من أجازوا له هذا
الأمر .

وهنا أيضًا ننبه على قضية مهمة ، أنه ليس كل من تكلم في دين
الله فهو عالم يُتَّبَع ، بل إنما يُتَّبَع العلماء الذين هم على السنة ،
العلماء الذين أخذوا بالقرآن والسنة وما كان عليه سلف الأمة وهذا
أمر عظيم وخطير جدًا ، النبي ﷺ يقول : (الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ
) 107

هؤلاء الذي يجوّزون الطواف حول القبور ، هؤلاء الذين يجوّزون
دعاء غير الله ﷻ ، هؤلاء الذين يجوّزون تلکم الشریکات
والکفریات من الاستغاثة والدعاء والذبح لغير الله ﷻ ، وتعلق

106 (الراوي : عبدالله بن عمر ، المحدث : الألباني ، المصدر : تخريج مشكاة المصابيح ، الجزء أو الصفحة : (3353) ، حكم
المحدث : صحيح .

107 (ورد الحديث كاملاً بلفظ : (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً ، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع
أجنحتها رضىً لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض ، والحيتان في جوف الماء ، وإن فضل
العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يُورثوا ديناراً ولا درهماً ،
ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر) ؟

الراوي : أبو الدرداء ، المحدث : الألباني ، المصدر : صحيح أبي داود ، الجزء أو الصفحة : (3641) ، حكم المحدث : صحيح .

القلب بالكلية بغير الله ﷻ ، هؤلاء الذين يجوزون هذه الأمور :
- هل أخذوا هذه الأمور عن النبي ﷺ ؟

- لا ؛ فالنبي جاء ليحارب هذه الشراكيات ويحارب تلكم الكفريات والضلالات ويخرج الناس من الظلمات إلى النور وينقذ الناس من النار إلى الجنة .

وكما سبق معنا قول النبي ﷺ : (كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي ، قالوا : وَمَنْ يَا أَبَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال : مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي) (108)

فإذا - بارك الله فيكم - لا بد أن نعلم هذا ، فلا تغتروا لا تغتروا - بارك الله فيكم - ممن يظهر في وسائل الإعلام أو يكون عندكم في بلدكم ويدعو أو يجوز هذه الأمور الشركية ، فإن المسلم إذا علم الحق وجب عليه اتباعه .

فالعلماء الذين يُتَّبَعُونَ إنما هم علماء السنة ، إنما هم علماء الحق الذين اتبعوا الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة .
فإذا من صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر .

مشرك ؛ لأنه أشرك مع الله غيره بصرف العبادة لغير الله ﷻ
وأما كافر ؛ فلأنه بشركه قد خرج من الإسلام إلى الكفر .

(108) رواه الإمام البخاري بلفظ : كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي ، قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَنْ يَا أَبَى ؟ قال : (مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي)
الراوي : أبو هريرة ، المحدث : البخاري ، المصدر : صحيح البخاري ، الجزء أو الصفحة : (7280) ، حكم المحدث : صحيح .

وكل مشرك كافر ، وليس كل كافر مشرك ؛ لأن الكافر قد يكفر بالله ولا يشرك معه غيره .

فمن هنا الشيخ قال : **" فهو مشرك كافر "** كافر أي خارج من الملة ، ومشرك أي شرًا أكبر إن وقع فيه .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله تعالى - : (المسلمون متفقون على أن العبد لا يجوز له أن يعبد ولا يدعو ولا يستغيث ولا يتوكل إلا على الله ، وأن من عبد ملكًا مقربًا أو نبيًا مرسلًا أو دعاه أو استغاث به فهو مشرك) .

فكيف بدعاء غير الملائكة ؟! فكيف بدعاء غير الأنبياء من الأولياء والصالحين ؟!

هل الولي الفلاني أعلى من المَلَك ؟! هل العبد الصالح أعلى من النبي ﷺ ؟!

هل الولي أعلى من الأنبياء والرسل ؟

لا ؛ الأنبياء والرسل لا يجوز دعاءهم ، الأنبياء والرسل والملائكة لا يرضون بدعائهم ، والرسل والأنبياء جاءت لدعاء الله ﷻ وحده لا شريك له .

فلاشك أن هذا الأمر هو شرك وكفر بالله ﷻ .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : " والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١١٧) 109

- الدليل على ماذا ؟

- الدليل على أن من صرف نوعًا من أنواع العبادة لغير الله فهو مشرك كافر .

وهذا بديع من الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - .

- ما هو البديع ؟

- البديع أن الشيخ قال : " من صرف شيئاً " يعني : من أتى بالخوف والتوكل والرغبة والخشية والاستغاثة وأتى بكل أنواع العبادة ولكن صرف نوعًا واحدًا فقط وهو الدعاء لغير الله فهو كافر مشرك ؛ يعني بعض الناس يلبس يقول : يعني يا أخي المشرك الذي يدعو غير الله ويطوف حول القبر ويذبح وكذا ، وأما بمجرد أن ندعو غير الله ﷻ من عباد الله الصالحين الأولياء هذا ليس بشرك ، ليس بكفر .

أنت الآن أحبطت كل عمله بهذا الأمر ؟! نقول نعم ، أما علمت قول الله ﷻ : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ (٢٣) 110

(109) سورة المؤمنون (117) .

(110) سورة الفرقان (23) .

فإن من وقع في شرك واحد ؛ شركًا أكبر أبطل جميع عمله ﴿ إِنَّهُ مَن
يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾ (٧٢) 111 فقال :
من يشرك بالله .

فالشيخ - رحمه الله تعالى - أشار إلى مسألة مهمة وهي أن صرف
نوع واحدٍ لغير الله هو شرك مخرجٌ من الملة ؛ هذا كحكم عام .
فينبغي أن نتنبه لهذا الأمر وأن لا يلتبس علينا هذا الأمر .

الدرس الثامن

من

شرح الأصول الثلاثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ
يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرُّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أما بعد :

(111) سورة المائدة (72) .

ثم قال : " والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ .

قول الله ﷻ : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ ﴾ أي : كل من يدعو مع الله ﷻ إلهاً آخر ونلاحظ هنا أن الله ﷻ ذكر الدعاء .

فمن دعا مع الله إلهاً آخر فهذا كافر ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ وهذا يؤكد ما سبق بيانه وهو أن صرف نوع واحد فقط من أنواع العبادة لغير الله هو شرك .

طيب - قوله تعالى - : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ ذكر الله ﷻ الدعاء ويدخل في هذا الأمر كل عبادة تصرف لغير الله .

- لماذا ؟

لأن العلة واحدة وهي الشرك ، فمن دعا غير الله فقد أشرك ومن ذبح لغير الله فقد أشرك ، ومن خاف الخوف الذي يكون لله من غير الله فقد أشرك ، ومن نذر لغير الله مما يكون لله فقد أشرك ، فإذا قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ المراد أن من يصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله ﷻ فقد كفر .

طيب : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ أي : لا توجد عنده حجة ولا دليل على هذا الأمر ، وليس المراد أنه الإنسان لو عنده حجة أو دليل على الشرك يشرك لا ؛ لأن الشرك والكفر حرّمه الله ﷻ على لسان جميع الأنبياء والمرسلين .

- طيب لماذا الله ﷻ يقول : ﴿ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ ؟

لا حجة له ولا دليل ؟

- يقول هذا تأكيداً على ضلالهم وانحرافهم عن الحق ، فهم

يعملون هذا العمل ولا دليل لهم به ، وهم يعملون هذا العمل وهم يشركون بالله به ، وهم يعملون هذا العمل وقد جاءت الأنبياء والرسول على خلافه .

إذا لا دليل عنده ، بل الدليل على خلافه ، فيكون هذا من زيادة تقريع حالهم ومن زيادة بيان سوء ضلالهم وبيان أنهم مصرّون على باطلهم فلا دليل عندهم على هذا الشرك .

فقال : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ ما عقوبته ؟

قال : ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

أي عقابه وعذابه سيلقاه يوم القيامة بخلوده في النار ، لأن الله - كما سبق معنا - في آيات وأحاديث كثيرة توعد الكافرين والمشركين بأن لهم نار جهنم خالدين فيها أبداً وهذا أمر معلوم . ولكن قد يقع العبد في الشرك وهو يظن أنه غير واقع فيه .

لماذا لا يقع فيه ؟

سيأتينا إن شاء الله في رسالة كشف الشبهات لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أنه لا يقع فيه لأنه لا يعلم معنى التوحيد ولا يعلم معنى لا إله إلا الله بسبب تلبيسات علماء السوء الذين فسّروا لهم التوحيد بغير معناه الصحيح .

و العجب ، كما يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وغيره من أهل العلم ، يقولون : العجب من مسلم لا يعرف معنى التوحيد فيقع في الشرك ، والكفار - كفار مكة وغيرهم - يعرفون معنى التوحيد ؛ يعرفون معنى لا إله إلا الله ؛ أي لا تعبد إلا الله ،

فكانوا يرفضون لا إله إلا الله ، كما قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٣٥) وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَرِيكَ أَلَهْتَنَا ﴿٣٧﴾) 112

يعني : فيقولون أنت ترك ألهتنا بقولنا لا إله إلا الله ؟!
وبعض المسلمين - هداانا الله وإياهم إلى الصواب - يقول لا إله إلا الله وهو يدعو غير الله ، يقول لا إله إلا الله وهو يذبح لغير الله ؛
يقع في الشرك .

لماذا ؟

لأنهم لا يعلمون معنى التوحيد الحقيقي ، ولذلك شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب هنا قدّم تلك المقدمات لأهمية هذا الأمر ويبيّن أن معنى الحنيفية أن نعبد الله ﷻ مخلصين له الدين ، أن نعبد الله ﷻ مخلصين له الدين ، وأن لا نشرك به ﷻ .

إِذَا قَالَ ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١١٧) 113

أي : لا يكسبون في الدنيا ولا في الآخرة ؛ هم في خسارة دائمة ؛
فهم الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة ، فالكافرون لا يغتر بهم المؤمن ، متاع قليل في الدنيا ولكن في الآخرة يكونون في النار خالدون فيها إن ماتوا على الكفر وماتوا على الشرك الأكبر .

(112) سورة الصافات (35 - 36) .

(113) سورة المؤمنون (17) .

فالمسلم يدعو الله ويوحد الله و يتوكل على الله ﷻ ، كما سيأتينا
إن شاء الله تعالى .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - :

" والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ
لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١١٧) " .

هنا كما سبق الشيخ يقول والدليل ، والدليل ؛ دائماً يبني كلامه
على الدليل والحجة .

وهذا تعويدٌ لطالب العلم وتعويد للمسلم أن يقبل الحق بدليله ،
وأن يقبل الكلام بدليله ، فإن كان الكلام بلا دليل لا يقبله حتى
يتبين له الحق فيه .

إنما يعود شيخ الإسلام طلاب العلم على هذا الأمر ويبعدهم عن
التعصب ويبعدهم عن إكساب المشايخ والعلماء العصمة - يعني -
لهم أن يشرّعوا للناس ولهم أن يحلّلوا ويحرموا ، إنما العلماء
والمشايخ هم ورثة الأنبياء ، يبينوا الحق ، أما من دعا إلى نفسه
وأما من دعا إلى باطل فإنه في حقيقة الأمر ليس من العلماء .

ثم الشيخ - رحمه الله تعالى - شرع في بيان أدلة هذه الأنواع من
العبادات من الدعاء والخوف والرجاء والتوكل .

فذكر دليل الدعاء : قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا
بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ (١١٧) .

ثم ذكر نوعاً نوعاً من هذه الأنواع وأدلتها فقال :

وفي الحديث (الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ) (114)

هنا ننبه على أمر : أن الحديث صحيح بلفظ (الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ) (115) ، أما الحديث بلفظ (الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ) فقد ضَعَّفَهُ أهل العلم ومنهم الإمام الألباني - رحمه الله تعالى - ،

بهذا اللفظ (الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ) ضعيف ، وأما حديث (الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ) هو الذي صحَّ عن النبي ﷺ .

وهنا قد يقول قائل ، هل أنت الآن تخطئ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ؟!

نقول لا ، نحن لا نعطي أي عالمٍ كائنًا من كان ، لا نعطيه صفة العصمة ؛ فكلُّ يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي ﷺ .

فالعصمة فيما كان عليه النبي ﷺ وكان عليه أصحابه ، وكان الصحابة - رضوان الله عليهم - يردُّ بعضهم على بعض ، يردُّون طلبًا للحق ولله ﷻ ، ويردون بالحجة والدليل ، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - ربَّما ظن أن هذا الحديث صحيح فأورده ولكن الحق أحق أن يتبع ؛ فالحديث صحيح بلفظ : (الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ) ، (الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ) .

ما معنى الدعاء هو العبادة ؟

(114) الراوي : أنس بن مالك ، المحدث : الألباني ، المصدر : ضعيف الترغيب ، الجزء أو الصفحة : (1016) ، حكم المحدث : ضعيف .

(115) حديث صحيح .

يعني أنّ الدعاء هو أعظم العبادات ، وأن الدعاء هو من أساسيات العبادات ، وأن الشرك بالله ﷻ يحصل بدعاء غيره ﷻ ، بدعاء غير الله ﷻ ؛

فإذا الدعاء هو العبادة .

فبعض الناس تقول له لا تدعُ فلان وفلان فأنت تعبدهم ، يقول لا أنا ما أعبدهم ، أنا لما أدعوهم أعظمهم وأطلب منهم أن يلبوا طلباتي أو أن يصرفوا عني السوء .

فنقول هذا الدعاء هو العبادة ! وهذا الذي كان عليه كفار مكة وغيرهم ، كانوا يدعون غير الله ﷻ ، **فكيف تسمي الدعاء ليس عبادة ؟!**

بل الدعاء عبادة ، طيب .

- ما الدليل أيضًا ؟

قال : الدليل قول الله ﷻ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٦٠) 116

فالله ﷻ أمرنا أن ندعوه ﷻ ، فالله ﷻ أمرنا أن ندعوه ﷻ فقال : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ﴾ أي الذي ربانا بنعمه ﷻ فخلقنا ورزقنا وأوجدنا من العدم ، يعني ينبغي للمسلم إذا قرأ القرآن وسمع الأدلة أن يتلمس ما فيها من المعاني .

(116) سورة غافر (60) .

فالله ﷻ لما يقول ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي ﴾ يتأمل المسلم في وصفه ﷻ ، في ذكره ﷻ بأنه هو الرب الذي ربانا بنعمه ؛ فينعم الله ﷻ علينا بالنعم ليل نهار وفي كل حين ﷻ ومع ذلك ندعو غيره ؟! لا ؛ بل ندعوه ﷻ .

فمن كانت له طلبات ، من كانت له رغبات ، من كانت له أمور يرجوها فليسألها من الله ﷻ فإن الله ﷻ يحب من عباده أن يدعوه .

فقال الله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ أي : يعرضون عن عبادتي ، فلا يدعوني استكباراً وإعراضاً ، وهنا نلاحظ أن الله ﷻ وصف وسمى الدعاء عبادة .

فقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ أي : عن دعائي وعن أن يصرفوا العبادة لي ، ﴿ سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ أي : حقيرين ذليلين ، فيعذبون بالنار بلهيبها وأيضاً يهانون عقوبةً لهم ، عقوبةً لهم ؛ فهذا دليل الدعاء ، فهذا دليل الدعاء .

والدعاء كما قال أهل العلم : إن من أعظم أنواع الشرك الذي يقع فيه المشركون الدعاء ؛ لأن من وقع في الشرك يطلب قضاء حوائجه ويستغيث ويتوجه حين يشرك بغير الله ﷻ ؛ ومن هنا كان الدعاء من أعظم أنواع العبادات ، وكان الدعاء من أكثر الشرك الذي يقع فيه الناس ومن الباب الذي يلج فيه الشيطان لإضلال الناس ؛ لأن المرء يضعف عند حاجته فيريد قضاءها ويريد إيقاعها فيأتيه الشيطان ويخيل له ويقول له لو سألت فلان لو دعوت فلان فأن الناس تدعو فلان ويستجاب له فادعُ ، فإن كان جاهلاً

لا يعرف قدر الله ﷻ ولا يعظم الله في قلبه ويعظم المخلوقين أكثر من تعظيم الله فإنه يدعو غير الله ﷻ .

والعجب أن المخلوقين لا يملكون شيئاً وأن الأمور كلها لله ﷻ وبيده ﷻ ، وأنه لو أعطى الناس كلهم من أولهم لآخرهم أعطاهم كلهم حوائجهم ما ينقص من ملكه شيء .

فكيف يتوجه العبد لغير الله ﷻ ؟!

وكيف يدعو العبد غير الله ﷻ ؟!

فلا شك أن هذا من الانحراف ومن إضلال الشيطان لبني آدم .
فعلى المسلم أن يدعو الله ﷻ وأن يسأل الله ﷻ .
وهنا ننبه على أمور في الدعاء :

أولاً : ينبغي للعبد أن يكثر من الدعاء وأن يلح في الدعاء وأن لا يستبطئ الإجابة ؛ فكثر من الناس يدعون الله ﷻ ثم يقولون لم يستجب لنا ، فيذهبون لطريق آخر كدعاء غير الله أو الذهاب للسحرة أو للكهان أو غير ذلك وهذا خطأ .

وإنما أنت يا عبد الله عليك أن تدعو الله ﷻ وأن تطيب مطعمك ومشريك وملبسك وأن تسلك السبيل الشرعي في الدعاء وأن تخلص في الدعاء وأن تدعو وأنت موقن بالإجابة وتعلم أن الله ﷻ بيده الأمور كلها ، أما بعض الناس قد يدعو الله ﷻ ساهٍ لاهٍ غافل ثم يقال لا يستجاب لي !!

يدعو الله ﷻ وهو يأكل الحرام وملبسه حرام وغذّي بالحرام ، فأني يستجاب له !!

وأيضًا عليه أن يراعي أوقات الإجابة ؛ الأزمنة : عند نزول المطر ،
وأيضًا يراعي الأمكنة التي جاءت في السنة النبوية الصحيحة الثابتة
مراعاتها ، وأيضًا كدعاء الوالدين .

فعلى المسلم أن يراعي هذه الأمور في باب الدعاء.

ثم قال المصنف - رحمه الله تعالى - :

" ودليل الخوف قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٧٥) ، " ودليل الخوف قوله تعالى : ﴿ فَلَا
تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ؛ الخوف من أعمال
القلوب وهو من أجل أعمال القلوب .

ما هو الخوف ؟

الخوف معروف ؛ وذكروا في تعريفه بأنه تألم القلب وحركته
بسبب توقع مكروه في المستقبل .

والخوف قد يكون محمودًا وقد يكون مذمومًا.

فالخوف المحمود هو الذي يمنعك عن الوقوع في معصية الله ﷻ
كما ذكر الله ﷻ في صفات عباده المؤمنين أنهم يخافونه ﷻ ؛
فهذا خوفٌ محمودٌ ممدوح ؛ أن يمنعك الخوف من الوقوع في
معصية الله ﷻ .

وقد ذكر العلماء أن الخوف أنواع وأقسام فمنه : خوف السر .

ما هو خوف السر ؟

خوف السر معناه أن يخاف العبد من غير الله ﷻ كوثن أو ولي صالح أو من ميت في قبره يخاف منه كخوفه من الله ﷻ ؛ فبعض الناس مثلاً لا يقع في المعصية أو لا يفعل أمراً .

لماذا ؟

يقول : أخاف من سيدي فلان أن يعاقبني إذا فعلته ، فهذا ساوى بين الخالق والمخلوق في الخوف ، فهذا من الشرك وسمي خوف السر لأنه يخاف في سره في نفسه ، يظنه أنه يعلم الغيب وأنه يعلم بحاله .

والنوع الثاني من أنواع الخوف : ما ذكره العلماء بقولهم أن الإنسان قد يترك ما يجب عليه خوفاً من بعض الناس ؛ قال ابن القيم الجوزية - رحمه الله تعالى - : **(ومن كيد عدو الله - أي الشيطان - أن يخوف المؤمنين من جنده وأوليائهم لئلا يجاهدوهم ولا يأمرهم بالمعروف ولا ينهوهم عن المنكر)** وأخبر تعالى أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه ونهانا عن أن نخافه .
فهذا الخوف محرّم ، وهو نوعٌ من الشرك الذي يمنع كمال الإيمان وكمال التوحيد .

قال في فتح المجيد : **(فهذا حرامٌ وهو نوعٌ من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد)** .

القسم الثالث : الخوف الطبيعي

الخوف الطبيعي يعني كخوف الإنسان مثلاً من الأسد أو خوفه من النار أو خوفه من الموت ، فهذا لا يلام عليه العبد .

كما وصف الله ﷺ نبي الله موسى - عليه الصلاة والسلام - ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ (٢١) ﴿ 117 ﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴿

فإذا هذه أنواع الخوف الثلاثة : خوفٌ هو من الشرك ، وخوفٌ ينافي كمال التوحيد محرّم ، وخوفٌ طبيعي.

فالله ﷻ يقول : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١٧٥) ﴿ 118 ﴾

يخاطب المؤمنين أن لا يخافون .

- أن لا يخافون ممن ؟

- أن لا يخافوا من المشركين ،

﴿ وَخَافُوا ﴾ أي : خافوا الله ﷻ الذي بيده كل شيء ،

﴿ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ : أي إن كنتم آمنتم بي وعلمتم أن الله ﷻ بيده الأمور كلها ﷻ ، بيده الأمور كلها ﷻ .

لذا على العبد أن يعلم وأن يوقن أن الله ﷻ قادر على كل شيء وأن الله ﷻ بيده الأمور فيتوكل على الله ﷻ ولا يخاف من شيء .

ولكن هنا ننبه على أمر :

و هو أن تأخذ بالأسباب الشرعية ؛ لا يأتينا إنسان يقول أنا ما أخاف من أحد وأفعل ما في رأسي ، وأنا يعني لا أخاف في الله لومة لائم فيكفر الناس ويقتلهم ويقول أنا لا أخاف ، لا ؛ هذا ليس خوفا شرعيا ، هذا خوفا شيطانيا ؛ هذا أنت تخوف الناس

(117) سورة القصص (21) .

(118) سورة آل عمران (175) .

وتؤذيهم ، إنما الخوف الطبيعي كما سبق أن تخاف من الأسد أو السبع .

و أما الخوف من غير الله ﷻ أو من الناس فإن خافهم كخوف من الله ﷻ فهذا شرك .

وإن ترك ما وجب عليه خوفاً من بعض الناس ولا عذر له يمنعه من هذا الأمر فهذا محرم ،

و لكن أن يظن العبد أنه يجب عليه أن لا يخاف فيفعل ما يشاء فلا شك أن هذا خلاف الشرع .

إنما عليه أن يخاف وأن يلتزم بالشرع فيما ورد بذلك الدليل ، ولذلك نجد ونسمع كثير من كلمات هؤلاء الدواعش أو تنظيم القاعدة أو غيرهم أو من دعاة السوء لما - يعني - يلبسون يعني على العامة ويريدون منهم الخروج على الحكام يقولون لهم : لا تخافوهم ! خافوا الله ! لا تخافوا في الله لومة لائم ! افعلوا كذا !!

نقول يا أخي اتق الله في نفسك ! الخوف الذي الآن تدم الناس عليه هو أمر شرعي ؛ فإن الصبر على جور الحكام وعدم الخروج على الحكام وسؤال الله ﷻ أن يفرج الهم وأن يصلحهم هو السنة .

فكيف تجعل السنة أنها خوف ؟!!

فالصحابة - رضوان الله عليهم - في مكة هل قتلوا المشركين بهدم عليهم ، أو أن يقتلوهم غيلة ، أو أن ينحروهم هكذا ؟!!

لا ؛ إنما صبروا حتى أمروا بالجهاد ، فهؤلاء ينبغي أن لا يلتبس علينا الأمر ؛ نعم ، لا نخاف في الله لومة لائم بما شرع الله لا بما شرع الشيطان وأوليائه .

نعم لا نخاف في الله لومة لائم إذا حققنا السنّة وحققنا عبادة الله وتوكلنا على الله وخفنا من الله ﷻ .

أما هذا الخوف المنفي الذي يزعمه هؤلاء فلا شك أنه خوف - يعني - باطل شيطاني يلبس به على العوام .

أقف عند هذا الحد من ما يتعلق بهذه الأصول الثلاثة التي أسأل الله ﷻ أن ينفعني وإياكم بالعلم النافع وأن يرزقنا العلم الصالح .

وأحب أن أنبه على أمرٍ مهم مما يتعلق بهذا المعهد - **معهد الميراث النبوي** - وهو أننا في هذا المعهد بفضل الله ﷻ نسير على ما كان عليه علماؤنا علماء السنة ، علماء الحق ، فندعو للتوحيد وندعو إلى السنة ونحارب الشرك ونحارب البدعة ، وإن شاء الله ﷻ - يعني - بإذن الله تعالى - لا نخالف هذه الأمور أبداً ، ومن يطعن في هذا المعهد أو يحذر منه فهو أحد رجلين :

- إما رجل مبتدع ضال لا تعجبه إقامة التوحيد ولا تعجبه محاربة الشرك ولا يعني يريد هذه الأمور يريد الناس أن يبقوا على ضلالهم ، فلا شك أن الدروس التي في هذا المعهد ستكون حجةً عليه ، وستكون وبألاً عليه وستهدي - بإذن الله تعالى - ستهدي بمعنى سترشد وتدل الناس على الحق .

- وإما أن يكون رجلاً آخر؛ رجل جاهل أو متعصب ، أو رجل - يعني - متهور لا يعرف مكانةً للتوحيد ويحارب أهل السنة ويحارب

أهل الحق .

فأنا أقول لهؤلاء جميعًا :

من يحذر من المعهد إن كان رجلًا صادقًا فليأت بالدليل .
أنا لما أحذر من الشرك أو أحذر من البدعة عندنا الأدلة ، أو نحذر
من شخص معين عندنا الأدلة ، فمن حذر من السلفيين أو حذر
من المعاهد السلفية بلا حجة ولا دليل فلا شك أنه صاحب هوى
وأنه إلى الحماقة وإلى السفه أقرب من العلم وسميات طالب العلم

لماذا ؟

لأنك أنت الآن تحارب دعوة إلى التوحيد ، تحارب دعوة إلى السنة
، فبالله عليكم قولوا لي وأجيبوني بكل صراحة ؛

هل من يحذر من دعوة كهذه له عقل !! ؟؟ ، له تقوى من الله

عقل !! ؟؟

لا شك أن هذا يكون لصاحب هوى أو جاهل لا يعلم التوحيد ولا
يرفع له رأسًا - نسأل الله السلامة والعافية -

فهؤلاء نقول لهم : اتقوا الله ﷻ وكونوا مع الصادقين .

ونقول لهم أيضًا : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ 119

فمن يقول مثل هذا الكلام بلا حجة ولا برهان كلامه مردودٌ على
وجهه كما هو منصوص أهل العلم في هذه الأمور .

أسأل الله ﷻ في علاه أن يرزقني وإياكم الإخلاص في القول
والعمل ، وأن يرزق هذا المعهد القبول والتوفيق والسداد وأن
ينفع المسلمين به في مشارق الأرض ومغاربها.

(119) سورة البقرة (111) .

والحمد لله كما يذكر لي أصحاب الإدارة - جزاهم الله خيرا - أن
الإخوة المشاركين والأخوات المشاركات في هذا المعهد ، يعني
اللهم بارك وزد في نفع عبادك المؤمنين من مشارق الأرض
ومغاربها هم متعطشون لهذا التوحيد ومتعطشون للعلم النافع.
والله لا أزي نفسي ، ولكن أنا طالب علم وأسير على ما كان عليه
علماؤنا وأدعو إلى التوحيد والسنة ، ما عندي شيء زائد وإنما
عندي ما عند العلماء من الحق ، فأنا على هذا الحق.
ولو ضللتُ أو انحرفت عن الحق فلا شك أنه يجب على كل مسلم
ومسلمة أن يتركوا من ضل وانحرف عن الحق .
أسأل الله ﷻ أن يرزقني وإياكم الإخلاص في القول والعمل .
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الدرس التاسع

من

شرح الأصول الثلاثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ
يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أما بعد :

فقد سبق معنا في الأصول الثلاثة ما يتعلق بأنواع العبادات التي تكون لله وحده لا شريك له والتي عدّها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب -رحمه الله تعالى- مبيّنًا أدلتها ومبيّنًا أن صرفها لغير الله شرك ، وكما نعلم جميعًا أن هذه الأصول الثلاثة التي ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب - رحمه الله تعالى - هي معرفة العبد ربه ومعرفة العبد دينه ومعرفة العبد نبيه .

وقد ذكر كما مر معنا سابقًا فيما يتعلق بالأصل الأول في معرفة العبد ربه ذكر

- كيف عرف العبد ربه ؟

- ومن هو ربه ؟

فربه الذي رباه وربى جميع العالمين بنعمه ، فهو معبوده ليس له معبود سواه .

والدليل قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) 120

وأيضًا ذكر كيف عرف العبد ربه ؟

فعرّفه بآياته ومخلوقاته ، فذكر الدليل على ذلك .

(120) سورة الفاتحة (1) .

ثم بين أن الرب ﷻ هو المعبود ، وكما قال ابن كثير- رحمه الله تعالى - الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة ؛ فالذي خلق الشمس والقمر والليل والنهار والذي خلق السماوات والأرض والذي خلقنا وخلق الذين من قبلنا والذي جعل لنا الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج من الثمرات رزقاً لنا هو المعبود ﷻ وهو المستحق لهذه العبادات .

ثم كما مر معنا بين - رحمه الله تعالى - أنواع العبادات ، بين - رحمه الله تعالى- أنواع العبادات التي أمر الله بها من الإسلام والإيمان والإحسان وأيضاً الدعاء والخوف والرجاء ، وقد مر معنا ما يتعلق بالدعاء وما يتعلق بالخوف .

واليوم - إن شاء الله تعالى- ندخل فيما يتعلق بالرجاء حيث قال - رحمه الله تعالى - مبيناً دليل الرجاء ؛ فقال **ودليل الرجاء قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١١٠) 121**

الرجاء عبادة قلبية ؛ والرجاء هو رغبة القلب وطمعه في الحصول على شيء مرجو ، يقول ابن القيم " حقيقة الرجاء : الخوف والرجاء فيفعل ما أمر به على نور الإيمان راجياً للثواب ويترك ما نُهي عنه على نور الإيمان خائفاً من العقاب "

والرجاء ثلاثة أنواع :

النوع الأول : رجاء رجلٍ عمل بطاعة الله على نورٍ من الله فهو راجٍ ثوابه .

(121) سورة الكهف (110) .

النوع الثاني : ورجل أذنب ذنوبًا ثم تاب منها فهو راجٍ مغفرة - الله تعالى - وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه كما قال ابن القيم الجوزية - رحمه الله تعالى - .

فهذان النوعان من الرجاء ؛ رجاء رجلٍ عمل بطاعة ، ورجاء رجلٍ أذنب ذنوبًا ثم تاب ، فمن عمل بالطاعة يرجو ثواب الله ﷻ ، ومن عمل بالمعصية يرجو مغفرة الله ﷻ وعفوه وإحسانه ، هذان النوعان هما نوعان محمودان .

النوع الثالث : رجاء رجلٍ متمادٍ في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل ، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب .

كما قال ابن القيم الجوزية - رحمه الله تعالى - : (والعبد في هذه الحياة الدنيا عليه أن يسير ويجمع في سيره بين الرجاء والمحبة ، بين الرجاء والخوف ؛ فيجمع بين المحبة والرجاء والخوف ولا تحصل العبودية لله إلا بهذه الثلاث ؛ فالرجاء عبادة قلبية لها مكانتها ولها عظيم أثرها على العبد) .

يقول ابن القيم الجوزية : (قوة الرجاء على حسب قوة المعرفة بالله وأسماءه وصفاته ؛ يعني كلما كان العبد أعرف بالله ﷻ وبأسمائه وصفاته كلما تعلق قلبه به وكلما ازداد رجاءه لله ﷻ) .

لذلك الشيخ - رحمه الله تعالى - ذكر الرجاء ونص عليه فقال :
ودليل الرجاء قوله - تعالى - : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١١٠) فمن كان يرجو لقاء ربه ؛ أي أن يلقي الله ﷻ فيلقى ثوابه ووعدته فليعمل عملاً صالحاً يعني فليعمل عملاً خالصاً لله ﷻ متابِعاً لسنة النبي ﷺ وهو

العمل الشرعي الذي أمر به العبد ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ؛ أي لا يقع في الشرك بأن يشرك مع الله أي أحد كائنا من كان ؛ لأن قوله - تعالى - : ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ ، ﴿ أَحَدًا ﴾ كما قال العلماء : نكرة يدخل فيها كل أحد ، فلا يجوز للعبد أن يشرك بالله ﷻ أي أحد كائنا من كان .

وفي قوله ﷻ ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾

العمل الصالح ما هو ؟

ليس العمل الصالح أن تتقرب إلى الله ﷻ بما شئت وبما تظنه أنه من العبادة وإنما العمل الصالح كما سبق .

أنه ما اجتمع فيه شرطان :

الشرط الأول : أن يكون خالصاً لله ﷻ .

الشرط الثاني : أن يكون متابعاً لسنة النبي ﷺ .

والعبد عليه أن يعلم يقينا أن الأمور كلها بيد الله ﷻ فلا يرجو أحداً إلا الله ، ولا يعلق قلبه بأحدٍ إلا بالله ﷻ لذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : (وما رجا أحدٌ مخلوقاً أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه) ، وقال أيضاً : (إذا تعلق بالمخلوقين ورجاهم وطمع فيهم أن يجلبوا له منفعةً أو يدفعوا عنه مضرة فإنه يخذل من جهتهم ولا يحصل مقصوده) إلى آخر كلامه - رحمه الله تعالى - .

ثم ذكر الشيخ - رحمه الله تعالى - بعد أن ذكر الرجاء ذكر التوكل فقال : ودليل التوكل قوله - تعالى - : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ

كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ 122 وقوله : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى
اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ 3 ﴿ 123

التوكل على الله : هو الاعتماد عليه ﷻ في جميع الأمور وأن العبد يستسلم لأمر الله ﷻ ويعتمد عليه ، والتوكل على الله ﷻ تظهر فيه معاني التوحيد ويظهر فيه صدق تعلق القلب بالله ﷻ فهو فريضة وعبادة يجب إخلاصه - لله تعالى - وهو من أفضل العبادات .

فالتوكل على الله حقيقة أن القلب يتعلق بالله ﷻ مع أخذه بالأسباب وعدم اعتماده عليها ، التوكل على الله ﷻ هو أن يتعلق قلب العبد بالله ﷻ مع أخذه بالأسباب وعدم الاعتماد عليها لابد أن نفهم هذه الأمور :

أولاً : أن قلب العبد متعلق بالله ؛ لأنه يعلم أن الله ﷻ هو الذي بيده الأمور كلها ، وأن الله ﷻ لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، ولا يعني تعلق القلب بالله ﷻ أن العبد لا يعمل بالأسباب ولا يأخذ بها وإنما الله ﷻ أمرنا أن نأخذ بالأسباب ومع ذلك إذا أخذنا بالأسباب لا نعتمد عليها بمعنى لا نظن أن الأسباب هي التي - يعني - تحقق لنا النفع أو تدفع عنا الضر بل هذا بيد الله ﷻ وحده ﷻ.

والتوكل على الله ﷻ كما يقول ابن القيم الجوزية - رحمه الله تعالى - في كتابه الفوائد ؛ التوكل على الله :

(122) سورة المائدة (23) .

(123) سورة الطلاق (3) .

نوعان أحدهما : توكل على الله في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية .

والثاني : التوكل على الله ﷻ في حصول ما يحبه ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه .

قال : وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله ، فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حق توكله ؛ أي في نوع ما يحبه الله ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه كفاه النوع الأول تمام الكفاية ومتى توكل عليه في النوع الأول دون الثاني كفاه أيضًا لكن لا يكون له عاقبه المتوكل فيما يحبه ويرضاه .

قال : فأعظم التوكل عليه التوكل في الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول ﷺ .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - كما سبق : **ودليل التوكل قوله - تعالى - : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ، وقوله - تعالى - : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ .**

قوله ﷻ **﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا ﴾** ، أي على الله اعتمدوا وهذه الآية تفيد أننا نعتمد على الله ولا نعتمد على غيره .

فإن الاعتماد على الله ﷻ هو من صفات المؤمنين وهو من العبادات التي يحرص عليها كل مؤمن **﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا ﴾** ؛ أي لا تتوكلوا على غيره ، فالمسلم يفوض أمره إلى الله ﷻ ، وقوله - تعالى - **﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾** ؛ أي ومن يعتمد على الله ﷻ ويتوكل عليه في أمره دينًا ودنيا فإن الله هو حسبه ؛ **(حسبه)** بمعنى أن الله ﷻ هو كافيه ، فمهما حاول أن يؤذيه من

يؤذيه من الأعداء فمادام أن العبد متوكل على الله ﷻ فإنه لا يضره شيء بإذن الله - تعالى - إلا شيءٌ قد قدر عليه ومع ذلك فإنه محفوف بالحفظ واللفظ والرعاية من الله ﷻ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : (الاستعانة بالله والتوكل عليه واللجأ إليه والدعاء له هي التي تقوي العبد وتيسر عليه الأمور ولهذا قال بعض السلف من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله) انتهى .

لكن كما سبق مع مراعاة الأخذ بالأسباب وأيضًا مع مراعاة أن لا يعتمد على هذه الأسباب ويعتقد أنها تنفع وتضر بنفسها ؛ بل العبد يبذل الأسباب ويسأل الله الإعانة والتوفيق والسداد حتى يمثل أمر الله ﷻ وحتى يحقق معنى التوحيد وحتى - يعني - إذا أتى بالتوكل فإن الله ﷻ ينصره وإن الله ﷻ يوفقه ويسدده ، ولذلك كثيرٌ من الناس في حوائج الدنيا لما يطلبوها من غير الله فإنهم - يعني - قد لا يوفقون لها إذا كانت قلوبهم معلقة بغير الله ﷻ وأما إذا كانت قلوبهم معلقة بالله ﷻ فإنهم بإذن الله - تعالى - يوفقون ؛ ولذلك الله ﷻ أمرنا بالتوكل عليه في آيات كثيرة .

ثم قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : **ودليل الرغبة والرغبة والخشوع قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۚ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ (٩٠) 124**

الرغبة والرغبة والخشوع من العبادات القلبية التي ينبغي للعبد أن يصرفها لله ﷻ .

فالرغبة : هي طلب الوصول إلى الشيء المحبوب .

والرهبة : هي الخوف من أمرٍ يُفزع المرء مما يثمر الهرب من الأمر المُخَوِّف ، قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : (إذا أراد الله بعبده خيراً وفقه لاستفراغ وسعه وبذل جهده في الرغبة والرهبة إليه ، فإنهما مادتا التوفيق ، فبقدر قيام الرغبة والرهبة في القلب يحصل التوفيق) .

والخشوع : هو الذل لعظمة الله ﷻ ، والخشوع قد يكون في القلب وقد يكون في الجوارح .

والله ﷻ أثنى على عباده الصالحين ، وأثنى على أنبياءه - صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين - حيث قال : ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ ؛ أي هؤلاء الأنبياء وهؤلاء الصالحون ﴿ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ ؛ يعني يبذلون كل ما في وسعهم للحصول على الخيرات ، وعلى مرضاة الله ﷻ فيتسارعون ويتسابقون .

والخيرات : المراد بها الطاعات التي أمر الله ﷻ بها والتي جاءت بها الرسل والأنبياء .

ولذلك هذا ينبغي أن نلحظه دائماً في النصوص الشرعية ؛ أن الحث على العمل الصالح والحث على الطاعات إنما المراد به الطاعات التي أمر الله ﷻ بها كما قال - عز شأنه - : ﴿ وَمَا لُرَّسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (٦٤) 125

إذا كانوا هؤلاء الأنبياء والصالحون يسارعون في الخيرات ، وكانوا أيضاً .

(125) سورة النساء (64) .

مـ اذا ؟

﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ يدعوننا رغبا : يعني يدعوننا يطلبون الثواب من الله ﷻ وهم يأملون من الله ﷻ الثواب وحسن المآب والخير من الله ﷻ ، ﴿رَغَبًا﴾ ﴿وَرَهَبًا﴾ أيضا يخافون ألا تُقبل أعمالهم ، يخافون أن يكونون مقصرين مع الله ﷻ ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ .

ولذلك ينبغي للعبد أن لا يغتر بطاعته ، وأن لا يغتر بصلاحه ، فيظن نفسه أنه من عباد الله الصالحين الذين قد وفقوا للخير ؛ لا لابد أيضا من الخوف ؛ لابد يخافون من الله ﷻ ، يخافون من التقصير ، يخافون من العقاب .

﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ يعني أن هؤلاء الأنبياء والرسل والصالحين كانوا خاضعين لله ﷻ متذللين له ﷻ وفي ذلك كمال العبادة لأن العبادة هي كمال المحبة مع كمال الذل ، فالله ﷻ أثنى على هؤلاء الأنبياء والصالحين بهذه الصفات ؛ فإذا كان هذا حال الأنبياء والصالحين فينبغي لمن دونهم من العباد أن يمتثلوا مثل هذا الحال ؛ الرغبة والرغبة والخشوع إلى الله ﷻ .

ثم قال الشيخ - رحمه الله تعالى - **ودليل الخشية قوله - تعالى - :**
﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ (١٥٠) ﴿126﴾

الخشية : بمعنى الخوف إلا أن الخشية فيها معنى الخوف بأدق ،
قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٢٨) 127
(لم يقل إنما يخاف الله من عباده العلماء .

- لماذا ؟

قالوا لأن خشية الله ﷻ مقرونة بمعرفته وعلى قدر المعرفة تكون
الخشية ، ولذلك الخشية من العبادات القلبية العظيمة وهي من
أوائل ما يُرفع من الأرض والخشية مثمرة عن العلم.

ولذلك الفرق بين العلماء وبين الزهاد الذين لا علم لهم ؛ أن
العلماء أهل خشية لأنهم أهل معرفة بالله ﷻ ، وأما الزهاد فأهل
خوف إذا كان زهدهم مبني على مجرد الخوف لا على العلم بالله
ﷻ ؛ ولذلك قال النبي ﷺ : (**فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى
أَدْنَاكُمْ**) (128

فالله ﷻ يقول : ﴿ **فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي** ﴾ فالخشية لله ﷻ
فلا تخشوا أي أحد من دون الله ﷻ .

- لماذا ؟

- **لأنه** ليس بيدهم شيء إنما الأمور كلها بيد الله ﷻ فالله ﷻ هو
أهل الخشية ، هو أهل لأن يُخشى وأهل لأن يُتقى ﷻ ، وقد جاءت
الخشية في صفات المؤمنين في آيات متعددة في كتاب الله ﷻ كما
قال الله ﷻ : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ**
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (١٢) 129 ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم** ﴾ ؛ أي

(127) سورة فاطر (28) .

(128) صححه الألباني في صحيح الترمذي رقم (2685) .

(129) سورة الملك (12) .

يخافونه ويحذرونه ويحذرون عذابه وعقابه وسخطه **بماذا**
يحذرونه ؟ بمجرد الخوف ؟ لا ؛ بالعلم الشرعي فيتعلمون
 الطاعات فيعملون بها ويتعلمون الأمور التي نهى عنها فيجتنبوها .
 ولذلك أثنى الله ﷻ عليهم هذا الثناء العاطر ، بل قال الله ﷻ كما
 مر معنا ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .
 ثم ذكر ﷺ أيضا في كتابه قال : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأْتِمَّ
 نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١٥٠) 130 ، فمن تمام
 نعمة الله ﷻ علينا أن يكون العبد متعلقا بالله ﷻ متوجها إليه ، ﴿
 وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ولعل كما قال ابن عباس " من الله واجبا " .
 وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الدرس العاشر

من

شرح الأصول الثلاثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
 أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ
 يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،
 وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أما بعد :

ثم قال المصنف - رحمه الله تعالى - **ودليل الإنابة قوله - تعالى -**
: ﴿ وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ (٥٤) 131

الإنابة : أناب إلى الله إذا رجع إليه فالإنابة هي الرجوع إلى الله ﷻ والعبد يُنِيب ويرجع إلى الله ﷻ لأنه متعلق قلبه به ، والإنابة أيضًا تأتي بمعنى التوبة فالعبد التائب منيب إلى الله لأنه راجع إليه ﷻ .

يقول المصنف - رحمه الله - **ودليل الإنابة قوله - تعالى - :**
﴿ وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ فهذه العبادة العظيمة الله ﷻ يأمرنا بها **﴿ وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾** ؛ يعني ارجعوا إلى الله ﷻ بقلوبكم ، **﴿ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾** ؛ أي بجوارحكم .

فالعبد يجمع بين الإنابة وبين التوبة ، وبين الخوف والرغبة كما مرّ ، فهذه العبادات إذا امتلأ قلب العبد بها زادت بصيرة وإيمانًا و يقينا.

قال المصنف - رحمه الله تعالى - **: دليل الاستعانة قوله - تعالى**
- : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٥) 132

وفي الحديث : (وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ) 133

(131) سورة الزمر (54) .

(132) سورة الفاتحة (5) .

(133) أخرجه أحمد (2763) والترمذي (2516) .

الاستعانة : معناها طلب العون من الله ﷻ ، فالشيخ - رحمه الله تعالى - ذكر دليلها ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾ أي ولا نعبد أحدا سواك ، ﴿ **وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ أي ولا نستعين بأحد سواك .

فهنا جعل العبادة لله ﷻ وحده لا شريك له ، وخص من العبادة الاستعانة لعظيم فضلها وشريف مكانتها ، فالله ﷻ هو المستحق لطلب العون منه لأنه هو الذي بيده الأمور كلها ﷻ .

ولذلك جاء في الشرع ما يرغبه في الإكثار من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ، لأن العبد لا حول له ولا قوة إلا بالله ﷻ ؛ ولذلك ينبغي للعبد ألا يغتر بقوته ولا بماله ولا بجاهه ولا بمنصبه وإنما يعلم أنه مهما بلغ في هذه الدنيا هو فقير إلى الله ﷻ .

كما قال الله ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ** (١٥) ﴾

ففي هذه الآية فيها نداء لجميع الناس غنيهم وفقيرهم ، غنيهم في الدنيا بما عنده من أموال ، وفقيرهم في الدنيا الذي لا يملك شيئا ، كل هؤلاء هم فقراء إلى الله ﷻ ، والفقير إذا استغنى بالله فهو الغني ، والغني إذا استغنى بقوته فهو الفقير ، ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ** ﴾ .

ولذلك النبي ﷺ علم ابن عباس وعلم الأمة من بعده أيضا كما ذكر الشيخ في الحديث (**وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**) ، (**وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**) ؛ يعني إذا أردت العون وأردت التوفيق ، فاطلب العون من الله ﷻ ، واستعن بالله فإنه ناصرك وإنه معينك ﷻ .

فإنَّ الاستعانة تُطلب من الله ﷻ فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ ،
ولا بأس بالاستعانة بالمخلوق الحي على أمر قادر عليه ، فلا بدَّ أن
نراعي هذه الأمور في الاستعانة بالمخلوق :

الأمر الأول : أن يكون المخلوق حيًّا ، فلو كان ميتًا فلا يجوز
الاستعانة به حتى نبينا محمدًا ﷺ لا يجوز الاستعانة به ؛ فهو -
عليه الصلاة والسلام - ميتٌ في قبره ليس بيده شيء - عليه
الصلاة والسلام - ؛ بل قال لابن عباس كما مرَّ معنا سابقًا : **(إِذَا
اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ)** ، وعمر كان يستسقي بالنبي ﷺ ؛ أي
بدعائه فلمَّا مات النبي ﷺ استسقى ؛ أي طلب الدعاء من عمه
العباس .

فكذا **الاستعانة** لابد أن تكون من الحي وعلى أمرٍ يقدر عليه الحي ؛
كأن يعينك على بعض الأمور من أمور الدنيا ، أمَّا أن يكون أمرًا لا
يقدر عليه الحي ؛ كأن يسأله مثلاً " أن يرزقه الولد ، أو يسأله أن
يفعل له كذا وكذا " مما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ فهذه استعانة
محرمّة بل شركيّة ؛ لأنه أشرك مع الله ﷻ في هذه العبادة
ف**الاستعانة** بالأموات ، وكذا **الاستعانة** بالأحياء الغائبين ، أو
بالأحياء العاجزين على أمر لا يقدرّون عليه فهذه شركٌ ، ولا يجوز
صرفها لهؤلاء .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : **ودليل الاستعاذة قوله - تعالى -**
: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ (١) 135 و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ
النَّاسِ ﴾ (١) 136

(135) سورة الفلق (1) .

(136) سورة الناس (1) .

الاستعاذة : طلب العوذ وهو اللجوء والاعتصام ، والاستعاذة بالله ﷻ أن تلتجئ إلى الله ﷻ وتعتصم به وتطلب منه أن يعينك في أمرك بصرف ما يضرك ، وجلب ما ينفعك .

والاستعاذة أدلتها كثيرة في القرآن والسنة ذكر الشيخ منها ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ ١ ﴿ خطاب لنبينا محمد ﷺ ، ﴿ قُلْ ﴾ أمر أن يقول ﴿ أَعُوذُ ﴾ ؛ أي أعتصم والتجئ بمن ﴿ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ أي بالله ﷻ الذي هو رب الفلق أي رب الصبح و: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ كذلك قل يا نبي : أعوذ بك ، بمن ؟ بالله ﴿ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ، وهاتان المعوذتان جاء في فضلها أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ .

فالاستعاذة بالله ﷻ عبادة عظيمة ، والله ﷻ كما في الآيتين السابقتين أمر نبينا محمدا ﷺ أن يستعيذ بفالق الإصباح من شر جميع المخلوقات ، والاستعاذة بالمخلوق الحي الحاضر في ما يقدر عليه لا مانع منها ، الاستعاذة بالمخلوق الحي الحاضر في ما يقدر عليه ، وذلك كما جاء في الحديث أن امرأة عاذت بأم سلمة ؛ زوج النبي ﷺ يعني : التجأت إليها أن تعينها وأن تساعدتها فهذا لأبأس بالاستعاذة بالمخلوق الحي الحاضر في ما يقدر عليه .

قال في تيسير العزيز الحميد : " المخلوق يُطلب منه ما يقدر عليه ويستعاذ به فيه بخلاف ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يستعاذ فيه إلا بالله " ، ولذلك كما سبق لا يستعاذ بالأموات ولا بالغائبين الأحياء ولا بالأحياء العاجزين على أمر لا يقدر عليهم ؛ فإن هذا من الشرك الأكبر.

ثم قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : **ودليل الاستغاثه قوله - تعالى**
- : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ (137)

الاستغاثه مرت معنا الاستعانه ومرت معنا الاستعاذه .

والآن يبين الشيخ - رحمه الله تعالى - الاستغاثه ودليلها فيقول :
ودليل الاستغاثه قوله - تعالى - : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ
لَكُمْ ﴾ .

ما هي الاستغاثه ؟

ما هي الاستغاثه ؟

الاستغاثه : بمعنى : طلب الغوث والإنقاذ من أمرٍ شديد .

يقول ابن القيم : " **الاستغاثه لا تكون إلا بعد الذعر** " ولا تكون
أيضاً كما قال بعض أهل العلم إلا من أمرٍ مهمومٍ مكروب .

فالاستعاذه الفرق بينها وبين الاستغاثه ؛ أن الاستعاذه تطلب منه
أن يعصمك وأن يمنعك وأن يحصنك ، وأما الاستغاثه فهي أن
تطلب منه أن يزيل ما حل بك من شدة ، فهذا هو معنى الاستغاثه
والفرق بينها وبين الاستعاذه .

فالاستغاثه : أن تطلب منه أن يزيل ما حل بك من شدة .

وأما الاستعاذه : فأن تطلب منه أن يعصمك وأن يحفظك وأن
يمنعك .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : **دليل الاستغاثه قوله - تعالى - :**
﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ ؛ يعني أن الله ﷻ يذكر عباده المؤمنين

لما كانوا قريبين من عدوهم وقتالهم كانوا يستغيثون بالله ﷻ ؛ أي كانوا يطلبون من الله ﷻ أن يزيل ما حل بهم من شدة فيطلبون منه العون والنصر ، قال : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ وذلك كان يوم بدر حين كان عدد المشركين أكثر من عدد المؤمنين فاستغاثوا بالله ﷻ والتجئوا إليه ﷻ .

وهذا فيه كما سبق دليل على أن الاستغاثة تكون لله ﷻ فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ وأما الاستغاثة بالأحياء الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذه لا مانع منها وهي جائزة .

ما الدليل — ل ؟

- الدليل كما ذكر الله ﷻ لنا في قصة موسى : ﴿ اسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ ﴾ (١٥) 138

ثم قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : ودليل الذبح قوله - تعالى - : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ ٠ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١٦٣) 139

الذبح : أن يُريق العبد الدم لله ﷻ تقربا وطلباً للثواب من الله ﷻ .

قال - رحمه الله تعالى - : ودليل الذبح ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ ، ﴿ وَنُسُكِي ﴾ ؛ أي ما أذبحه تقرباً إلى الله ﷻ ، ﴿ وَمَحْيَايَ ﴾ ؛ أي كل ما أفعله في حياتي ، ﴿ وَمَمَاتِي ﴾ ؛ أي ما أدخره من عمل بعد موتي ، ﴿ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ كل ذلك لله رب العالمين وحده

(138) سورة القصص (15) .

(139) سورة الأنعام (161 - 162) .

﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ ، كما أنه ليس له شريك في الخلق والملك والأمر ،
 ﴿ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ؛ يعني بهذا الإخلاص
 وهذا التوحيد ونفي الشرك أُمِرْتُ يعني أُمِرَني أمرًا لازمًا وفرضًا واجبًا
 ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ؛ يعني أنا أول من امتثل هذا الأمر وهذا
 الخير الذي أُمِرَني به ربي ﷻ .

ثم قال : ومن السنة (لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ) (140)

لعن الله : اللعن عند أهل العلم دليلٌ على أن هذا الفعل من كبائر
 الذنوب ، وأن هذا الفعل من الأمور التي تغضب الرب ﷻ فمن
 ذبح لغير الله فإنه متهدّد بهذا الوعيد فإن ذبح لغير الله قاصدًا
 التقرب له من صنمٍ أو قبرٍ أو غير ذلك فإنه قد وقع في الشرك ولو
 كان المذبوح شيئًا حقيرًا .

فالذبح لغير الله ﷻ من الشرك ، وأما ما يذبحه الإنسان من ذبائح
 لنفسه إكرامًا لضيفه ويذبحه في الأفراح فهذه من الأمور العادية
 التي ليس المراد بها ما ذكره هنا من الذبح لله ؛ فالذبح لله ها هنا
 أي التقرب له ﷻ ، أما إن كان من باب العادات ومن باب - يعني -
 ما يؤكل للبيت ونحو ذلك فإنه لا مانع أن يذبح الإنسان ؛ ولكن
 يذكر اسم الله ﷻ أما أن يذبح الذبيحة وينوي بها غير الله فهذا هو
 الشرك الذي عناه المصنف - رحمه الله تعالى - .

ثم قال : **ودليل النذر قوله - تعالى - : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ
 يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ (٧)** (141)

(140) صححه الألباني السلسلة الصحيحة رقم (3462) .

(141) سورة الإنسان (7) .

النذر: هو أن يوجب العبد على نفسه أمرًا ليس بواجب عليه ؛
كأن يقول لله علي أن أصلي كذا ، لله علي أن أذبح كذا وكذا فهذا
النذر ، والنذر كما جاء عن النبي ﷺ لا يأتي بخير وإنما يستخرج من
البخيل ، فالنذر عبادةٌ كما ذكر أهل العلم عبادةً مكروهة يجب
على العبد أن يفي بها كما قال النبي ﷺ إنه لا يأتي بخير وإنما
يستخرج به من البخيل .

طيب ، النذر عبادة والله ﷻ أثني على هؤلاء بقوله : ﴿يُوفُونَ
بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (٧)

- فما وجه الثناء عليهم ؟

- قيل معناه أنهم أوفوا بما أمرهم الله ﷻ كأنهم نذروا ، وقيل
هذا ثناء على من كان قبلنا ، وقيل هم ألزموا أنفسهم النذر
لله ﷻ تقربًا إلى الله ليس لطلب أمرٍ من الدنيا والنذر الذي
هو مكروه هو أن يعلق النذر على حصول شيء ؛ كأن يقول
لله علي إن شفي والدي أو مثلاً إن نجح ابني أو نحو ذلك
أفعل كذا وكذا .

وأما أن يلزم العبد نفسه العبادة المشروعة فيلتزم بها ويفي بما نذر
فهذا داخل في قوله -ﷺ : (مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ وَمَنْ
نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ) (142)

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : **ودليل النذر- قوله تعالى- :** ﴿يُوفُونَ
بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (٧) ، ﴿يَخَافُونَ

(142) أخرجه البخاري (6696) .

يَوْمًا ؛ أي يوم القيامة يوما عسيرًا بما فيه من الأهوال والعقبات .

(كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) ؛ أي منتشرًا وكان شره عظيمًا إلا من رحم الله .

والنذر لا يكون إلا لله ولا يجوز صرفه لغير الله ؛ فمن نذر لغير الله فقد وقع في الشرك ، بل يعتبره بعض أهل العلم أنه أعظم من شرك الحلف بغير الله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : " النذر للقبور أو لأحد من أهل القبور كالنذر لإبراهيم الخليل أو للشيخ فلان أو فلان أو لبعض أهل البيت أو غيرهم نذر معصية لا يجب الوفاء به باتفاق أئمة الدين ، بل ولا يجوز الوفاء به " ؛ فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ : (مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ) .

فمن نذر لسيده فلان أو للشيخ الفلاني أن يفعل له كَيْت وكَيْت من الأمور لا شك أنه لا يجوز له الوفاء به ، بل من نذر لغير الله فقد أشرك ؛ لأن النذر عبادة لا تكون إلا لله .

وهنا يكون آخر ما ذكره الشيخ - رحمه الله تعالى - من العبادات التي صرح بها لأنه لما ذكرها قال - رحمه الله تعالى - : ومنه الدعاء إلى أن قال : وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها .

فكان النذر هو آخر العبادات الذي ذكره الشيخ - رحمه الله تعالى - دليلاً على أنه من العبادات التي تُصرف لله .

إذا مر معنا هذا الأصل الأول وسندخل إن شاء الله في اللقاء القادم في الأصل الثاني بإذن الله - تعالى - .

أسأل الله ﷻ أن ينفعنا جميعا بما سمعنا وأن يكون حجة لنا لا حجة علينا .

- هذا السائل يقول عندنا الكثير ممن يسمى بالأولياء والصالحين واعتقاد الناس بزيارتهم والاستشفاء بتربة قبورهم ولكن الصحوة بدأت تصل إلى كثير من عامة الناس والحمد لله الأمر الذي - يعني يقول - نود التطرق إليه ، هو وجود كمية هائلة - يعني عدد هائل - من الأشخاص الذين يُعالجون الأمراض بالأعشاب ولكن بعضهم لم يدرس شيئا في هذا هم يزعمون أن هذا يتوارثونه أبا عن جد واللفظ المتداول عندنا هو أنا نحكم في المرض الفلاني وكل باختصاصه وهو يزعم أنه أخذه أبا عن جد لو عالجتك من ذاك المرض فقطعا لن يُعاودك ذاك المرض بعينه والمشكل لكثرتهم لا نُفرق ممن لديه خبرة ممن سواه حتى تجد أنه يقبل عليهم المتدينون .

طيب ، عموما هذا السؤال هو سؤال طويل جدا أنا قرأت بعضه

...

- هذا السائل يقول : - يعني - يوجد في بعض البلاد وهذا موجود في كثير من الأماكن ليس فقط في بعض البلاد للأسف الشديد ، وجود القبور التي يطاف حولها ويذبح لها وينذر لها من قبور الذين يسمون بالأولياء والصالحين ؛ ولكن الحمد لله الناس - يعني - قد فهمت أن هذا شرك وأن هذا لا يجوز وتركوا كثيرا من هذا وإن كان لا يعني هذا الكلام أننا لسنا بحاجة إلى التوحيد ، بل لابد أن ندرس

التوحيد وأن ندرسه وأن ننشره حتى ولو ترك الناس عبادة تلك القبور .

- لمَ إذا ؟

حتى لا يأتي على الناس يوم يغفلون فيه عن التوحيد فيقعون في خلافه ، ثم يذكر عن عمل عندهم أن هناك من يكون يعمل الطب ويدّعي أنه يُعالج هذه الأمراض ، وأنه إذا عالج ذاك المريض أنه لن يمرض مرة أخرى .

وهذا يحتاج إلى تفصيل ، فنقول :

إن كان هذا المعالج لهذا المرض عنده خبرة وعنده دُرْبَة وتلقى هذا العلاج وكيفيته عن - يعني - عن أهله فلا بأس أن يُعالج الناس ، تداووا عباد الله ولا تداووا بحرام ، ولكن لا يجوز له أن يجزّم بأنه يعالج الناس من المرض وأنه لا يرجع إليهم ، فإن الأمور كلها بيد الله ﷻ وأما إن كان يُعالج الناس وهو غير متقن لهذه الصنعة أو هو جاهل لهذه الصنعة وإنما مجرد أن يأخذه أو يدّعي هذه الصنعة لأن أباه وجدّه كانا يعملان فيها فهذا لا يجوز .

فإن النبي ﷺ - يعني - قد بيّن أن من مارس الطب وهو لا يعلمه أنه آثم ، فلا يجوز له أن يتعامل بالطب أو أن يتعامل بالأعشاب وهو يجهل كيفية العلاج بها ، فإنه لو عالج أحدًا فهو آثم لأنه أقدم على أمرٍ بلا علم وبلا - يعني - ، فلو عالج أحدًا وأدى ذلك إلى تلفه أو أدى ذلك إلى زيادة مرضه فإنه آثم ، وأما كونه أعشاب فإن كانت الأعشاب معروفة وكانت الأعشاب - يعني - من النوعيات التي - يعني - ينتفع بها الناس فهذا لا بأس به ، فإن باب الطّب كما

ذكر العلماء مبني على التجربة واستعمال الأمور المباحة ، فإن
ثبت أن بعض الأعشاب ينفع في بعض الأمراض ، فلا مانع من
ذلك ، إن ثبت لدى أهل الخبرة وأهل الاختصاص والله أعلم .
وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الدرس الحادي عشر

من

شرح الأصول الثلاثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ
يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرُّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أما بعد :

فقد توقفنا عند قول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه
الله تعالى - (الأصل الثاني) .

وقبل أن أدخل إلى الأصل الثاني أحببت أن أراجع معكم ، وأن نستذكر ما تقدم من بيان شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - للمسائل و- يعني - الأمور التي يجب أن يعلمها العبد إلى آخره ؛ لأن العلم ليس المقصود منه أن المرء يُكثّر فقط معلوماته ، وإنما المقصود من العلم العمل ، وأن يفقه الواحد منّا دين الله ﷻ .

فشيخ الإسلام محمد - رحمه الله تعالى - بيّن لنا الأربع مسائل التي يجب أن نتعلّمها ؛ **ما هي ؟**

- **العلم ؛** والمراد به : معرفة الله ، ومعرفة نبيه ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة .
- ثم بعد العلم **العمل** ، فيعمل المرء بما علّم .
- ثم بعد ما يعلم ويعمل **يدعو** إلى هذا العلم ، يدعو بنور وبصيرة ، وبحجة وبرهان لا بجهلٍ وتخبط ، لا ب - يعني - على الهوى وعلى ما تلقاه من الناس وإنما بالأدلة .
- ثم بعد العلم والعمل والدعوة لابد أن يلقي من يعارضه ومن يؤذيه فلا بد أن **يصبر** ؛ لأنه يدعو إلى الله لا يدعو إلى نفسه ، فلا بد أن يحتسب الأجر .

فإذا كان نبي الله ﷺ أُوذي في سبيل الدعوة إلى الله : **(إنه لم يأت أحدٌ بمثل ما جئت به إلا عودي) (143)** كما قال له ورقة بن نوفل ، فلا بد من الصبر .

(143) أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْهُ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ، فَكَانَ يَأْتِي جِرَاءً فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ ، اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ ، وَيَتَرَوَّدُ لَذَلِكَ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَتُرَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا ، حَتَّى فَجَتْهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارٍ جِرَاءً ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ ، فَقَالَ : اقْرَأْ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ ، فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : اقْرَأْ ، فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ ، فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : اقْرَأْ ، فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ ، فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق : 1] - حَتَّى بَلَغَ - ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : 5] فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ ، فَقَالَ : زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوَغُ ، فَقَالَ : يَا خَدِيجَةُ ، مَا لِي وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ ، وَقَالَ : قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ لَهُ : كَلَّا ، أَتَيْتُكَ ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ، إِنَّكَ لَتَتَّصِلَ الرَّجَمَ ، وَتَتَصَدَّقَ الْحَدِيثَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخُو أَبِيهَا ، وَكَانَ أَمْرًا تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ ، فَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ : أَيُّ ابْنِ عَمٍّ ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ ، فَقَالَ وَرَقَةُ : ابْنُ أُجَيٍّ مَاذَا تَرَى ؟ فَأَخْبَرَهُ

ثم ذكر الشيخ الدليل على هذا الأمر وهو قوله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ 144

ثم نقل مقولة الشافعي - رحمه الله تعالى - التي بين فيها أن سورة العصر كافية للدلالة على هذه المسائل الأربع : العلم ، والعمل ، والدعوة ، والصبر ، مع أن الآيات والأحاديث الواردة في هذه المسائل الأربعة كثيرة وكثيرة جدًا ، لكن الشافعي - رحمه الله تعالى - يقول : تكفي سورة العصر .

ثم بعد ذلك أيضًا نقل كلام البخاري : " باب العلم قبل القول والعمل " واستدل بقوله تعالى : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لَذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ ﴿١٩﴾ 145

ثم بين - رحمه الله تعالى - المسائل الثلاث التي أيضًا يجب على كل مسلم و مسلمة أن يتعلموها ؛ ما يتعلق بتوحيد الربوبية بأن الله هو الخالق الرازق المدبر المتصرف ، وأنه ﷻ لم يتركنا هملاً ، بل أرسل إلينا رسولاً ، من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار .

ثم ذكر الدليل ، ثم المسألة الثانية في توحيد الألوهية ، وأن الله ﷻ لا يرضى أن يُشرك معه لا ملكٌ مقرب ولا نبيٌ مرسل ، ثم أيضًا

النبي صلى الله عليه وسلم ما رأى ، فقال ورقه : هذا الناموس الذي أنزل على موسى ، يا ليتني فيها جذعا ، أكون حيا حين يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجي هم ؟ فقال ورقه : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا ، ثم لم ينسب ورقه أن توفي ، وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنا ، حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهي الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل ليكي يلقي منه نفسه تبتدى له جبريل ، فقال : يا محمد ، إنك رسول الله حقًا ، فيسكن لذلك جأشه ، وتقرب نفسه ، فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبل تبتدى له جبريل فقال له مثل ذلك .

الراوي : عائشة أم المؤمنين ، المحدث : البخاري ، المصدر : صحيح البخاري ، الجزء أو الصفحة : (6982) ، حكم المحدث : صحيح .

(144) سورة العصر .

(145) سورة محمد (19) .

المسألة الثالثة في مسألة الولاء والبراء وقد مرّ معنا ما يتعلق بشيءٍ من التفاصيل المتعلقة بها .

ثم بعد ذلك - رحمه الله تعالى - بيّن ما الحنيفية السمحة ملة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ، ويّين أنها أن تعبد الله ﷻ مخلصاً له الدين ، وأن الله ﷻ أمر الناس جميعاً ؛ إنسهم وجنهم بهذا الأمر ، وأن الحكمة من الخلق أن نعبد الله ﷻ ، ثم بيّن أعظم ما أمر الله به وأعظم ما نهى الله عنه ؛ فأعظم ما أمر الله به التوحيد ، وأعظم ما نهى عنه الشرك .

ثم بين بعد ذلك ما الأصول الثلاثة ، وهي : معرفة الله ، معرفة العبد ربه ، ومعرفة العبد دينه ، ومعرفة العبد نبيه .

ثم بدأ بالأصل الأول : وهو معرفة العبد ربه ، وقد مرّ معنا فيما سبق ما يتعلق بهذا الأصل وعلمنا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - أن إذا قيل لنا : **من ربك ؟**

- أن نقول : أن الله ربنا ﷻ هو الذي ربانا وربّى جميع العالمين بنعمه ، وهو معبودي ليس لي معبودٌ سواه .

ثم بيّن وعلمنا إن قيل لنا بما عرفت ربك ؟

- أن نقول : بآياته ومخلوقاته الدّالة على أنه ﷻ هو الخالق لها ، وأنه العظيم المستحق للعبادة وأنه المعبود ﷻ ؛ فالذي خلق هذه الآيات والذي خلق تلك المخلوقات العظيمة هو الخالق لها ، وهو المستحق للعبادة ﷻ .

- ثم بيّن أنواع العبادة وأدلة ذلك ؛ الإسلام والإيمان والإحسان ، ثم الدعاء والخوف إلى آخر ما مرّ معنا الذبح

والنذر لله ﷻ ، وغير ذلك من العبادات ، وكلها يستحقها
ﷻ .

واليوم بإذن الله ﷻ ندخل ونتدارس فيما بيننا - بارك الله فيكم - ،
ونفعلني وإياكم بالعلم النافع والعمل الصالح .

الأصل الثاني : وهو معرفة دين الإسلام بالأدلة.

قال - رحمه الله تعالى - : " الأصل الثاني معرفة دين الإسلام
بالأدلة .

وهو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ،
والخلوص من الشرك ، وهو ثلاث مراتب : الإسلام والإيمان
والإحسان ، وكل مرتبة لها رُكَّان " .

ثم شرع ببيان أركان كل مرتبة .

فإذاً **الأصل الثاني** بعد معرفة الأصل الأول ، بعد أن تعرف أن الله
هو ربك المستحق للعبادة ، لابد أن تعرف بما تعبد الله ﷻ أعبد
بالدين الذي أرسل به رسولنا محمداً ﷺ فلا نعبد الله بأهوائنا ، ولا
نعبد الله بما كان عليه آبائنا ، بل نعبد الله ﷻ بهذا الدين الإسلامي
، فلا بد من معرفة هذا الدين ، ومن لطيف تعليمه - رحمه الله
تعالى - أنه قال : " **معرفة الدين بالأدلة** " فلا يقول الواحد منّا
كان أبي يفعل كذا وكان جدي يفعل كذا ، وإنما لابد أن تعرف
الدليل ؛ الدليل من الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة .

فهذا الأصل الثاني أصلٌ عظيم وأصلٌ مهم ، ينفي التعصب
والتقليد ، وينفي الجهل والهوى ، وإنما هو الاتباع لما جاء به النبي
ﷺ ، فيجب معرفة هذا الدين بأدلتها كما سبق من الكتاب والسنة .

وإلا فإن ذاك الذي يُسأل في قبره : **من ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيك ؟**

يقول : ها ها لا أدري ، سمعت الناس يقولون !
فما ينفعه ذلك ، فلا بد من هذه المعرفة ، ولا بد من هذا العلم ،
ولا بد من هذه الدراسة .

ما الإسلام ؟

قال - رحمه الله تعالى - : **هو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والخلوص من الشرك .**
هذا هو الإسلام ، والمسلم سُمِّي مسلماً لأنه مستسلم لا يعارض ،
لا يجادل ، يعمل بأوامر الله ﷻ ويستسلم لها موقناً مصدقاً بأنها
حق من الله ﷻ فالاستسلام فيه ذلٌ وخضوعٌ لله ﷻ ، وفيه أيضاً
عدم معارضة لأوامر الله ﷻ .

" هو الاستسلام لله بالتوحيد " يعني أن المسلم يستسلم لله ﷻ
فيُفرده في ربوبيته ، ويفرده في ألوهيته ، فهذا هو الإسلام كما قال
شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - **" الإسلام : هو**
الاستسلام وهو يتضمن الخضوع لله وحده والانقياد له والعبودية
لله وحده " .

فالإسلام هو معنى لا إله إلا الله ؛ لأنك لله تستسلم وتسلم ولا
تستسلم لغيره .

قال : **" والانقياد له بالطاعة "** والانقياد بمعنى أن تسمع وأن
تستجيب وأن تطيع وأن لا تعارض ، الانقياد له أي لله ﷻ بالطاعة
، بفعل المأمورات وترك المنهيات فالله ﷻ هو الذي يُطاع ،
ورسله مبلِّغون عنه ﷺ .

ولذلك الرسول ﷺ **ماذا يقول ؟**

(من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله) (146)
يعني أن طاعتي هي طاعة لله لأني جئت بما أمرني الله به أن أبلغكم إياه ، وأن معصيتي هي معصية لله ؛ لأن ما أمرت به ولم تُسلّموا له هو عدم تسليمكم لأمر الله ﷻ .

قال الله ﷻ في آيات كثيرة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ (٢٠) (147)

و النبي ﷺ يقول : (مَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ) (148) أو كما قال عليه - الصلاة والسلام - ، فالمسلم ينقاد لله ﷻ ويذعن له بالطاعة إذا قيل له هذا حرام ، هذا شرك ، هذا لا يجوز ، هذا لا يجوز التوسل به لأنه من أنواع التوسل المبتدعة غير المشروعة هَذَا مَثَلًا كُفِّرَ .

يستسلم ويذعن ويتقي الله ﷻ ربّه ويتعد عن ذلك .

ثم قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : " **و الخلوص من الشرك** "

يعني بالخلوص - رحمه الله تعالى - أي التخلّص والبراءة والبعد عن الشرك ؛ لأنّ الشرك ظلّم عظيم والشرك والكفر لا يرضاهم الله ﷻ فكذا العبد المسلم لا يرضى ولا يقبل أمرًا لا يرضاه الله ﷻ لا بدّ

(146) من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني ومن عصى الأمير فقد عصاني ، إنما الإمام جُنَّةٌ فإذا صلى قاعدًا فصلّوا قعودًا ، وإذا قال : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : اللهم ربنا ولك الحمد ، فإذا وافق قول أهل الأرض قول أهل السماء غفر له ما مضى من ذنبه .
الراوي : أبو هريرة ، المحدث : الألباني ، المصدر : أصل صفة الصلاة ، الجزء أو الصفحة : (1 / 87) ، حكم المحدث : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(147) سورة الأنفال (20) .

(148) إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإن نهيتكم عن شيء فاجتنبوه .
الراوي : أبو هريرة ، المحدث : الشوكاني ، المصدر : إرشاد الفحول ، الجزء أو الصفحة : (1 / 384) ، حكم المحدث : صحيح .

في الإسلام من الاستسلام لله ﷻ بالتوحيد هذا أمر ، ولا بدّ أيضًا في الاستسلام الانقياد له بالطاعة هذا أمر ، ولا بدّ أيضًا في الإسلام البراءة من الشرك والخلوص من الشرك وأهله .

فإذا لا بدّ من هذه الأمور حتّى تكون مسلمًا محققًا لمعنى الإسلام أن تستسلم لله ﷻ بالتوحيد ، وأن تنقاد له بالطاعة وأن تتبرأ وتخلص من الشرك وأهله .

هذا الإسلام الذي جاء به النبي ﷺ من عند الله والذي لا يرضى الله ﷻ غيره دينا ، فالأديان التي كانت قبل النبي ﷺ منسوخة : اليهودية والنصرانية قال الله ﷻ : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٨٥) 149 وبيّن ﷻ أنّ تلك الأديان السابقة ليست مقبولة في قوله ﷻ : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ (١) 150 فوصف أهل الكتاب بأنهم كفار ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ فأهل الكتاب أي اليهود والنصارى هم كفار .

فالإسلام هو الدين الحقّ وما سواه من الأديان السماوية فهي منسوخة ببعثة النبي ﷺ وبهذا الدين فمن يظنّ أنّه على دين الحقّ أو أنّه يجوز أن يكون هناك دين آخر غير الإسلام فهو مخطئ ، فلا بدّ من معرفة هذا الأمر .

وهذا الدين الإسلامي ثلاث مراتب .

هذا الدين الإسلام في الجملة الذي جاء به النبي ﷻ هو ثلاث مراتب .

(149) سورة آل عمران (85) .

(150) سورة البينة (1) .

مَا هِيَ ؟

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : " **الإسلام والإيمان والإحسان** "

وهذه المراتب كالتالي المرتبة الواسعة ؛ مرتبة الإسلام فأهلها كثيرون ، ثم المرتبة التالية وهي الإيمان ؛ أهلها أقل من أهل الإسلام ، ثم المرتبة الثالثة وهي الإحسان ؛ أهلها أقل من أهل الإيمان فكل محسن مؤمن مسلم ، وكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن .

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ (١٤) ﴿١٥١﴾ قالوا آمنا ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ فقال الله لهم : ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (١٤) فهذا هو الإسلام وهذا هو الدين على هذه المراتب الثلاثة المبنية على أعمال العباد ، وعلى طاعتهم لله ﷻ وعلى استحضارهم لمراقبة الله ﷻ .

ثم قال - رحمه الله تعالى - : " **وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا رُكَّانٌ** " ، يعني الإسلام له أركان ، والإيمان له أركان ، والإحسان له أركان .

قال : **فَلَرُكَّانُ الْإِسْلَامِ خَمْسَةٌ ، شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ ، وَحُجُّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ** " هذه هي أركان الإسلام ؛ الشهادتان مع الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج " .

الركن الأول : الشهادة ؛ شهادة أن لا إله إلا الله ، أي لا معبود بحق إلا الله ﷻ فكل ما سواه من الآلهة باطلة ، وكل من يدعى من دونه باطل ، وكل من عبد غير الله ﷻ فهو كافر .

(١٥١) سورة الحجرات (١٤) .

- فهذا معنى الشهادة شهادة أن لا إله إلا الله " لا إله " نفي لجميع الآلهة ، " إلا الله " إثبات الألوهية الحق لله ﷻ .

أول هذه الأركان الشهادتان ؛ والشهادتان هما الأصل الذي تُبنى عليه الأعمال ولذلك النبي ﷺ لما بعث معاذًا ﷺ إلى اليمن قال : (**إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا هُمْ أَهْلُ كِتَابٍ - يعني كفار- فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ**) (152) فإذا لابد من الشهادتين أولاً ، فهذا معنى لا إله إلا الله .

- ومعنى أن محمدًا رسول الله ؛ أن نؤمن وأن نوقن أن نبينا محمدًا ﷺ هو رسولٌ مرسل من الله ﷻ يطاع فيما أمر ، ويجتنب ما نهى عنه وزجر ، ويصدق فيما أخبر - عليه الصلاة والسلام - ، وأن محمدًا رسول الله ، وطاعته - عليه الصلاة والسلام - مقدمة على طاعة من سواه .

إذ هو الرسول المرسل من الله ﷻ فلا ينبغي أن نقدم الآراء ولا ينبغي أن نتعصب للشيوخ ، ولا ينبغي أن نظن أن الأولياء عندهم من العلم أو عندهم من الخير ما ليس عند النبي ﷺ ، إن هذا باطلٌ من القول إذا قلنا نشهد أن محمدًا رسول الله فيجب علينا أن نطيعه - عليه الصلاة والسلام - .

(152) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ : إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَأَدْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً ، تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيُنِيائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ .
الراوي : عبدالله بن عباس ، المحدث : البخاري ، المصدر : صحيح البخاري ، الجزء أو الصفحة : (437) ، حكم المحدث : صحيح .

والشهادتان هما الأصلان الذين ينبني عليهما دين الإسلام كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - .

ثم قال - رحمه الله تعالى - : " **وَإِقَامُ الصَّلَاةِ** " .

الركن الثاني : من أركان الإسلام إقام الصلاة يعني أدائها في أوقاتها بشروطها وأركانها وواجباتها ، وعدم الإخلال فيها ، وفي الحديث عن النبي ﷺ : **(الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ)** (153) ، وفي الحديث : **(بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ)** (154) أو كما قال - عليه الصلاة والسلام - فالصلاة شأنها عظيم ، وأمرها خطير والأحاديث والآيات الواردة في ذلك كثيرة وعظيمة ، فمن تركها وأخل بها فهو متوعد بالعقاب ، وأول ما يحاسب به المرء من عمله الصلاة ، فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت نُظِرَ هل له من تطوع .

وإقام الصلاة أيضًا نورٌ للعبد وهدايةٌ له ، وصلةٌ بينه وبين الله ﷻ وسببٌ لانسراح الصدر وتيسير الأمور ، والصلاة والاهتمام بها طريقٌ إلى توفيق العبد للأعمال الصالحة في دينه ودنياه .

فلذلك من أركان الإسلام " **الصلاة ، وإيتاء الزكاة** " .

(153) الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ . الراوي : بريدة بن الحصيب الأسلمي ، المحدث : الترمذي ، المصدر : سنن الترمذي ، الجزء أو الصفحة : (2621) ، حكم المحدث : حسن صحيح غريب .

(154) بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ . الراوي : جابر بن عبد الله ، المحدث : مسلم ، المصدر : صحيح مسلم ، الجزء أو الصفحة : (82) ، حكم المحدث : صحيح .

وهذا الركن الثالث : والزكاة لها شروط فمن توفرت فيه الشروط بأن يبلغ المال النصاب ، وأن يتحقق الملك التام وأن يأتي عليه الوقت المحدد لها شرعاً إلى آخره ، فمن وجبت في ماله الزكاة وجب عليه أن يؤديها ، وأن يحافظ عليها فهي حق الفقراء في هذا المال وهي مواساة لهم ، وتنتظم بإيتاء الزكاة حياة الناس ، وإن مما ينبغي أن يتنبه له الناس هذه الأيام أن يدفع الزكاة لمستحقيها ، وأن يحذر من الذين يُجمعون الزكاة عن غير طريق ولالة الأمر ، فقد يُجمّعها بعض الناس ويصرفونها في غير مصرفها ، وقد يجمعها بعض الناس ويصرفونها في الإرهاب ، وفي مذهب الخوارج ، وفي قتل الأبرياء وتدمير الممتلكات ، وقد يجمعها بعض الناس بغير حق شرعي فيصرفها في غير الوجه الشرعي ، فالواحد منا عنده مال فليعطه للفقراء والمساكين ومن يعرف ممن حوله خاصةً أقربائه ،

لماذا يعطي البعيد وهناك القريب ؟

فصلة القريب والصدقة عن القريب صدقةٌ وصلة للقريب ، خير هذا من الله ﷻ .

فإذا ينبغي أن نتنبه لهذا الأمر وأن نحذر من الذين يجمعون الأموال ، والذين يبنون دعوتهم على جمع الأموال ، مرةً بحجة الصدقات والزكوات ، ومرةً بحجة فعل الخيرات فكم رأينا ممن جمع الأموال وفُتن بها ، وكم رأينا ممن جمع الأموال ولم يصرفها في مصرفها فلاشك أن الأولى بك يا عبد الله إن كان عندك مالٌ أن تتصدق به بنفسك ، فإن لم تستطع فانظر إلى ولالة الأمر وإلى مصارفهم فادفعها إليهم ، وهم يقومون بتوزيعها على الفقراء والمساكين .

والركن الرابع : " صوم رمضان " بشرطه وآدابه والصفة التي جاءت عن النبي ﷺ .

ثم الركن الخامس : " حج البيت الحرام " بشرط الاستطاعة .
فالحج واجب مرة واحدة في العمر ، يحجون بيت الله ﷺ الحرام .
فهذه هي أركان الإسلام الخمسة ونلاحظ أنها أي ؛ أركان الإسلام
كلها أعمال ظاهرة .

الدرس الثاني عشر

من

شرح الأصول الثلاثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ
يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرُّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أما بعد :

ثم قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : " فدليل الشهادة قوله تعالى
: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا
بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٨) ﴿ ١٥٥ ﴾ بعناها :
لا معبود بحق إلا الله .

(١٥٥) سورة آل عمران (١٨) .

(لا إله) نافيةً لجميع ما يعبد من دون الله .

(إلا الله) مثبتةً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته ، كما أنه لا شريك له في ملكه .

وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ (١٥٦) قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٦٤) (١٥٧)

وشهادة أن محمدًا رسول الله قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٨) (١٥٨) ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله : طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع .

هذا من الشيخ - رحمه الله تعالى - ذكرٌ لأدلة الشهادتين ؛ فدلِيلُ الشهادة قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٨) (١٥٩)

(١٥٦) سورة الزخرف (٢٨) .

(١٥٧) سورة آل عمران (٦٤) .

(١٥٨) سورة التوبة (١٢٨) .

(١٥٩) سورة آل عمران (١٨) .

فَاللَّهُ ﷻ شَهِدَ أَكْثَمَ شَهَادَةٍ فِي الْوُجُودِ ، أَنَّهُ لَا إِلَهَ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ ، وَلَا إِلَهَ بِحَقِّ إِلَّا هُوَ ﷻ ، وَأَيْضًا شَهِدَ بِذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَيْضًا شَهِدَ بِذَلِكَ أُولَوِ الْعِلْمِ ؛ أَيُّ أَصْحَابِ الْعِلْمِ ، وَالْمُرَادُ بِهِمُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ سَلْفُ الْأُمَّةِ .

إِذَا الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالطَّوَافِ حَوْلَ الْقُبُورِ أَوْ بِالذَّبْحِ لِلْقُبُورِ أَوْ الذَّبْحِ لِلْأَوْلِيَاءِ وَ- يَعْنِي - يُوْجِهُونَهُمْ إِلَى الشَّرَكِيَّاتِ ؛ فَهَؤُلَاءِ فِي حَقِيقَةِ أَمْرِهِمْ لَيْسُوا بِعُلَمَاءَ حَقِّ ؛ إِنَّهُمْ عُلَمَاءُ سُوءٍ ، وَلَيْسُوا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ؛ وَإِنَّمَا هُمْ أَوْلِيَاءُ الشَّيْطَانِ ، إِذْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ يَأْمُرُونَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فَهُوَ ﷻ شَهِدَ بِذَلِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .

إِذَا قَالَ الشَّيْخُ " وَمَعْنَاهَا : لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ " ، لَا بُدَّ مِنْ هَذَا الْفَهْمِ التَّامِّ لِمَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؛ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ يَقُولُ مَعْنَى الشَّهَادَتَيْنِ لَا إِلَهَ مَوْجُودَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَنْفِي مَا سِوَى اللَّهِ مِنَ الْآلِهَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ قَالَ : ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾ (٦٢) 160 فَمَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ بَاطِلٌ ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَا إِلَهَ مَوْجُودَ فَقَطْ !

مَعْنَى لَا إِلَهَ مَوْجُودَ : أَنْ غَيْرَهُ مِنَ الْآلِهَةِ غَيْرُ بَاطِلَةٍ ، وَلَكِنْ حِينَئِذٍ نَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؛ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ يَعْنِي ؛ أَنَّ الْمَعْبُودَاتِ سِوَى اللَّهِ ﷻ بَاطِلَةٌ ، وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾ (٦٢) 161 ، لَا بُدَّ أَنْ نَفْهَمَ هَذَا الْفَهْمَ الصَّحِيحَ لِمَعْنَى : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

(160) سورة الحج (62) .

(161) سورة الحج (62) .

وليس أيضًا معناه فقط لا إله رازق أو لا إله خالق فقط ،
ويثبتون توحيد الربوبية دون توحيد الألوهية ، فإن " لا إله " :
يعني مألوه ومعبود بحقٍ إلا الله ﷻ فلا بد من هذا الأمر ، وإلا فإن
كفار مكة كانوا يقرّون بتوحيد الربوبية كما قال الله ﷻ : ﴿ وَلَئِنْ
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ (٣٨) 162

فإذا هم كانوا يقولون أن الله هو الخالق ، ويقولون بأن الله ﷻ
موجود ؛ ولكن ما نفعهم هذا الإقرار ، لذلك كما مر معنا بالأمس
القريب ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَلَكُّوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ
مَّجْنُونٍ ﴾ (٣٦) 163

فلا بدّ من هذا الأمر - بارك الله فيكم - .

قال الشيخ مبيّنًا (لا إله) : نافيًا جميع ما يعبد من دون الله ؛
فكل إله دون الله ﷻ باطل وهذا معنى نافي أي ؛ باطل وليس له
الحق في أن يعبد من دون الله ﷻ .
(إلا الله) : فيها إثبات العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته
، كما أنه لا شريك له في ملكه ، فالله ﷻ نحن نقر بأنه ﷻ هو
المالك وهو الخالق وهو الرازق ؛ فالمالك الخالق الرازق المدبر
المتصرف في هذا الكون ﷻ هو المستحق للعبادة دون ما سواه .

وكلمة التوحيد لا إله إلا الله لها شروطٌ سبعة عند العلماء :
منها ؛ العلم بمعناها نفياً وإثباتاً .

(162) سورة الزمر (38) .
(163) سورة الصافات (35-36) .

ومنها ؛ اليقين بما دلت عليه فاليقين ضده الشك ، فلا بد أن نوقن أن الله ﷻ هو الإله المستحق للعبادة ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ (١٥) ﴿ 164﴾
ومنها أيضًا من شروط لا إله إلا الله ؛ القبول لمدلول هذه الكلمة .
ومنها أيضًا ؛ الانقياد لمعناها .
ومنها أيضًا ؛ الإخلاص في الإيمان وعدم الشرك .
ومنها أيضًا ؛ الصدق في اعتقادها باطنًا منافي للكذب بما اعتقده فيها .

فالمنافقون كانوا يقولون كلمة لا إله إلا الله ، ولكن كانوا يقولونها بلسانهم مع كفرهم بها في باطنهم ، قال ﷺ : (مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَدَقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ) (165)
ومن شروطها أيضًا : المحبة لهذه الكلمة .

إذاً هذه هي شروط لا إله إلا الله : (العلم ، واليقين ، والقبول ، والانقياد ، والإخلاص والصدق ، والمحبة وبعضهم يزيد الكفر بما سوى الله ﷻ من المعبودات) .

أعيد مرة أخرى شروط لا إله إلا الله : فمن شروطها العلم ومن شروطها اليقين ، ومن شروطها القبول ، ومن شروطها الانقياد ، ومن شروطها الإخلاص ، ومن شروطها الصدق ، ومن شروطها المحبة ، ومن شروطها ثامناً كما زاده بعضهم الكفر بما سوى الله من المعبودات .

(164) سورة الحجرات (15) .

(165) حديث أنس : أن النبي ﷺ ومعاًذ رديفه على الرجل قال : يا معاذ ، قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال : يا معاذ ، قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال : ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار ، قال : يا رسول الله ، أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا ؟ قال : إذا يتكلموا .

أخرجه البخاري ، كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا (1 / 37) ، رقم : (128) ، ومسلم (61 / 1) ، رقم : (32) .

ثم قال الشيخ - رحمه الله تعالى - :
 وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى : ﴿ وَاذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ
 وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ (٢٦) ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ
 سَيَهْدِينِ ﴾ (٢٧) ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ
 يَرْجِعُونَ ﴾ (٢٨) ﴿

يعني إن سئلت : ما الدليل على هذا التفسير ؟

فاذكر له هذه الآية ، فإبراهيم إمام الحنفاء يخاطب أباه وقومه
 الذين عبدوا آلهة من دون الله ﷻ يخاطبهم متبرئاً من هذه الآلهة
 ، وأنه كافر بها ، وأنه مبغض لها ﴿ وَاذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ
 إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ أي من الآلهة التي تعبدونها من دون الله
 ﷻ ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ إلا الله ﷻ فإني أعبدوه وهو سيهديني أي
 أنه ﷻ سيهديني للحق .

ولذلك قال الله ﷻ ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ
 وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ ﴾ (٤) ﴿ 166 ﴾ وجعل هذه الكلمة ؛ وهي كلمة التوحيد
 المتضمنة لعبادة الله ﷻ والكفر بما سواه ﴿ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ
 ﴾ (٢٨) ﴿ 167 ﴾ أي في أولاده ونسله ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي
 لعلهم لهذه الكلمة وهي كلمة التوحيد أن يرجعوا إليها .

إذاً شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يستدل بهذه الآية على
 تفسير كلمة التوحيد من جهتين :
الجهة الأولى : (لا إله) في براءة إبراهيم عليه - الصلاة والسلام -
 مما عبد من دون الله .

(166) سورة الممتحنة (4) .

(167) سورة الزخرف (28) .

والجهة الثانية : (إله الله) في قول إبراهيم عليه - الصلاة والسلام - ﴿ **إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ** ﴾ (٢٧) ﴿ **168** ﴾ لأن بعض الناس ، بل بعض علماء بعض المذاهب يفسر (لا إله إلا الله) بلا إله موجود أو رازق ، ومع كونه ممن حُمِّل العلم إلا أنه تجده قد يطوف حول القبور ، ويُنذر للأولياء ويذبح لهم ، فما نفعه علمه ؛ لأنه لم يعلم العلم الحقيقي .

قال وقوله : ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ (٦٤) ﴿ **169** ﴾

هذه الآية أيضًا فيها تفسير (لا إله إلا الله) فالرسول ﷺ ينادي أهل الكتاب يهودًا ونصارى ﴿ **تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ** ﴾ أي لنجتمع على كلمة حق لا نختلف فيها .

ما هي هذه الكلمة ؟

﴿ **أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ** ﴾ لا إله إلا الله ﴿ **وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا** ﴾ فنوحده الله ﷻ ونفرد به بالعبادة ، ولا نشرك به شيئًا لا نبيًا مرسلًا ولا وليًا صالحًا ولا ملكًا مقربًا ولا شجرة ولا حجرة ولا غيرها من الأصنام والأضرحة التي تعبد من دون الله ﷻ .

﴿ **وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ أي لا يُطيع بعضنا بعضًا في معصية الله ، فيحل ما حرم الله ويحرم ما أحل الله ، كما كان من شأن اليهود والنصارى ، ثم قال : ﴿ **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ أي بأننا على حق على كلمة التوحيد وإن كفروا بها وإن عارضوها وإن خالفوها ؛ لأن المسلم بعد أن يبين

(168) سورة الزخرف (27) .

(169) سورة آل عمران (64) .

الحق لا يلتفت لضلال من ضل ولا يقتدي به ، بل يعرف الحق ويلتزم به .

فإذا هذه الآية فيها تفسير معنى (لا إله إلا الله) فلو كانت تلك المعبودات وتلك الآلهة من دون الله على حق لما قال الله ﷻ في هذه الآية ﴿ **أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا** ﴾ .
لَمَّا أمر رسوله ﷺ أن يقول هذا ولما قال إبراهيم ما قال ، ولكن هذا من إبراهيم عليه - الصلاة و السلام - ، وهذا من نبينا محمد ﷺ تفسيراً لكلمة التوحيد ألا يعبد إلا الله وألا يشرك به شيئاً .

ثم قال - رحمه الله تعالى - : ودليل شهادة أن محمداً رسول الله - قوله تعالى - ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (١٢٨) ﴿ **170** ﴾
الشيخ - رحمه الله تعالى - يُورد الأدلة ليكون المؤمن قوله مبني على الحجة ، ويكون موقن بالأدلة مهما جاءه من جاءه يشككه في هذا الحق فلا يرتاب ولا يزل بل يثبت بإذن الله ﷻ على الحق .

فدليل شهادة أن محمداً رسول الله هذه الآية ، فالله أخبرنا أنه جاءنا هذا الرسول الذي هو من أنفسنا يعني ؛ ممن نعرفه ومن جنسنا وممن لا يخفى علينا أمره فليس هو بجني ولا بملك وإنما هو بشر عليه - الصلاة و السلام - ، ثم ذكر من صفاته عليه - الصلاة و السلام - أي أنه يحزن ويشق عليه أي أمر يشق على الأمة ، ويخاف عليهم ويريد أن يخفف الله عنهم ، حريصٌ علينا بأن يهدينا إلى الجنة وأن ينقذنا من النار .

﴿ **بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ أي أنه - عليه الصلاة و السلام - فيه من الرأفة والرحمة والعطف على المؤمنين الشيء الكثير .

(170) سورة التوبة (128) .

فهذا دليلٌ على رسالته ﷺ قال : ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله طاعته فيما أمر كما مر معنا ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (٦٤) 171

كما قال الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - " إن الأمر بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ في أكثر من ثلاثين موضع في كتاب الله ﷻ ، فالرسول ﷺ يطاع ويتبع - عليه الصلاة والسلام - ، والواجب على المسلم أن يتعلم هديه وأن يتعلم أمره - عليه الصلاة والسلام - وأن يأتسي به وأن يقتدي به - عليه الصلاة والسلام - فيطاع فيما أمر ويصدق فيما أخبر " .

لماذا ؟

لأنه وحىٌ من الله ﷻ ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ (٣) إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ 172 وقال ﷺ لعبد الله بن عمر بن العاص : (أَكْتُبُ فَوْالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا نَطَقَ هَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - إِلَّا حَقًّا) 173 أي أنه - عليه الصلاة والسلام - يقول الحق ويهدي إليه بإذن ربه ؛ فلا بد من تصديقه - عليه الصلاة والسلام - فيما أخبر وعدم الشك أو الارتياب أو الوسوسة في أخباره - عليه الصلاة والسلام - ، واجتناب ما نهى عنه وزجر يعني ؛ حرم علينا ﷺ مبلغًا عن ربه حرم علينا بعض الأمور ؛ فهذه الأمور التي حرمها - عليه الصلاة والسلام - هي مما تضرنا ولا تنفعنا ولا خير فيها إما ضرر محض ؛ كالكفر ، وإما ضرر غالب ؛ كالخمر وغيره .

(171) سورة النساء (64) .

(172) سورة النجم (4-3) .

(173) عن عبد الله بن عمرو قال : كنت أكتبُ كلَّ شيءٍ أسمعُهُ من رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم أريدُ جُفْظُهُ ، فَتَهْتَنِي فَرِيشٌ ، وقالوا : أَنْتَ كُلَّ شيءٍ تَسْمَعُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ صلى الله عليه وسلم يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرَّضَا ؟ فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ صلى الله عليه وسلم ، فَأَوْمَأَ بِأَصْبَعِهِ إِلَى فِيهِ ، فَقَالَ : أَكْتُبْ ؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ .

الراوي : عبدالله بن عمرو ، المحدث : الألباني ، المصدر : صحيح أبي داود ، الصفحة أو الرقم : (3646) ، خلاصة حكم المحدث : صحيح .

ولذلك الشيطان حريصٌ على إضلال بني الإنسان وحريصٌ على إيقاعه في المحرمات والإنسان بغفلته قد يقع في المحرمات ، فالواحد منا عليه أن يعلم أن هذه المحرمات فيها من الضرر وفيها من الأمر الذي يسوء ، والأمر الذي لا خير فيه فيجتنب ما نهى عنه ﷺ وزجر وقد مر معنا قوله ﷺ (**إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ**) (174)

قال : " **وَأَنْ لَا يَعْبُدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ** " يعني ؛ إذا أردت أن تتقرب إلى الله ﷻ ، إذا أردت أن تعبد الله ﷻ ، إذا أردت أن تكون من أولياء الله الصالحين ؛ فلا طريق لك لذلك كله إلا بسنة النبي ﷺ إلا بما شرع ﷺ وبلغ عن رب العالمين ﷺ .

ثم قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : " **ودليل الصلاة ، والزكاة ، وتفسير التوحيد قوله : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ (٥)** " 175 فهذه الآية ذكرت التوحيد في قوله ﷻ : ﴿ **إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ فقلوه : ﴿ **لِيَعْبُدُوا اللَّهَ** ﴾ فيه إثبات عبادة الله ﷻ وقوله : ﴿ **مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ فيه نفي كل معبود سواه ﷻ .
﴿ **حُنَفَاءَ** ﴾ أي على التوحيد وقد مر معنا أن الحنيفية ملة أبينا إبراهيم ؛ هي أن نعبد الله وحده مخلصين له الدين .

ثم قال تعالى : ﴿ **وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾ يعني أن الله ﷻ أمرنا بالصلاة والزكاة وذلك الدين القيم القويمه أحكامه والمستقيمة .

(174) إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإن نهيتكم عن شيء فاجتنبوه .
الراوي : أبو هريرة ، المحدث : الشوكاني ، المصدر : إرشاد الفحول ، الجزء أو الصفحة : (1 / 384) ، حكم المحدث : صحيح

(175) سورة البينة (5) .

ثم قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : " ودليل الصيام قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٨٣) ١٧٦ .
ففي هذه الآية أن الله ﷻ فرض علينا الصيام ﴿ كُتِبَ ﴾ بمعنى فرض وأوجب ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ أي على أمة محمد ﷺ .

ثم قال : " ودليل الحج قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٩٧) ١٧٦ .

فهذا أيضًا دليل الحج وأنه واجب على الاستطاعة ، فمن لم يستطع الحج فلا يجب عليه ، ومن كان مستطيعًا فإنه يجب عليه مرة واحدة في العمر ، فهذا دليل الحج وبهذا نكون قد انتهينا من أركان الإسلام .

فانتقل الشيخ - رحمه الله تعالى - إلى أركان الإيمان ، قال - رحمه الله تعالى - :

المرتبة الثانية : الإيمان .

" بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان " .

الإيمان : التصديق لغةً ؛ وهو قولٌ باللسان ، واعتقادٌ بالجنان ، وعملٌ بالجوارح والأركان .

والإيمان شعب ؛ بضعٌ وسبعون شعبةً ، وفي رواية بضعٌ وستون

(١٧٦) سورة البقرة (١٨٤) .

(١٧٧) سورة آل عمران (٩٧) .

شُعبَةً ؛ أي : مرتبة . فأعلى هذه الشُعب قول : لا إله إلا الله ، وأدناها : إمطة الأذى عن الطريق ، ففي هذا أن العمل من الإيمان ، وأن قول لا إله إلا الله هو أعلى مراتب الإيمان .

فإذا المرتبة الثانية :

الإيمان : بضعٌ وسبعون شُعبةً ؛ خصلة ومرتبة " فأعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ، والحياء شُعبةٌ من الإيمان " كما أخبر النبي ﷺ فيما يتعلق بهذا الأمر . قوله ﷺ الإيمان بضعٌ وسبعون شُعبةً ، البضعُ قالوا : من الثلاثة إلى التسعة .

وقوله : - عليه الصلاة والسلام - والحياء شُعبةٌ من الإيمان ؛ يعني أو الحياء من الإيمان يعني : شُعبةٌ منه .

فهذه المرتبة الثانية الإيمان أهلها أقل من أهل الإسلام ، وهي مرتبة أعلى درجة من الإسلام ، ولذلك ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - بعد أن ذكر الإسلام .

ثم قال : " وإن كانه ست : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورُسُله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . والدليل على هذه الأركان الست قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ (178) ودليل القدر قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (179)

فهذه أركان الإيمان الست ؛ أن تؤمن بالله أن تؤمن بالله رباً ، خالقاً مدبراً لهذه الأمور ولهذا الكون فهو ﷻ متفردٌ بأفعاله له

(178) سورة البقرة (176) .

(179) سورة القمر (49) .

الخلق وله الأمر ، وهو الرازق المدبر المحي المميت القادر على كل شيء .

وأيضًا من الإيمان بالله ﷻ الإيمان بأنه هو المستحق لجميع أنواع العبادة ، فلا تُصرف العبادة إلا لله ﷻ ، وأيضًا من الإيمان بالله و توحيده ، أن تؤمن بأسمائه وصفاته ﷻ وأن له أسماء وصفات تليق بجلاله ﷻ ، وأن تؤمن بالملائكة إجمالًا وتفصيلًا .

ونقف عند هذا الحد من هذا المتن ونُكمل إن شاء الله تعالى في اللقاء الآخر.

وإني أرف بشرى لإخواننا في هذا المعهد " معهد الميراث النبوي " بقيام شيخنا " خالد عبد الرحمن المصري " - حفظه الله تعالى - بمحاضرة بعنوان (الحسين ﷺ) وستقام المحاضرة الآن الساعة الثانية عشر فأنا أوصي إخواننا وأخواتنا بالحضور والاستماع والاستفادة .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الدرس الثالث عشر

من

شرح الأصول الثلاثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ
يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرُّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلَّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أما بعد :

فنواصل بإذن الله تعالى مذاكرة الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - .

وَأَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ لِي وَلَكُمْ الْإِعَانَةَ وَالتَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ وَأَنْ
يَرْزُقَنَا الْإِخْلَاصَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَأَنْ يَجْنِبَنَا الْفِتْنَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطَنَ وَأَنْ يَجْعَلَ مِنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ يَرِيدُونَ الْحَقَّ
وَيَعْمَلُونَ بِهِ وَيَسْعَوْنَ إِلَيْهِ وَأَنْ يَجْنِبَنَا طَرِيقَ الْهَالِكِينَ ؛ أَهْلَ الْفِتَنِ
وَأَهْلَ الْمَحَنِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ عِبَادَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَوَاللَّهِ مَا ضَرُّوا إِلَّا
أَنْفُسَهُمْ وَوَاللَّهِ إِنْ الْمُسْلِمَ لِيَحْزَنَ عَلَى حَالِهِمْ فَهُمْ كَالَّذِي يَهْلِكُ
نَفْسَهُ بِيَدِهِ نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ .

فَلَا شَكَّ أَنْ تَوْفِيقَ اللَّهِ ﷻ لِلْعَبْدِ حِينَ يَطْلُبُ الْحَقَّ وَيَسْعَى إِلَيْهِ
وَيَعْمَلُ بِهِ وَلَا يَتَعْصَبُ لِلرِّجَالِ ؛ لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا أَمْرٌ عَظِيمٌ وَفَضْلٌ

من الله كبير على المسلم أن يحمد ربه أن جنبه هذه التعصبات وتلك الأفعال السيئة وأن وفقه لطلب العلم الشرعي.
وكنا قد توقفنا عند أركان الإيمان الستة .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - :
" **وَأَركانه ست** " أي أركان الإيمان ستة كما جاء في حديث جبريل وكما في الأدلة التي سيذكرها الشيخ - رحمه الله تعالى - فإذا قلت إنك مؤمن وإذا قلتي يا أمة الله إنك مؤمنة فلا بد أن تعلمي بماذا أنت مؤمنة أنت مؤمنة وأنت يا عبد الله مؤمن بالله ﷻ كما سبق معنا : بالله ربًّا ؛ أنه الخالق المدبر المالك المتصرف الذي له الخلق والأمر ﷻ ، والذي يستحق العبادة وأنه ﷻ هو خالق السماوات والأرض وخالق الليل والنهار وخالق الشمس والقمر وخالق جميع المخلوقات وهو رب العالمين .

وبالله إلهًا معبودًا مستحقًا للعبادة فلا تصرف أي عبادة لغير الله ﷻ ؛ لأن الشرك ظلم عظيم كما قال لقمان لابنه كيف تصرف شيئًا من العبادة لغير الله ﷻ والله هو الذي خلقك وهذا الذي تصرف إليه العبادة سواء كان وليًا أو مقبورًا أو شجرًا أو حجرًا أو قمرًا هذا كله مخلوق ؛ مفتقرون إلى الله ﷻ فكيف تصرف العبادة لغير مستحقها ؟

وكذا في أسمائه وصفاته ﷻ التي جاءت في الكتاب والسنة التي أثبتها النبي ﷺ لله ﷻ ، والتي جاءت في القرآن من ذكر أسماء الله ﷻ وصفاته لابد أن تؤمن بها وأنها حق لله ﷻ من غير تكليف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تأويل ؛ تؤمن إيمانًا جازمًا ويقينًا بهذه الأمور ، وتؤمن بالملائكة ؛

والملائكة خلق من نور وعباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، تؤمن بهم إجمالًا فقد جاء في الأحاديث من

ذكر عددهم الكثير جدًا وتؤمن بهم تفصيلًا كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومنهم ملك الموت وليس اسمه عزرائيل كما اشتهر عند كثير من الناس وإنما ملك الموت ومنهم خازن النار ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ (٧٧) 180 فنؤمن بالملائكة إجمالًا ونؤمن بهم تفصيلًا .

ونؤمن أنهم مخلوقون من نور وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم وأنهم يتبرؤون ممن يعبدهم فإن الله ﷻ لا يرضى أن يشرك به لا ملكٌ مقرب ولا نبيٌ مرسل ؛ جاء في الحديث (أن البيت المعمور يدخله كل يوم عدد كبير من الملائكة سبعون ألفًا لا يعودون إليه إلى يوم القيامة) وجاء في الحديث (أظت السماء وحق لها أن تئط ما من موضع فيها إلا وملك ساجد) أو كما قال - عليه الصلاة والسلام - فعدد الملائكة كثير وجاء في قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ ﴿٤﴾ 181 جاء في بعض الأحاديث أن عدد الملائكة في تلك الليلة أكثر من عدد حصى الأرض أو كما قال - عليه الصلاة والسلام - فهذا العدد الكثير نؤمن به إجمالًا .

وهذا العدد الكثير إذا كانت تلك الملائكة - عليهم السلام - بهذا العدد الكبير وجاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال أذن لي أن أصف ملكًا ما بين شحمة أذنه وعاتقه كما بين السماء والأرض ، والنبي ﷺ رأى جبريل وقد سد الأفق - عليه الصلاة والسلام - فإذا كان هؤلاء الملائكة وهم مخلوقون فكيف بالخالق ﷻ فلا شك أن الملائكة تدل على عظمة الله ﷻ والله ﷻ عظيم فهو الخالق ﷻ . فنؤمن بالملائكة رسل الله ﷻ الذين اصطفاهم الله ﷻ .

(1) سورة الزخرف (77) .

(1) سورة القدر (1-2-3) .

قال " وكتبه " أيضًا نؤمن بالكتب السماوية التي أنزلها الله ﷻ على الأنبياء والرسل ؛ نؤمن بها إجمالاً كما أخبرنا الله ﷻ بذلك فنؤمن بكل كتاب نزل على كل نبي ونؤمن بها تفصيلاً ؛ التوراة والزبور والإنجيل والصحف والقرآن فنؤمن بها ما جاء مفصلاً في كتاب ربنا وفي سنة نبينا محمد ﷺ نؤمن بها وأنها حق ونؤمن أن الكتب التي نزلت قبل القرآن هي منسوخة بالقرآن ؛ فالقرآن ناسخ لتلك الكتب السماوية السابقة ، هي حق نؤمن بها ولكن الله ﷻ أنزل هذا القرآن مهيمناً على تلك الكتب فلا يجوز لإنسان أن يقول نحن نعمل بالتوراة أو نعمل بالإنجيل وأن يأخذ نصوص التوراة والإنجيل ويعمل بها لأمر :

الأمر الأول : أن الله ﷻ أخبرنا أنه ﷻ لن يقبل منا إلا الإسلام .

والإسلام هو ما في كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ وما كان عليه سلف الأمة ؛ هذا هو الدين الحق .

ومنها أيضًا أن الله ﷻ أخبرنا أن القرآن مهيمناً على الكتب التي قبله فهو المرجع وهو الفرقان .

ومنها أيضًا أن القرآن ناسخاً لتلك الكتب .

ومنها أيضًا أن التوراة والإنجيل محرفة ومبدلة ؛ فلا - يعني - يأمن العبد أن يعمل بما حُرّف ولذلك النبي ﷺ في التوراة والإنجيل عن أهل الكتاب ماذا قال لنا قال : لا تصدقوهم ولا تكذبوهم حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج .

لماذا ؟

لا نصدقهم لاحتمال أن يكون هذا النص مما حرفوه وكذبوا فيه ؛ فلا نصدقهم جزمًا ولا نكذبهم لاحتمال أن يكون هذا الحرف مما لم يحرف ؛ فلا نقع في تكذيب شيء مما أنزل الله ﷻ .

طيب ؛ ما الفائدة ؟

الفائدة استثناسًا وعبرةً لكن عملاً بتلك الكتب ؛ فلا لأن القرآن كما سبق ناسخ ولأنها مبدلة ومحرفة .

وأيضًا نؤمن بالرسول برسل الله ﷺ إجمالًا كما أخبرنا الله ﷻ رسلاً مبشرين ومنذرين ، وتفصيلاً ممن ذكروا في القرآن وعددهم خمسًا وعشرين كما جاء في القرآن .

وأولوا العزم منهم ؛ إبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد ﷺ ونبى الله نوح فهؤلاء أولوا العزم منهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد ﷺ فهؤلاء أولوا العزم من الرسل - عليهم الصلاة والسلام - فنؤمن بهم إجمالًا ونؤمن بهم تفصيلاً ونؤمن أن أولي العزم منهم كما سبق نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد ﷺ .

ونؤمن أن محمدًا ﷺ سيد ولد آدم وأنه صاحب لواء الحمد وصاحب الشفاعة عليه - الصلاة والسلام - .

ونؤمن أنهم جميعًا بشر يمرضون ويصحون وصفاتهم صفات البشر ؛ لأنهم بشر ولكن الفرق بينهم وبين البشر أنهم اصطفاهم الله ﷻ وأوحى إليهم ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ (١١٠) 182 هذا الفرق .

فالنبي ﷺ والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - لا يُرفعون فوق منزلتهم نحبهم ونحترمهم ونؤمن بهم ونتبع نبينا محمد ﷺ فإن موسى بن عمران لو كان حيًا ما وسعه إلا اتباع النبي ﷺ ، وعيسى - عليه الصلاة والسلام - حين ينزل في آخر الزمان حين يقتل الدجال فإنه كما جاء في الحديث يصلي خلف رجل من أمة محمد ﷺ ويقيم شريعة النبي ﷺ ولا يقيم شريعته ، وإنما يقيم شريعة النبي ﷺ

(182) سورة الكهف (110) .

فهؤلاء الرسل كما سبق نؤمن بهم ولا نغالي فيهم (لا تطروني كما
أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله
ورسوله) ، ليس محبة الرسول أن تغالي فيه وأن تصفه بصفات
الربوبية ، وأنه يعلم الغيب ، أو أنه بيده الأمور ؛
هذه ليست محبة للنبي ﷺ ؛ هذا النبي ﷺ يرفضه ؛ هذا النبي ﷺ
يكرهه ويمنعه ويحرمه ، كان ﷺ في آخر حياته في مرض موته كان
يقول - عليه الصلاة والسلام - : (لعنة الله على اليهود والنصارى
اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) .

فالنبي ﷺ نهى عن الغلو فيه ونهى عن إطرائه ، إنما هو عبدٌ لله
أعلى مقاماته أن يكون عبدًا لله ﷻ اصطفاه الله ﷻ برسالته
وأكرمه ﷻ بالشفاعة .
والعبد المسلم يحب النبي ﷺ يحبه لا لذاته ؛ وإنما يحبه لأنه
رسول من الله ﷻ ولأنه مبلغ من الله ﷻ ، فإن محبة النبي ﷺ
لذاته ؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - هي
شركٌ ؛ محبة النبي ﷺ لذاته هي شركٌ ، وكذا طاعته ﷺ لا يطاع
لذاته ؛ وإنما يطاع لأنه رسولٌ من الله ﷻ أما قال ﷺ (من أطاعني
فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله) ؟

فمحبة النبي ﷺ لا تكون لذاته ﷺ وإنما تكون محبةً في الله ؛ محبةً
لأنه أخرجنا بإذن الله ﷻ من الظلمات إلى النور ﷻ .

قال إذا هذا الركن الرابع :

الأول : الإيمان بالله .

والثاني : بالملائكة .

والثالث : بالكتب .

والرابع : بالرسل .

والخامس : الإيمان باليوم الآخر .

- نؤمن باليوم الآخر وأنه حق وأنه ليس كما يقول أهل الضلالة أنه مجرد تخيلات ، وأمور - يعني - عقلية لا حقائق لها ؛ المقصود منها إخافة الناس ، لا ؛ بل هناك يومٌ آخر فيه محاسبة الناس ، وفيه الجزاء والحساب ، وفيه الجنة والنار

أسأل الله ﷻ أن يجعلني وإياكم من أهل الجنة ، وأن يبعدني وإياكم عن النار .

أسأل الله ﷻ أن يعيدنا في ذلك اليوم من شدائده وأهواله فإنه يومٌ عظيم ؛ يوم يجعل الولدان شيبا ، ويوم تضع كل ذات حمل حملها ، ويوم ترى الناس سكارى وما هم بسكارى ؛ ولكن من شدته وعظمته وأهواله فإنه يومٌ عظيم ، يقال فيه اللهم سلم سلم ، الملائكة في ذلك اليوم يقولون سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادتك وهو منذ أن خلقه الله إلى ذلك اليوم وهو ساجد ؛ فيرفع رأسه ويقول سبحانك الله ما عبدناك حق عبادتك .

فإذاً ذلك اليوم حق لا بد أن نؤمن به ، ولا بد أن يكون للإيمان باليوم الآخر آثار على المسلم ؛ فيخشى الله ﷻ ويخاف عقابه ويخشى من ظلم الناس ، ويعلم أنه مهما عمل من شيء فإنه سيلقاه يوم القيامة ، لذلك كانت من أشد الآيات عند أهل العلم قوله تعالى : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ (١٢٣) 183

فإن قوله تعالى : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا ﴾ المعنى ؛ كل سوءٍ يعملهُ المرء يحاسب عليه ويلقاه يوم القيامة .

وكما نعلم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (١١٦) 184 في اليوم الآخر هناك

(183) سورة النساء (123) .

(5) سورة النساء (116) .

العذاب وهناك النعيم ، هناك الجنة ، هناك النار ، هناك الميزان ، هناك الصراط ، أهوال وعظائم .

على المرء أن يستعد لذلك اليوم بتقوى الله ﷻ بنور من الله لا بمجرد الخوف والهلع ، لا بالبدع والضلالات ؛ وإنما من أراد النجاة ذلك اليوم ؛ فليكن من أتباع محمد ﷺ وأصحابه الكرام ، فليعمل بما أمر الرسول ﷺ ، ويجتنب ما نهى عنه الرسول ﷺ ، ويصدق ما أخبر به النبي ﷺ ، ويستعد للرحيل فإن التقوى ؛ أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ﷻ وأن تترك معصية الله على نور من الله ﷻ وأن تستعد ليوم الرحيل ، وكلنا ميتون ، وكلنا مجازون على أعمالنا ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾** ﴾ 185

ثم قال : " **وتؤمن بالقدر خيره وشره** " .
وهذا الركن السادس : الإيمان بالقدر خيره وشره .

– ومراتب القدر عند أهل العلم أربعة :

المرتبة الأولى : العلم ؛ مرتبة العلم ، قال الله ﷻ : ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** ﴾ ﴿٧٠﴾ 186

والمرتبة الثانية : الكتابة ، فإن الله ﷻ قد كتب كل شيء في اللوح المحفوظ كما قال ﷺ : **(كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء)** .

والمرتبة الثالثة : المشيئة ؛ بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، فالله ﷻ يفعل ما يشاء ويخلق ما يشاء ﷻ ويختار .

(185) سورة الزلزلة (8-7) .

(7) سورة الحج (70) .

والمرتبة الرابعة : مرتبة الخلق قال الله ﷻ : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (١٦) 187

فلا بد من الإيمان بالقدر خيره وشره ، ولا بد من الإيمان بهذه المراتب أن الله يعلم كل شيء ، وكما قال العلماء : (فإن الله يعلم ما كان ، وما يكون ، وما سيكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون) ؛ يعني ذاك الذي مات طفلاً أو شاباً ؛ لو لم يمت فإن الله يعلم ما سيكون منه ، علم الله ﷻ بهذه الأمور وبهذه الأشياء لا تعني أنه ﷻ أجبر الناس على أن يعملوا هذه الأعمال ، وإنما الله علم ما سيختار الناس وما سيفعلون ، فكتب في اللوح المحفوظ ما علم ﷻ ، ولذلك أنت يا عبد الله جعل الله لك الاختيار ، جعل لك أن تختار طريق الخير تنجو ، أو تختار طريق الشر فتهلك ، ومع ذلك فما لك من مشيئةٍ إلا تحت مشيئة الله ﷻ ، فإن الخلق خلقه والأمر أمره .

فلذلك ينبغي أن نتنبه لهذا الأمر ، وأن لا تختلط علينا الأمور فإن الإيمان بالقضاء والقدر ركنٌ من أركان الإيمان ، ولا بد أن نعلم هذا الأمر فاعمل يا عبد الله فكلٌ ميسرٌ لما خلق له ، واحرص على ما ينفعك واعمل بطاعة الله فإنك لا تدري ما يكون عليه أمرك . لذلك كان السلف يخافون على أنفسهم ، وما كانوا - رضي الله عنهم وأرضاهم - يعني يتأثرون بطاعتهم ؛ بل كانوا يخافون ، وكلما كانوا أعلم كانوا من الله أخوف وأخشى ، وكانوا لله أخشى ولذلك النبي ﷺ (أما إني أعلمكم بالله وأخشاكم له وأتقاكم له) وقال ﷺ : (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً) أو كما قال - عليه الصلاة والسلام - .

- إذا هذه هي مراتب الإيمان الستة :

" أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره " .

ثم قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : " والدليل على هذه الأركان الست قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ (١٧٧) 188 ذكر ﷺ الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالملائكة والإيمان بالكتب والإيمان بالنبيين ؛ فهذه خمسة أركان .

أين الركن السادس؟

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٤٩) 189

قال الشيخ : " ودليل القدر قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ " فهذه الأركان الستة مذكورة في القرآن وسيأتي ذكرها في حديث جبريل الطويل - عليه الصلاة والسلام - .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - " المرتبة الثالثة " .

الآن انتهينا من المرتبة الأولى ؛ وهي الإسلام ، ثم انتهينا من المرتبة الثانية وهي ؛ الإيمان ، الآن ندخل في مرتبة الإحسان .

وأهل الإحسان عددهم أقل وأهل الإحسان هم - يعني - ممن عبدوا الله ﷻ كأنهم يرونه فإنهم وإن لم يكونوا يرونه فإن الله يراهم فأحسنوا في أعمالهم وأخلصوا لله ﷻ .

والإحسان ليس بالهوى وإنما الإحسان باتباع سنة النبي ﷺ والإخلاص لله ﷻ ومراقبته ﷻ واتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه والإحسان هو أعلى مراتب هذا الدين .

(188) سورة البقرة (177) .

(189) سورة القمر (49) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : (الإحسان هو فعل المأمور به سواء كان إحساناً إلى الناس أو إلى نفسه فأعظم الإحسان الإيمان والتوحيد والإنابة إلى الله تعالى والإقبال إليه والتوكل وأن يعبد الله كأنه يراه إجلالاً ومهابةً وحياءً ومحبةً وخشية ؛ فهذا هو مقام الإحسان) .

فُيُحِبُّ الله ﷻ لذاته فإن الله ﷻ هو الذي يحب لذاته والإحسان كما قال النبي ﷺ (أن تعبد الله كأنك تراه فإنك وإن لم تكن تراه فإنه يراك) .

ما الذي نلاحظه في هذا الحديث ؟

نلاحظ أن فيه المراقبة والاستحضار فإذا خلا المرء بنفسه فإنه لا يعصي الله ﷻ ؛ لأنه يعلم أن الله يراه ويعلم أن الله يعلم بحاله ، وأن الله أقرب إليه من حبل الوريد ، وأن الله ﷻ يعلم ما تُسِرُّه نفسه فلا بد أن يستحضر العبد هذه الأمور ليصل لدرجة الإحسان فيراقب الله ﷻ المراقبة التامة.

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - :

" الإحسان ركن واحد وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " .

فإن الله ﷻ يرى ويسمع ، حتى قالت عائشة - رضي الله عنها - : (سبحان الذي وسع سمعه كل شيء) .

وذكرت هذا الكلام في قصة المجادلة لما كانت تشتكي للنبي ﷺ من زوجها فكانت عائشة - رضي الله عنها - تسمع بعض الكلام وبعض الكلام لا تسمعه مع أنها كانت في حجرة قريبة من حجرة النبي ﷺ ومع ذلك ماذا قال الله ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ (١) ﴿ 190 ﴾ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ ﴿ فَأَثَبْتُ اللَّهَ ﷻ أَنَّهُ سَمِعَ

(190) سورة المجادلة (1) .

كل شيء مما قالته ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾ (١) فعائشة - رضي الله عنها - ماذا تقول ؟

تقول : (سبحان الذي وسع سمعه كل شيء) يعني ؛ لم يغب عنه شيء مما قالته المرأة للنبي ﷺ فسمع ﷻ كل شيء مما قالته ؛ فالله ﷻ يعلم كل شيء حتى الأوراق التي تتساقط ﷻ يسمع دبيب النملة في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء فالله عالم بكل شيء ﷻ .

ولذلك كما مر معنا عن الفضيل بن عياض لما جاءه رجل يريد أن يعصي الله ، قال : نعم اعص الله ولكن اعص حيث لا يراك الله ﷻ ، فقال : وكيف هذا ؟ ، فقال : يا عدو نفسه تعلم أن الله يراك ثم تعصيه .

لذلك قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : " وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " فهذا كما جاء في الحديث وسيأتي

قال : والدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (١٢٨) (191) فهذه هي المعية الخاصة من الله ﷻ لأهل التقوى معهم بعلمه معهم بنصرته ﷻ وتأييده فالذين اتقوا الله ﷻ لا يخافون إلا الله ، والذين اتقوا الله هم الذين يفعلون أمر الله ﷻ لا الذين يفعلون أهواءهم ويفعلون - يعني - ما يشاءون ويظنون أنفسهم أنهم أولياء الله مثل داعش ومثل تنظيم القاعدة ومثل النصرة ومثل أنصار الشريعة وهذه الجبهات التي اتبعت - يعين - هواها ولم تتبع أمر الله ﷻ ولم تتق الله ﷻ في مؤمن ولا مسلم ؛ لا شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً بل قتلوا الأبرياء حتى الكفار لا يجوز قتلهم إلا بحقه في الجهاد وفي القتال أما المستأمن

(191) سورة النحل (128) .

أو المعاهد أو الذي فإنه لا يجوز قتله كما دلت على ذلك الأدلة
فأين تقوى الله في هذه الأمور .

ولذلك إن الله مع الذين اتقوا ؛ لا تحزن إن الله معنا ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ فهذه معية خاصة من الله
ﷻ وإذا كان الله معك يا عبد الله فمن ذا الذي تخاف ؟

فمن ذا الذي تخاف ؟

فإن الله ينصرك ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (٥١) 192
فإن الله ﷻ وعد بالنصر في الدنيا والآخرة .

قال : وقوله تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ (٢١٧) الَّذِي
يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿ ٢١٨ ﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿ ٢١٩ ﴾ إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ ٢٢٠ ﴾ (193) فالله ﷻ يخاطب النبي ﷺ بأن
يتوكل عليه ﷻ ؛ لأنه ﷻ بيده الأمور كلها فإن الله ﷻ ناصره
ومعيته وحافظه ومؤيده ﷻ .

﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ يعني يراك ويطلع على حالك ويعلم بك
في عبادتك من صلاة ونحوها ﴿ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ ويراك
في صلاتك راکعاً ساجدا ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ إنه هو
السميع العليم يعني ﷻ يسمع ويعلم جميع الأمور.

(192) سورة غافر (51) .
(193) سورة الشعراء (217-220) .

الدرس الرابع عشر

من

شرح الأصول الثلاثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ
يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرَّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلَّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أما بعد :

ثم قال الشيخ - رحمه الله تعالى - **وقوله تعالى : أي من الأدلة على
الإحسان ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ
مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ (٦١) 194**
فإن الله ﷻ يخبر النبي ﷺ أنك في أي عمل في شأن في أي عمل من
الأعمال وما تكون في حالة تقرأ فيها القرآن وتتلوه بل وكل عمل
صغير أو كبير أنت وأمتك ﴿ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا ﴾ يعني ؛ أن الله
ﷻ يراه ومطلع عليه وعلى جميع الناس في جميع أعمالهم
وأفعالهم وأقوالهم ولذلك - سبحانه الله - الذي يطلق لسانه
بالسب والشتم والذي يؤذي المؤمنين والمؤمنات والذي يؤذي

(194) سورة يونس (61) .

الضعيف والذي - يعني - يتجبر على خلق الله ﷻ ؛ لا شك أنه لم يستحضر هذه المعاني لا شك أنه غفل عن ما سيكون يوم القيامة من جزاء وحساب .

وقوله تعالى : ﴿ إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ أي يعني ؛ تعملون وتشرعون فيه وتستمرون .

ثم قال الشيخ - رحمه الله تعالى - **والدليل من السنة .**

والآن ذكر الأدلة على الإسلام ، والإيمان والإحسان من القرآن ؛ ثم ذكر دليلاً من السنة يشمل جميع المراتب الثلاثة ، وهو الحديث المشهور .

قال : **" والدليل من السنة : حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوسٌ عند رسول الله ﷺ : إذ طلع علينا رجلٌ شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، فجلس إلى النبي ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه " .**

في هذا الحديث ، في قول عمر رضي الله عنه : **" بينما نحن جلوسٌ عند رسول الله ﷺ "** هكذا كان الصحابة - رضوان الله عليهم - ، كانوا يحرصون على الجلوس عند النبي ﷺ ، والعلماء ورثة الأنبياء ؛ فعلى المسلمين أن يحرصوا على الجلوس عند العلماء ، وأن يرجعوا إلى العلماء ، وأن يسألوا العلماء وأن يعرفوا - أيضاً - من هم العلماء ؛ فليس كل من قيل فيه أنه عالم أو علامة هو فعلاً عالم يستحق أن يرجع إليه ، ولا من يعده بعض الأغرار بأنه من العلماء الكبار هو فعلاً من العلماء الكبار .

فلا بد أن تتوفر فيه صفات العالم ، وهي : العلم بالكتاب ، والسنة ، وما كان عليه سلف الأمة ، والعمل والتقوى ، والعمل بهذه الأمور مع تقوى الله ﷻ ؛ فهاتان صفة العالم ، وإلا فإن كثيراً ممن

يزعم أنه من العلماء قد يكون من علماء الضلالة وقد يكون من علماء السوء .

فقولوا لي بربكم ، من الذي أفتى الناس وجوز لهم بقتل المؤمنين ؟

مثل : داعش ، ومثل الذين يقومون بالعمليات التفجيرية والحزام الناسف **من الذي أفتاهم؟**

أناسٌ يزعمون أنهم علماء.

من الذي جوز للناس الخروج على الحكام والمظاهرات التي تخالف أمر الله ، وأمر رسوله ﷺ وتخالف إجماع الأمة وأنها محرمة ؛ فهذه الآثار المترتبة على الخروج في ليبيا ، في سوريا ، في اليمن ، في تونس وفي غيرها من الدول ، من المصائب ، والمحن والقتل الذي - يعني - تفشى وانتشر **من الذي أفتاهم بذلك ؟ من الذي جوز لهم الخروج ؟**

علماء ضلالة ، علماء سوء.

علينا يا إخواني - بارك الله فيكم - أن نحذر منهم ، وهناك بعض الناس يقول : يا أخي ! لا تتكلم في العلماء .

يا أخي ! لست أنا الذي تكلمت في العلماء إنما هذا أمر الله ﷻ كما في سورة آل عمران في أولها عندما تلا النبي ﷺ قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ (٧) 195 فالنبي ﷺ لما تلا هذه الآية قال : (فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَتَشَابَهَهُ - أي ممن يزعم أنه من العلماء - فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَأَخَذُوا بِهِمْ) .

(195) سورة آل عمران (7) .

والله عَزَّ وَجَلَّ قص لنا حال اليهود وحال النصارى الذين ضلوا بسبب علمائهم الذين انحرفوا عن الحق .

لماذا يقص لنا هذا؟

يقص لنا حتى نحذر من هذا ، ومن هنا قال سفيان : (من ضل من العلماء فقد أشبه اليهود المغضوب عليهم - لأنه علم وعمل بخلاف ما علم - ومن ضل من الزهاد والعُباد فأشبه النصارى ؛ لأنه عبد الله على غير علمٍ ، ونورٍ وبصيرة) . ولذلك كان التحذير ممن يخالف الحق أمرٌ مشروع ، بل واجبٌ بل مجمعٌ عليه كما نقله أهل العلم ؛ أنه بالإجماع .

ولذلك يا إخواني - بارك الله فيكم - لابد أن نحذر من هذا الأمر . فلا بد كما سبق أن نعرف من هم العلماء ؛ لأن الرجل إذا قيل إنه عالم وتصدر للناس فإنه يوقع الناس في الفتن ، ويوقع الناس في التحزب ، ويأتي بالفتاوى الباطلة ، ويأتي بالكلام المخالف للحق الكثير ؛ فإذا كان غير عالم ؛ كما أخبر النبي ﷺ : (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزع من صدور العلماء ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً ، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسئلوا ، فأفتوا بغير علمٍ ، فضلوا وأضلوا) .

هكذا الرؤوس الجهال ، الرؤوس الجهال يا إخواني ! ليس معناه الذى لا يقرأ ولا يكتب ؛ ليس معناه الرؤوس الجهال الذي - يعني - ما تعلم ؛ لا ! الرؤوس الجهال كما سألت الشيخ ابن باز - رحمة الله عليه - وغيره من أهل العلم سألتهم عن ذلك ، قالوا : (الرؤوس الجهال : هو كل من تكلم في دين الله بلا علم) ولو كان عنده شيءٌ من علم فإنه يعتبر من الرؤوس الجهال ، فالذي يتكلم في دين الله بلا علم ، ويفتي بلا علم ويوقع في الفتاوى الباطلة الكثيرة وإن تراجع عنها ؛ فإنه عند أهل العلم إن كان فتواه بجهلٍ وكانت فتواه في مسائل عظيمة يجهلها ويتخبط فيها ؛ فإن أهل

العلم مثل هذا الرجل لا يوثق به ؛ مثل هذا الرجل لا يرجعون إليه يستفاد منه فيما تكلم فيما يحسن ، فإن كثر منه قد يحذرون منه ، فبعض الناس الآن قد يتخذون مثل هؤلاء الرؤوس الجهال علماء أكابر ويأمرون بالرجوع إليهم وهم والله لا يستحقوا أن يسموا علماء ، بل إن أحسنا الظن بهم طلبة علم .

فلا شك أن هذه التخططات الواقعة في هذه الأمة إنما هي بسبب عدم تمييزها بين العلماء ، وإلا فإن النبي ﷺ لما وصف العلماء الحق قال : (**إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ**) ولذلك نص بعض أهل العلم أن العالم لا يؤتى الناس من قبله .

لماذا ؟

لأنه متمسك بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة ويدعو إلى ذلك ، وأما إذا كان مقصرًا في هذه الأمور فإنه يؤتى الناس من قبله وإن سموه عالمًا أو علامة وإن وصفوه بأنه ، مثلاً : من الأكابر ؛ فليس كل من وصف بهذا الأمر استحق هذا الأمر.

وأذكر لكم مثالاً على هذا : فتنة فالح الحربي ؛ فإن فالح الحربي ليس بعالم في حقيقة الأمر ؛ ففي بداية الأمر كان مع السلفيين وكان يرد على أهل الباطل ، ولكن مع رده على أهل الباطل مما يستفيد من كلام العلماء ، إلا أنه لم يكن متأصلاً علمياً فضلاً وانحرف ، فالح في بداية أمره أثنى عليه العلماء فيما ظهر لهم من حاله ثم ضل وانحرف فرد عليه العلماء وضلّوه.

سألت شيخنا ربيع المدخلي - حفظه الله تعالى - ، فقلت : يا شيخ الله يحفظك - أنا سمعت كلام فالح الحربي أيام ما كان مع السلفيين ، وكنت أرى أن في كلامه خلل كبير ، وكنت أرى أنه ليس بذاك المرتبة التي - يعني - الناس تثني عليه ، أن الطعن فيه طعن في الإسلام ، أو أنه علامة ، أو أنه من الأكابر أو إلى آخره . ولكن أنا أرى أنه الشباب وأرى المشايخ يقدمونه وأرى المشايخ يثنون

عليه ، فسكتُ ما أردت أن أظهر أمر وأنا - يعني - متفرد عن هؤلاء المشايخ .

فقال : يا ولدي ؛ والله كان في الحضيض - يعني كان جاهل - ولكن صبرنا عليه ، أردنا أن يتوب أردنا أن يترك ، واستمر في ضلاله وغيه إلا أن رددنا عليه .

فإذا فالح في حينها كان معظم ، ولذلك يا إخواني - يعني - ينبغي أن لا نعظم الناس إنما نعظم الحق ، ونتابع الحق ونبحث عن الحق ؛ فمن كان مع الحق كنا معه ومن خالف الحق لا نكون معه .

وما أكثر اليوم من ينادي بالرجوع إلى الأكابر في مسائل قد تكون مخالفة للحق ، **فأيهما أولى بالرجوع ؟ أن ترجع إلى الحق أم أن ترجع إلى الأكابر ؟**

نعم من منهج السلف الرجوع إلى الأكابر ولكن للحق الذي عندهم لا لذاتهم ، فإن من يدل الشباب بالرجوع للأكابر تمريرًا لباطله فإنما يدلهم على باطل لا يدلهم على حق ؛ وإلا فما معنى قول مالك وأحمد والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم من أهل العلم : **(كلُّ يؤخذ من قوله ويردُّ إلا النبي ﷺ)** معناه : يؤخذ من قولهم الحق ويرد من قولهم الباطل .

هنا يا إخواني لا بد أن أذكركم هناك - يعني - بعض الناس يدندنون حول هذه الكلمة لتمرير الباطل فاحذروهم - بارك الله فيكم - نعم .

ثم ما جاء في حديث جبريل قال : **" إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر "** يعني غريب ومع ذلك من غرابته أنه : **أولاً : لا يُعرف .**

وثانيًا : بما أنه لا يعرف فالمتوقع أن يكون مسافرًا وأن يكون متعبًا وأن تكون عليه آثار السفر بادية .

ومع ذلك هذا الرجل وهو جبريل عليه السلام وما كانوا يعلمون حينها أنه جبريل ، فهذا الرجل كان " شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه " .

قال العلماء :

في هذه جلسة طالب العلم مع العالم باحترامٍ وتوقيرٍ وتقدير ، فقال هذا الرجل وهو جبريل - عليه الصلاة والسلام - : يا محمد ! ناداه باسمه ، أخبرني عن الإسلام فقال النبي ﷺ : (أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا) قال - جبريل - صدقت . قال عمر: فعجبنا له يسأله ويصدقه " ووجه العجب أن السائل حين يسأل يريد الجواب عن أمرٍ لا يعلمه ، ولكن يسأل عن أمر يعلمه بدليل أنه قال " صدقت " ؛ أي أن قولك قول صدقٍ وأنا أعلم ذلك ؛ هذا وجه .

ووجه آخر : أن هذا الرجل كأنه يعلم هذا الأمر وهذا الأمر إنما جاء به الرسول ﷺ عن الله ، وهذا الرجل غير معروف بينهم .

فمن أين أتى به ؟

فلذلك تعجبوا رضي الله عنهم وأرضاهم .

" قال : أخبرني عن الإيمان . قال : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره) قال : صدقت . قال : أخبرني عن الإحسان . قال : (أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) . قال : أخبرني عن الساعة . قال : (ما المسئول عنها بأعلم من السائل - يعني أنا

لست بأعلم منك بمتى الساعة ومتى تكون ؛ لأن علم الساعة ؛
القيامة تفرد به الله ﷻ **فقال : أخبرني عن أمراتها - يعني عن**
علاماتها - قال : (أن تلد الأمة ربتها) .

هذه العلامة قال العلماء يحتمل أن يكون المعنى أن في آخر الزمان
يكثر الإماء و الجواري ؛ فالرجل يطأ الأمة فتحمل فتلد له فأمها
أمة أم الولد تعتق بعد موت زوجها فقالوا هذا دليل أو إشارة إلى
كثرة الجواري والإماء المملوكات ، وقيل معناه أن البنت تعامل
أمها معاملة الجارية لا احترام ولا تقدير وهذا ما نراه اليوم للأسف
الشديد ؛ الأم تخدم وتغسل وتطبخ وتهيء البيت وتجهز الأولاد ،
والبنت ؛ إما نائمة وإما تلعب وإما تمسك الجوال وإما تدعي أنها
تذاكر هذا إذا لم تقع في أمر محرم كمشاهدة المسلسلات والأفلام
المحرمة ؛ ولا شك أن هذا من العقوق ومن سوء معاملة الوالدين .

وهنا أنبه على أمر :

ما سبق من جهة أن البنت ينبغي لها أن تعين أمها وأن تساعد
وهذا الأمر أعني مساعدتها لأمها هو من توفيق الله لها فإنها
ستكون هذه البنت غداً زوجة وأم فتحتاج أن تتعلم وتحتاج أن
تعود وكما برت أمها ستبرها بنتها بإذن الله تعالى .

وهنا أنبه على أمر :

يتعلق بمسألة الوالدين ؛ وهو أن بعض الناس إذا رأى أباه أو رأى
أمه تقسو عليه أو - يعني - فيهم معاملة شديدة يظن أنه ليس
واجباً عليه أن يبرهما وهذا خطأ بل ولو كان الأب قاسياً أو الأم
قاسية وشديدة فإن عليك يا عبد الله أن تبرهما .

طيب ما الدليل ؟

الدليل قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ (١٥) (196)

فتأملوا - بارك الله فيكم - كيف أن الله ﷻ أمر بصحبتهم بالمعروف ولو كانا مشركين فكيف لو كانا مسلمين ولكن حصل منهم شيء من القسوة أو الشدة معك .

فلذلك لا بد من برهما ولا بد من الإحسان إليهما ولا بد من الحذر من العقوق ؛ فما من ذنب كما يقول النبي ﷺ أجدر أن يعجل لصاحبه العقوبة من الظلم والعقوق أو كما قال - عليه الصلاة والسلام - .

فلذلك قال هنا في الحديث (أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة) يعني ؛ البدو الذين لا يسترون إلا مواضع العورة وبعض جسمهم فهم عراة ويسIRON غالبًا على أقدامهم بلا أحذية ، وأيضًا عالة هم فقراء ويرعون الشاء (رعاء الشاء) يرعون الشاء ويتناولون في البنيان يعني ؛ تفتح عليهم الدنيا ويملكون البنيان الواسع فهذا من علامات الساعة ومن الأدلة على قرب يوم القيامة .

قال : (فمضى) أي ذهب جبريل - عليه الصلاة والسلام - (فلبثنا مليا) أي وقتًا بعد ذهابه ، فقال الرسول ﷺ : (يا عمر أتدري من السائل ؟) قلنا : الله ورسوله أعلم ، فقال ﷺ : (هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم) فقله ﷺ " قلنا : الله ورسوله أعلم " نبه العلماء هذا في حياة النبي وفي مخاطبة النبي ﷺ الله ورسوله أعلم .

وأما بعد موته - عليه الصلاة والسلام - فيقال : " الله أعلم " ؛ لأن النبي ﷺ ميت لا يعلم - عليه الصلاة والسلام - ، هذا أمر .

(196) سورة لقمان (15) .

وقوله ﷺ : (هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم) فيه دليل على أن الإسلام والإيمان والإحسان من مراتب الدين كما سبق معنا .

فهذا الحديث حديث جبريل ؛ هو من الأحاديث العظيمة عند العلماء حتى وصفه القرطبي بأنه " أمُّ السنة " ووصفه العلماء بأنه تضمن علومًا ومعارف كثيرة .

إلى هنا انتهى الشيخ - رحمه الله تعالى - من الأصل الثاني ثم الآن يدخل إلى الأصل الثالث .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - :

الأصل الثالث : معرفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم .

هذا هو الأصل الثالث : أنت تؤمن بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا .

من محمد ؟ ما أحواله ؟ ما الذي تعرفه عنه ؟

للأسف هناك بعض المسلمين لا يعرفون هذه الأمور الضرورية التي سيذكرها الشيخ - رحمه الله تعالى - ، ولذلك هذه الرسالة الأصول الثلاثة على صغر حجمها إلا أنها اشتملت على معارف كثيرة وأمور عظيمة .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : " وهو محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب بن هاشم ، وهاشم من قريش ، وقريش من العرب .

فنبينا محمد ﷺ هذا نسبه قرشي عربي أصيل ﷺ .

قال : " والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام " .

فنبينا محمد ﷺ من ذرية إسماعيل بن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام .

قال - رحمه الله - : " وله من العمر - أي حين مات وتوفي - ثلاث وستون سنة " .

قبض ﷺ وعمره ثلاث وستون سنة " منها أربعون قبل النبوة " قبل أن ينبأ ويرسل - عليه الصلاة والسلام - فهو نبى على رأس الأربعين ﷺ . قال : " منها أربعون قبل النبوة " .

طيب ماذا كان قبل النبوة ؟

كان يتعبد في غار حراء ؛ يتعبد الله .

طيب من هو الله ؟

ما كان يعرف ولذلك قال الله ﷻ : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴾

﴿٧﴾ 197

ما معنى ضالا ؟

ضالا : أي لم تهتد إلى الحق ليس معناه أنه ﷺ كان يفعل أعمال الضلال لا وإنما معناه أنه لم يهتد إلى الحق ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴾ فهذا للحق .

قال ثم بعد الأربعين نبى - عليه الصلاة والسلام - ولكنه ﷺ لم يسجد لصنم ولم يشرب الخمر ولم يعمل ما كان عليه أهل الجاهلية وكان معروفاً بالصدق والأمانة - عليه الصلاة والسلام - فاصطفاه الله ﷻ وهياه لرسالته وجعله خاتم الأنبياء والرسل .

قال : " منها أربعون قبل النبوة ، وثلاث وعشرون نبياً ورسولاً ﷺ نبى ب ﴿ اقرأ ﴾ .

(197) سورة الضحى (7) .

لما جاءه جبريل وقال له : ﴿ اقرأ ﴾

قال : (ما أنا بقارئ)

قال العلماء : (ما أنا بقارئ) إما أن تكون بمعنى ؛ ما الاستفهامية
أي ما الذي أقرؤه ؟

وإما أن تكون ما النافية أي ؛ أنا لا أحسن القراءة ولا أعرف القراءة
" فنبئ ﷺ ب ﴿ اقرأ ﴾ وأرسل ب ﴿ المدثر ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ﴿ ١ ﴾
فَمُ فَأَنزِرْ ﴿ ٢ ﴾) 198 فأرسله الله ﷻ .

" وبلده مكة " وبها ولد - عليه الصلاة والسلام - وكونه - عليه
الصلاة والسلام - ولد بمكة ؛ لا يعني أننا نحتفل بموضع مولده
فإن موضع مولده - عليه الصلاة والسلام - ليس معروفًا على
الصحيح من قول أهل العلم ، ولا يحتفل بزمن مولده فإن النبي ﷺ
لم يعلمنا أن نحتفل بزمن مولده ولا الصحابة الذين كانوا يحبون
النبي ﷺ حبًا شديدًا ما احتفلوا بمولده بل قال ﷺ : (لا تطروني كما
أطرت النصارى عيسى بن مريم) ولا شك أن المولد من أنواع
إطراء النبي ﷺ .

قال : " وهاجر إلى المدينة " .

بعد أن ضيق عليه وأوذي هو وأصحابه وصبر وفي صبره ﷺ في مكة
عبرة لنا ودليل على باطل ما عليه هذه الجماعات داعش وغيرها
فإن النبي ﷺ أوذي بمكة وحوصر وضيق عليه وجاء عليه عام
الحزن ﷺ وبعض أصحابه يعذبون أمام عينيه ما كان بيده شيء -
عليه الصلاة والسلام - فصبر لم يأمر بقتلهم غيلة ولم يأمر بهدم
البيوت عليهم ولم يأمر أن يأخذ أحدهم خنجره أو سيفه ويضرب
بهم يمينًا وشمالًا ولم يأمر الصحابة أن يأخذوا الحجارة فيضربوا
كفار مكة بل أمروا بالصبر .

(198) سورة المدثر (2-1) .

فهل الذين يفخرون ويتفاخرون برمي الحجارة ويعرضون الأطفال الصغار والبنات والنساء والرجال يعرضونهم لرصاصات اليهود - قبحهم الله - **هل الذين يعرضون هؤلاء الشباب والصغار أُغَيِّرَ وأحسن من حال النبي ﷺ وأصحابه ؟!**

- لا والله !!

هل الذين يقومون بهذه العمليات التفجيرية فيفجرون ويكفرون أعلم - يعني - وأحسن من النبي ﷺ وأصحابه ؟

- لا والله !!

لابد يا أمة محمد لابد أن تكون عندنا عقول إلى متى ، إلى متى تضحك وتلعب بنا هذه الجماعات فتقدم الإرهاب وتقدم الخوارج وتقدم الضلال على أنه نصره الإسلام على أن هؤلاء مجاهدون وأن هذا حق .

- لا والله !!

ليس بحق في الوقت الذي يتهمون العلماء الربانيين بأنهم أهل عمالة وأهل بحث عن سلطة ومالٍ وجاه .

- لا والله !!

هم علماء حق - بإذن الله تعالى- وإنما قالوا الحق الذي أمر الله ﷻ به لذلك أفق الشيخ الألباني وأفقي الشيخ بن باز وغيرهما من أهل العلم - رحمة الله عليهم جميعا - أن على من كان مستضعفاً في أرضٍ لاحول له فيها ولا قوة أن يخرج منها فلسطين نخرج من فلسطين ثم نقيم شرع الله ﷻ ونعد العدة ثم نرجع إلى فلسطين بالعدة الشرعية المطلوبة منا وبالجهاد الشرعي الذي أمر الله ﷻ ورسوله ﷺ .

فليس الجهاد مجرد أن تحمل السلاح وتقتل من تقتل بلا ضوابط شرعية ثم تقول الله أكبر الله أكبر **هذا ليس الجهاد ؟**

إنما الجهاد أن يكون بالضوابط الشرعية تحت قيادة حاكم شرعي ، وأن يكون لرفع كلمة الله ﷻ هذه الجماعات تفجر وتدمر نصرة لجماعتهم وأحزابهم .

- لا والله !!

ليس نصرةً لله ﷻ وأن يكون بالضوابط الشرعية فلا يقتل الآمنون ولا يقتل الأبرياء ولا - يعني - تستعمل الخيانات وتستعمل الغيلة بهذا الأسلوب الماكر الخادع وإخافة الناس .

فانظروا - بارك الله فيكم - ما الذي ترتب على هذه الجماعات دواعش وغيرها ؛ إلا الطعن في الإسلام والطعن في أمة محمد ﷺ والإيذاء للمسلمين في فرنسا وفي أمريكا وفي أوروبا ، بعضهم يقتلونهم ويؤذونهم ويفجرونهم في مساجدهم فإن هذا والله ضلال وليس مما جاء به النبي ﷺ .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : " وهاجر إلى المدينة أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد ، بعثه الله بالندرة عن الشرك ، ويدعو إلى التوحيد ، والدليل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ - أي الأصنام والشرك - فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾

- ومعنى ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ ينذر عن الشرك ويدعوا إلى التوحيد - ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ أي عظمه بالتوحيد .
- ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ أي طهر أعمالك من الشرك وهذا على تفسير

- ﴿ والرجز ﴾ أي الأصنام ؛ الرجز : الأصنام ، وهجرها :
توكها ، والبراءة منها وأهلها .

قال الشيخ : - رحمه الله تعالى - : " أخذ على هذا عشر سنين
أخذ على هذا عشر سنين يدعو " .

يريد الشيخ - رحمه الله تعالى - أن النبي ﷺ دعا كفار مكة ثلاثة
عشر سنين .

يريد الشيخ - رحمه الله تعالى - أن النبي ﷺ دعا كفار مكة ثلاث
عشر سنة

عشر سنين كان يدعو إلى التوحيد ثم بعد العشر عُرج به إلى
السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس وصلى في مكة ثلاث
سنين ؛ فعشر وثلاثة ثلاث عشر سنة يدعو في مكة إلى التوحيد
وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة .

ثم بين - رحمه الله تعالى - الهجرة ومعناها وقبل انتهاء الدرس
أحب أنبه على أمر وسيأتي إن شاء الله التنبيه عليه في اللقاء القادم
.

النبي ﷺ دعا أهل مكة ثلاثة عشر سنة يدعوهم إلى التوحيد ثم
انتقل إلى المدينة عشر سنين ثم توفي - عليه الصلاة والسلام - .

في المدينة كان يقرر الأحكام والعبادات لكن ليس المعنى كما
سيأتينا إن شاء الله ليس المعنى أن النبي ﷺ في مكة كان يقرر
التوحيد وفي المدينة لم يقرر التوحيد وإنما المراد أنه في مكة كان
يشغل كثيرًا بتقرير التوحيد .

وفي المدينة لما كان أصحابه مؤمنين وآمنوا ؛ أيضًا علمهم التوحيد
ولكن علمهم أيضًا مع التوحيد العبادات فالنبي ﷺ منذ أول بعثته

إلى أن لقي ربه وهو يدعو إلى التوحيد ، كما مر معنا أنه كان يقول
عند موته : (لعنه الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور
أنبياءهم مساجد) فهذا لا شك أنه من التوحيد والأمر به ؛ فالنبي
ﷺ دعوته كلها إلى التوحيد .

وفي هذا القدر كفاية .

أسأل الله ﷻ أن ينفعنا بما سمعنا وأن يكون حجةً لنا لا حجةً
علينا .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الدرس الخامس عشر

من

شرح الأصول الثلاثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ
يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرُّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أما بعد :

فقد توقفنا عند قول المصنّف - رحمه الله تعالى - شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في " الأصول الثلاثة " لما ذكر أنّ النبي ﷺ مكث في مكة يدعو إلى التوحيد ثلاثة عشر سنة ثم هاجر إلى المدينة فقال الشيخ - رحمه الله تعالى - : " والهجرة الانتقال من بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ .

والهجرة فريضة على هذه الأمة من بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ وهي باقية إلى أن تقوم الساعة والدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۖ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ لِرِضِ اللَّهِ وَأَسِعَةٍ فَمُتَّحَجِرُوا فِيهَا ۖ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ لَكُمْ لِرِضَى اللَّهِ وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ ، قال البغوي - رحمه الله تعالى - : " سَبَبُ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ فِي مَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا ، نَادَاهُمُ اللَّهُ بِاسْمِ الْإِيمَانِ " .

والدليل على الهجرة من السنة قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ ، وَلَا تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) .

في هذه الجمل من شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - تنبيه على مسألة مهمة وهي :

أنّ المسلم لا ينوي الإقامة الأبديّة بين ظهراني الكفّار أو المشركين ، وإنّما ينوي قضاء حاجته من تجارةٍ أو تعليمٍ أو سفرٍ أو نحو ذلك ثم يعود إلى بلده .

والمدة التي يمكثها في بلاد الكفر ولو طالّت إذا لم ينو الإقامة الأبديّة فلا يدخل في التّحريم وفي الذّم المذكور في هذه الأدلّة .

وعلى المسلم أن يسعى إلى الانتقال إلى بلاد الإسلام وإذا أقام في بلاد الكفر لمدة معينة عليه أن يحافظ على شعائر دينه وعلى تعليم أولاده وعلى أن يبتّ الرّوح الإسلاميّة وشعائر هذا الدّين بين أهله وأولاده ، فلو أقام في بلاد الكفر مدّة طويلة لتجارةٍ أو تعليمٍ أو لأمر آخر فإنّه لا يدخل في هذا الذّم .

والمسلم بعد أن يعلم حكم تحريم الإقامة في بلاد الكفر فلو استطاع أن ينتقل إلى بلده بلا ضرر وبلا - يعني - أذى فليفعل ذلك ، وإن كان الانتقال إلى بلاده يكون فيه عليه ضرر أو خسارة أو لا يستطيع أن ينتقل إلى بلده بسبب عدم توفر الأوراق الرّسمية أو عدم توفر الأمور فحينها يُقال له ابذل جهدك واسعى في تيسير أمورك للانتقال إلى بلاد الإسلام .

فإذا يجب أن نتنبّه لهذا الأمر :

أوّلاً : الذّي يحرم هو الإقامة الأبديّة ؛ أن تنوي الإقامة في بلد الكفر ولا تنوي الرّجوع إلى بلدك .

ثانيًا : أنّ الجلوس في بلاد الكفر لقضاء غرض من تعليمٍ أو تجارةٍ أو نحو ذلك مع توفر الشّروط الشرعيّة من إقامة الدّين وعدم الفتنة

وعدم هذه الأمور كلّها ، أنّه لا يدخل - إن شاء الله - في الإثم بإذن الله .

ثالثًا : أنّه لا يُقال للمسلم بعد علمه بهذا الحكم وقد يكون سابقًا قد نوى الإقامة ، لا يُقال له انتقل الآن في غمضة عين أو بين يوم وليلة ، بل يُقال انظر إلى أمورك وانظر إلى شأنك واستعد للانتقال إلى بلاد الإسلام فإن تيسّر لك هذا في عجل وفي سرعةٍ فالحمد لله وإن لم يتيسّر لك هذا وتحتاج إلى وقت للاستعداد ماديًا ولإعداد الأوراق ونحو ذلك فحينها انتقل عندما تيسّر لك الأمور .

وإنّ من الأمور الغريبة التي قد انتشرت بين المسلمين في بلاد الغرب هناك - يعني - فتاوى تدعوا إلى أنّه لابدّ أن تُهاجر الآن الآن ، وهذا خطأ ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ **199** فمن تيسّر له الانتقال نقول له انتقل الآن ومن كان الانتقال بالنسبة له يضرّ الآن ويحتاج إلى وقت جمع مال وتخلّص من أوراق وإعداد أوراق رسميّة ونحو ذلك فحينها نقول له مادمت لا تنوي الإقامة الأبدية ومادمت تنوي الرجوع إلى بلاد الإسلام فلك من الوقت ما تحتاجه - بإذن الله تعالى - للانتقال إلى بلدك سواء كان شهر أسبوع سنة أو أكثر ، أهمّ شيء أن لا تنوي الإقامة ، وأهمّ شيء أن تسعى للانتقال إلى بلاد الإسلام ، وأهمّ شيء أن تمارس شعائر دينك وأن تجتنب الفتن .

فإذا قول المصنّف - رحمه الله تعالى - : **" والهجرةُ : الانتقالُ من بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَام "** هذا الانتقال سيأتي إن شاء الله أنّه فريضة .

(199) سورة البقرة (286) .

لماذا ؟

- لأنَّ المسلم لا يجوز له أن ينوي الإقامة الأبديّة في بلاد الكفر أو الشّرك لقوله ﷺ (لا تتراءى نار مسلم ونار مشرك) (200) أو كما قال عليه الصّلاة والسّلام .

قال الشّيخ - رحمه الله تعالى - : " الانتقال من بلد الشّرك إلى بلد الإسلام والهجرة فريضة " أي : واجبة على هذه الأمّة من بلد الشّرك إلى بلد الإسلام فلا ينوي المسلم الإقامة في بلاد الكفر، فلا ينوي المسلم الإقامة الأبديّة ، أمّا أن ينوي الإقامة لوقتٍ تيسّر فيه أموره أو لتجارةٍ أو نحو ذلك كدعوةٍ إلى الإسلام وإلى السنّة النبويّة فلا مانع من ذلك ولو طالّت المدّة مادام أنّ النّيّة في ذلك عدم الإقامة الأبديّة ؛ ونعني بالإقامة الأبديّة أن ينوي الإقامة في بلاد الكفر إلى أن يموت ولا يُفكّر أن يرجع إلى بلاد الإسلام إلّا من باب الزيارة للأهل والأقارب فلا شكّ أنّ هذا محرّم للأدلة ، ولكن الإقامة لتجارةٍ أو تعليمٍ أو دعوةٍ أو نحو ذلك فلا مانع منها . وكذا من كان ناوياً للإقامة الأبديّة ثمّ علم الحكم لا نقول له انتقل بين يوم وليلة ولكن انظر إلى ما يتيسّر معك وما يكون لك فيه سعة في أمرك ثمّ انتقل بعد ذلك ولا تنوي الإقامة الأبديّة . إذا قال الشّيخ - رحمه الله تعالى " وهي باقية " - أي الهجرة - " إلى أن تقوم الساعة " يعني لا تسقط لا يجوز لمسلم أن يسكن في بلاد الكفر بنية الإقامة الأبديّة .

قال : والدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۗ ﴾ ؛ يعني هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم ؛ وهم أناسٌ من أهل مكّة أسلموا أو تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا فتوفّتهم الملائكة حال كونهم ظالمي أنفسهم .

(200) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سريةً إلى خثعم ، فاعتصم ناس منها بالسجود ، فأسرع فيهم القتل ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمر بهم بنصف العقل ، وقال : أنا بريء بكلّ مسلمٍ مقيم بين أظهر المشركين ، قالوا : يا رسول الله ، لم ؟ قال : لا تتراءى ناراهما (ابن حجر العسقلاني ، تخریج مشكاة المصابيح (408/3) .

كيف ظلموا أنفسهم ؟

لم يهاجروا ولم ينووا الهجرة من بلاد الشرك بل ظلّوا في ديار الكفر فتقول لهم الملائكة موبّخةً لحالهم ﴿ فِيمَ كُنْتُمْ ﴾ يعني

لماذا فعلتكم هذا الأمر ؟ لماذا لم تهاجروا ؟

- فيكون جوابهم : بأننا كنّا مستضعفين في الأرض ؛ يعني ما عندنا قدرة ، نعجز عن الهجرة ولا تتوفّر لنا الأمور .

لكن هل هذه الأسباب حين ذكروها كانوا صادقين فيها ؟

قال أهل التفسير : لم يكونوا صادقين فيها بل هي مجرد أعذار واهية لا حقيقة لها فلم يكونوا مستضعفين وكانت عندهم القدرة على الهجرة فلم يهاجروا .

لذلك مرّ معنا في التنبيه السابق أنّ هذه الهجرة إنّما تكون بلا ضرر وهذه الهجرة لمن نوى الإقامة الأبدية ، أمّا من نوى الإقامة لمدة ثم يرجع فلا يدخل في هذه الأدلة لذلك تقول الملائكة لهم :

﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ فهذا عتابٌ لهم

وهذا استفهام المراد به أن يعترفوا أنّ أرض الله واسعة ولم

يهاجروا لذلك تُوعّدوا بالعقاب ﴿ فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ

وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ ؛ أي أنّ هؤلاء الذين لم يهاجروا لا عذر لهم

فأخبر الله ﷻ بأنّ مأواهم جهنّم وساءت مصيرًا ؛ أي أنّ جهنّم هي

بئس المصير وتُوعّد مَنْ ترك الهجرة مع قدرته توعّد بهذا العقاب

فترك الهجرة لمن كان قادرًا عليها كبيرة من كبائر الذنوب ، ولكن

كما سبق ترك الهجرة لمن كان ناويًا الإقامة الأبدية ؛ أما من كان

مقيمًا لقضاء حاجةٍ وإتمام أمرٍ ؛ كالتعليم ، أو تجارةٍ ، أو دعوةٍ ، أو

نحو ذلك ؛ فإنه لا يدخل في هذه النصوص ؛ لأن هذه النصوص

في ذمّ من أقام إقامةً أبديةً ؛ لا ينوي الرجوع إلى بلاد الإسلام أو لا

ينوي الانتقال إلى بلاد الإسلام .

لذلك ذكر الله ﷻ من يُعذرون فقال : ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ يعني

؛ الذين هم فيهم عجزٌ عن الانتقال سواء كانوا رجالًا أو نساءً أو

ولدان ؛ يعني صغارًا من الأبناء والبنات يعني لا يستطيعون حيلة ؛
 يعني لا يستطيعون الانتقال من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام ؛
 لعدم النفقة أو لعدم القدرة والقوة أو نحو ذلك ﴿ وَلَا يَهْتَدُونَ
 سَبِيلًا ﴾ يعني ؛ لا يعرفون كيف يخرجون من بلاد الكفر ويصلون
 إلى بلاد الإسلام ﴿ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ ﴾ يعني ؛
 من كان مستضعفًا حقًا ولا يستطيع الانتقال حقًا ؛ فإن الله ﷻ
 وعده بالعفو عنه ؛ عن هذا الأمر ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا ﴾ ؛ أي
 أن الله ﷻ متصف ﷻ بالعفو والتجاوز عن السيئات وأنه ﷻ غفورًا
 أي : كثير المغفرة للذنوب والزلات .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : (نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةً فِي كُلِّ
 مَنْ أَقَامَ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمُشْرِكِينَ) وقوله في كل من أقام أي : أقام
 إقامة أبدية ، لأن بعض الناس يفهمون خطأ أن كل من سكن في
 بلاد الكفر متوعد بهذا العذاب وأنه يجب أن يهاجر حالًا حالًا ،
 وهذا خطأ ؛ وإنما الأدلة أتت في من نوى الإقامة الأبدية ، قال :
 وهو قادرٌ على الهجرة ، وليس متمكنًا من إقامة الدين فهو ظالمٌ
 لنفسه مرتكبٌ حرامًا بالإجماع وبنص هذه الآية انتهى .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - وقوله تعالى : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ
 آمَنُوا إِنَّ لِرُضِي وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾

هذا نداءٌ من الله ﷻ للمؤمنين الموحدين لله ﷻ ؛ الذين ءامنوا
 بالله ربًا ، وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم نبيًا ، وبهذا الإسلام دينًا ؛
 ولكنهم مقيمون في ديار الكفر لم يهاجروا ؛ فالله ﷻ خاطبهم بهذا
 الخطاب ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فليست الإقامة في ديار الكفر
 كفرًا ؛ إنما هي كبيرة من كبائر الذنوب ﴿ إِنَّ لِرُضِي وَاسِعَةً ﴾ ؛
 يعني أنا خلقتكم وأوجدتكم في هذه الأرض فأنتم في بلاد الكفر
 فأرضي واسعة ، في أي مكانٍ انتقلوا إن تيسر لكم ولا تقيموا في بلاد
 الكفر إقامة أبدية لما في ذلك من ضررٍ عليكم في دينكم ودنياكم
 ﴿ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ أي : أظهروا لي العبادة في أرضي الواسعة .

قال البغوي - رحمه الله تعالى - : " سَبَبُ نزولِ هذه الآية في المسلمين الذين كانوا بِمَكَّةَ لَمْ يُهاجِرُوا ، ناداهمُ اللهُ باسمِ الإيمانِ " يعني : أنهم مؤمنون فناداهم باسمِ الإيمان ؛ فأفاد أن تارك الهجرة بعدما وجبت عليه ليس بكافر ولكنه عاصٍ ، مؤمن ناقص الإيمان .

ثم قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : **والدليل على الهجرة من السنة قوله ﷺ (لا تَنْقُطُ الهجرةُ حَتَّى تَنْقُطَ التَّوْبَةُ) ؛ فهذا دليلٌ من السنة على استمرار الهجرة ، وأما قوله ﷺ : (لا هجرةَ بَعْدَ الفَتْحِ) أي : لا هجرة من مكة ومن دار الإسلام بعد فتح مكة ، وأما الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام فهي مستمرة .** ولذلك قال - عليه الصلاة والسلام - : **(لا تَنْقُطُ الهجرةُ) ؛ وهذا دليلٌ على أن الهجرة مفروضةٌ وواجبة ؛ فوجوب الهجرة لا يسقط لمن كان مستطيحاً ، فلا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ؛ يعني : حتى يأتي وقتٌ لا تقبل فيه توبة التائب ؛ فإذا جاء ذلك الوقت وهو : إذا طلعت الشمس من مغربها ؛ فحينها لا ينفع انتقال المسلم الذي أقام في بلاد الكفر إقامةً أبدية بعد طلوع الشمس من مغربها لا تنفعه هجرته .**

لماذا؟

لأن التوبة حينها قد انقطعت ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : **(لا تَنْقُطُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) ؛** فالتوبة مقبولة من العبد إذا انتقل من بلاد الكفر قبل طلوع الشمس من مغربها ، وهذه الهجرة واجبة كما بين ذلك العلماء .
فالمسلم يسعى بكل جهده واستطاعته الانتقال من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام ولا ينوي الإقامة هناك ، والانتقال إلى بلاد الإسلام .
هنا أيضًا ننبه على قضية وهي أن بعض المسلمين - هداانا الله وإياهم للصواب - قد يقولوا إني في بلاد الكفر مرتاح ولا يُضيق علي وأما في بلاد المسلمين فهناك بعض الأمور التي تضايقني فلذلك أنا لا أنوي الرجوع إلى بلاد المسلمين .

فنقول لهم —وَلَاءَ :

أولاً : اعلّموا أن الهجرة واجبة ، لا يجوز لك أن تنوي الإقامة الأبدية في بلاد الكفر .

ثانياً : أن نقول لك يا أخي إن بلاد المسلمين على كل ما فيها من تضيق في نظرك أو سوء معاملة في نظرك ، فإن هذه أمور أهون من الشرك والكفر الذي في بلاد الكفر .

ثالثاً : أنت تعلم الإسلام وتعلم شيئاً منه ولكن أبنائك ومن بعدهم قد يتطبعون بطباع أهل الكفر ، بل وقد يتدينون بدينهم فينتقلون من الإسلام إلى الكفر وأنت لا تدري فلا شك أن هذه شبهة شيطانية .

عليك أن تنوي الرجوع إلى بلاد المسلمين وأن تربي أبنائك وأجيالك على الإسلام في بلاد المسلمين ، فإن الدنيا زائلة وفانية والعبد يعلق قلبه بالله ﷻ ويعلق نفسه بالآخرة فإن الحياة الآخرة لهي الحيوان ؛ أي لهي دار الحياة الحقيقية هذا معنى الحيوان ؛ أي دار الحياة الحقيقية ، أما الدنيا فيها المنغصات لا النعم لا تدوم فيها المرض فيها الحوادث والمصائب ، الإنسان ما يأمن الدنيا زائلة ، فلا تتعلق بها ولا تظن أن أهل الكفر وأهل الشرك هم خير لك من المسلمين ، فإنهم يخدعوك وهم على فتنتك وتغيير دينك هم حريصون بلا شك .

فاحذر يا عبد الله من هذه الشبهة ، فلا تنوي الإقامة في بلاد الكفر وانو الرجوع إلى بلاد المسلمين على قدر استطاعتك لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، وإن شاء الله ما دمت ناوياً للخير وما دمت ناوياً لطاعة الله ورسوله ﷺ في هذا الأمر ، فأبشر بالخير والتوفيق من الله ، فإن الله ﷻ كما دلت النصوص الشرعية يُعين العبد على مراده في فعل الطاعة بإذن الله تعالى .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - " فلما استقرّ في المدينة أمرٌ ببقية

شرائع الإسلام ، مثل : الزكاة ، والصّوم ، والحجّ ، والآذان ، والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وغير ذلك من

شرائع الإسلام " ؛ يعني أن النبي ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة وانتشر التوحيد ودخل الناس في هذا الدين أفواجًا فعند انتقاله من مكة إلى المدينة واستقر بالمدينة أمره الله ﷻ ببقية شرائع الإسلام .

الزكاة فرضت في مكة ولكن أنصبتها ومقاديرها وما يتعلق بها في المدينة ، وكذا الصوم والحج والآذان والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وغير ذلك من شرائع الإسلام **" أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سَنِينَ "** في مَكَّة ؛ أي يُقيم الأحكام ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويؤدي هذه الواجبات والأحكام في المدينة ؛ حينما استقر في المدينة وفي مكة كان يركز - عليه الصلاة والسلام - على التوحيد ، وكما سبق - أن النبي ﷺ منذ أن بُعث إلى أن لقي ربه كان يقرر التوحيد ، ولما يُقال أنه في مكة ثلاثة عشر سنة يدعو إلى التوحيد ، وفي المدينة عشر سنين إلى الأحكام والشرائع ، فنقول إن في مكة كان هناك الكفار فكان يحاججهم بالتوحيد ، أما المدينة فهناك أهل الإسلام ولكن مع إسلامهم إلا أنه ﷺ كان يأمر بالتوحيد ويحذر من الشرك ، وحديث أبي واقد الليثي حينما ذكر أنهم كانوا حدثاء عهد بإسلام فطلبوا من النبي ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط فقال ﷺ (**اللَّهُ أَكْبَرُ لَقَدْ قُلْتُمْ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ**) (201) ، فعلمهم ﷺ التوحيد وعلمهم أن طلبهم ولو لم يكونوا ينوون الشرك إلا أن طلبهم هذا خطأ ، فأنكر عليهم ﷺ وهذا بالمدينة بعد هجرته من مكة .

وكذا أيضًا كما مر معنا مرارًا وتكرارًا قوله ﷺ : (**لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**) (202) وهذا قبل موته - عليه الصلاة والسلام - ، قال : **" أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ**

(201) (**اللَّهُ أَكْبَرُ** إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ؛ لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ .

مجموع فتاوى ابن باز (3/337) .

(202) (صحيح البخاري (435) .

سَنِينَ وَتُوفِّيَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - وَدِينُهُ بَاقٍ " توفي ﷺ بعد أن بلغ هذا الدين بلاغًا تامًّا كاملاً لا نقص فيه ، وكان ﷺ يقول في حجة الوداع **(أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ، اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ)** ويكرر هذا - عليه الصلاة والسلام - ، فما مات - عليه الصلاة والسلام - إلا وقد بلغ جميع ما أمره الله ﷻ به ، والله ﷻ كما قال ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ **203** (وَدِينُهُ ﷻ دِينَ بَاقٍ . **لماذا ؟**

لأنه آخر الأنبياء - عليه الصلاة والسلام - والرسول فلا نبى بعده ولا رسول والعلماء ورثة الأنبياء ، يسوسون الناس ويهدونهم إلى الحق .

ولكن العلماء كما مر معنا سابقًا هم علماء الحق هم العلماء الذين يعلمون ويعملون على تقوى ونورٍ من الله بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة .

فدينه ﷻ باقٍ **(لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم) (204)** ولا من خذلهم وهذا بخلاف الأديان السابقة ، فهي ليست باقية لأنها منسوخة ، والأنبياء فيما سبق يرسلون إلى أقوامهم خاصة والنبي ﷺ أرسل إلى الناس كافة إلى الناس وإلى الجن أرسل إلى الثقلين ﷻ فدينه باقٍ إلى أن يشاء الله ﷻ رفعه من الأرض حتى لا يعرف الناس من دينهم إلا كلمة الله ﷻ ثم تقوم الساعة على شرار الخلق .

(203) سورة المائدة (3) .
(204) الألباني ، صحيح أبي داود (4252)

يقول الشيخ - رحمه الله تعالى - : " وهذا دينه ، لا خير إلا دَلَّ
الْأُمَّةَ عَلَيْهِ ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا عَنْهُ ، فَأَكْمَلَ اللَّهُ لَهُ الدِّينَ "
فالنبي ﷺ لم يقصر ؛ فالخير كل الخير فيما جاء به النبي ﷺ والشر
كل الشر فيما خالف أمره صلى الله عليه وسلم .

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : (لم يكن نبي قبلي ، إلا كان
حقاً عليه أن يدلَّ أُمَّتَهُ على ما يعلمهُ خيراً لهم ، ويُنذِرَهُمْ ما
يعلمهُ شراً لهم -يعني يخوفهم - شر ما يعلمهُ لَهُمْ) (205) ، وكان
أبو الدرداء وغيره من الصحابة يقولون ما مات النبي ﷺ وما من
طائر يقلب جناحيه إلا وذكر لنا منه علما .

وأيضاً كان الصحابة يقولون إن النبي ﷺ دلنا على خير ما يعلمه
وحذرنا من شر ما يعلمه في آثار عن الصحابة في ذلك .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : " وَلَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ وَلَا
شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا عَنْهُ ، فَأَكْمَلَ اللَّهُ لَهُ الدِّينَ " ؛ هذا من الشيخ -
رحمه الله تعالى - بيانٌ بديع وفيه فائدة عظيمة وردُّ لشبهة وعمل
باطل .

ما هو ؟

هو ردُّ للبدع والضلالات والمحدثات فديننا كامل لسنا بحاجة إلى
زيادة ، أنت يا من تأتي بتلك البدعة وتتقرب بها إلى الله .

ألا تكتفي بما جاء به النبي ﷺ ؟

هل طبقت ما جاء به النبي ﷺ ؟

²⁰⁵ (إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي ، إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يُدَلَّ أُمَّتُهُ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ خَيْرًا لَهُمْ ، وَيُنذِرَهُمْ مَا يَعْلَمُهُ شَرًّا لَهُمْ .
الألباني ، صحيح الجامع (2403) .

وبقي عندك وقتٌ أو بقي عندك فراغٌ للعمل فتحدث وتبتدع بدعة جديدة ؛ إن هذه البدع والمحدثات هي من الشر وهي من الأمور التي حذرنا منها النبي ﷺ فقد كان النبي ﷺ يكثر من قول فإن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى - الطريقة والدين - وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها - كل أمرٍ مخترعٍ جديد - محدثٌ جديد هو من شر الأمور .

قد يقول قائل هذا أمر جديد ولكن فيه خير للناس !

نقول : لا ؛ اسمع إلى ما قال النبي ﷺ (**وشرُّ الأمور مُحدثاتها ، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ**) (206) النبي ﷺ حكم على المحدثات على جميع المحدثات بأنها بدع قد يقول قائل هذه البدعة الناس يحتاجون إليها نقول له اسمع إلى ما قال النبي ﷺ قال : (**وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ**) ، ما في بدعة فيها خير أبدًا لا خير في البدع بل البدع انحراف وضلال عن الصراط المستقيم ، وأنا أقول لك قولًا يا عبد الله وأقول لك قولًا يا أمة الله :

اعلموا جميعًا - بارك الله فيكم - أننا إذا فعلنا وطبقنا ما جاء به النبي ﷺ من خير ؛ - يعني - كان له ﷺ من الأجر مثل أجورنا .

طيب وإذا فعلنا البدعة واشتغلنا بالبدع فإننا :

أولاً : لا نؤجر بل نأثم .

ثانياً : لا يصل للنبي ﷺ أي أجرٍ من هذه البدع .

²⁰⁶ (الألباني ، صحيح الجامع (1353) .

و لذلك يقول ابن القيم الجوزية : (إِنَّ أَهْلَ الْبِدْعِ قَطَّاعُ طَرِيقٍ مِنْ
وَصُولِ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ) . فإذا كنا نحب النبي ﷺ هل
نفعل البدع ؟ هل نفع في البدع ؟

لا ، إذا كنا نحب النبي ﷺ نتبع سنته ونتبع هديه ليصل للنبي ﷺ
جميع أجورنا وجميع الثواب الذي نعمله حين نطبق سنته ﷺ .

لذلك الشيخ - رحمه الله تعالى - قال لنا : " لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةُ
عَلَيْهِ " هناك من يقول هناك - يعني - أمور بدع أو محدثات فيها
خير فيها نفع للأمة ، نقول : لا ، لا نفع في البدع والمحدثات .
" وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَرُهَا مِنْهُ " فإن المحدثات كلها من البدع
والضلالات ، يقول ﷺ : (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ
(207))

لماذا ، لماذا نقول برد البدع كلها ؟ كما سبق..

ثم قال الشيخ : " فَأَكْمَلَ اللَّهُ لَهُ الدِّينَ " لأننا نقول بأن الدين
كامل ، ولذلك الإمام مالك - رحمه الله تعالى - إمام دار الهجرة
ماذا يقول ؟

يقول (من ابتدع بدعة فقد اتهم النبي ﷺ بالخيانة)
بخيانة ماذا ؟

بأنه لم يبلغ كل الدين ، وحاشاه ﷺ من الخيانة ، فقد أكمل جميع
الدين وأخبر به ﷺ ، وإنما ذلك الشيطان وهوى النفس والانحراف
عن الحق .

²⁰⁷ (صحيح مسلم (1718) .

ولذلك عباد الله ويا أمة الله احذروا ! احذروا ! احذروا من البدع ومحدثات الأمور ! والزموا سنة نبيكم ﷺ تفلحوا ، فإن البدع شر وتقود إلى الضلال والانحراف عن الحق .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : **" والخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ ، وَجَمِيعُ مَا يَحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ "**.

يعني هذه هي العبادة ، فإن العبادة اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ولكن هذه العبادة لا تسمى عبادة إلا إذا توفّر فيها شرطان :

الشرط الأول : الإخلاص لله ﷻ من عدم الشرك وعدم الرياء وعدم السمعة وعدم العمل لأجل الدنيا ، إنما العمل لله ﷻ ، تطلب من الله ﷻ الثواب .

والشرط الثاني : المتابعة لسنة النبي ﷺ ، فمن عمل على خلاف سنة النبي ﷻ لا يقبل منه .

ما الدليل ؟

قوله ﷺ : **(مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)** ، و **(مَنْ أَحْدَثَ فِي دِينِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)** .

الدرس السادس عشر

من

شرح الأصول الثلاثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ

يُضِلُّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرُّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أما بعد :

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : **" والخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ "** - أي
دلَّ الأمة عليه - **" التَّوْحِيدُ وَجَمِيعُ مَا يَحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ "**

ما يحبه الله و يرضاه من جاء به ؟

الرسول ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾
208 ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾
209 ﴿

يقول ﷺ (مَن أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَن عَصَانِي فَقَدْ عَصَى
اللَّهُ) (210) .

قال - رحمه الله تعالى - : **" والشرُّ الَّذِي حَنَرَهَا مِنْهُ الشَّرْكُ ،
وجميع ما يكرههُ الله ويأباه "** ، وقد مرَّ معنا بيان ما يتعلق
بالشرك ، فإن الشرك حرَّمه الله ﷻ وتوَّعد أصحابه الذين يموتون
على الكفر أو على الشرك الأكبر بالخلود في النار وعدم المغفرة لهم
، **وجميع ما يكرههُ الله ﷻ لا شك أنه من الشر ، فكل أمر بين
النبي ﷺ أنه من المحرمات وأنه من الأمور التي لا يجوز للمسلم
فعلها فهو شرٌّ عليهم .**

(208) سورة الحشر (7) .

(209) سورة آل عمران (31) .

(210) (الألباني ، أصل صفة صلاة النبي (87/1) .

ولذلك لابد أن تتيقن يا عبد الله ! أن الله ﷻ ورسوله ﷺ إذا حَرَّمَ أمراً فإنما حرمه لما فيه من الضرر الخالص أو الضرر الراجح عليك يا عبد الله ، فلا تظن أن أمراً محرماً لك فيه خير ، بل كل الشر والشر في الأمور المحرمات وأعظم المحرمات الشرك ، ولذلك ينبغي للمسلم أن يعود نفسه على هذا الأمر ، أن يعلم أن الشر في الشرك وأن الشر في الأمور المحرمة .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : **" بعثه الله إلى الناس كافة "** وهذا من خصائصه ﷺ أرسله الله إلى الناس كافة ، إلى من كان في عصره ومن بعدهم إلى أن تقوم الساعة .
هو رسول ﷺ لهم جميعاً ، فلا يأتي أحد يقول أنا لست من أمة محمد والعلماء يقولون أمة محمد قسمان :

أمة دعوة : أي الذين بلغتهم دعوته ﷺ وإن لم يؤمنوا به ، (إِنَّكَ ستأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه) (211)
وأمة إجابة : وهي نحن المسلمون المؤمنون المحسنون على طبقاتنا ، نحن أمة إجابة أي استجبنا لدعوته ﷺ فآمنّا ودخلنا في هذا الدين .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : **" بعثه الله إلى الناس كافة "** أقول وأيضاً بعثه إلى الجن .
قال : **" وافترض الله طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس "** ، قال : **" والدليل قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ وهذا واضح في الدلالة ، قال : " وكمل الله به الدين ، والدليل قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ فهذا من الله ﷻ بيان**

²¹¹ (إِنَّكَ تَأْتِي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ، فإن هم أطاعوا لك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم . صحيح البخاري (1458) .

واضح وإعلامٌ بأن الدين قد اكتمل ، وأن الله ﷻ أتمّه علينا وأنه رضي هذا الدين لهذه الأمة ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ رُدُّ على الجماعات وعلى الأحزاب وعلى كل صاحب دعوة لا توافق دعوة النبي ﷺ هؤلاء يقولون نحن ندعوا الناس في هذا العصر بطريقة جديدة ، لحاجة الناس فنقول لهم الله ﷻ يقول : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .

ما الإسلام ؟

هو سنة النبي ﷺ وهديه وطريقته وما جاء به عن الله ﷻ فما كان يومئذٍ دين فهو اليوم دين ، وما لم يكن يومئذٍ دين فليس اليوم بدين ، فلذلك الشيطان يغوي هؤلاء وإن سمّوا أنفسهم بالدعاة ، وإن سمّوا أنفسهم بأنهم مبلغين عن الله ، فإن كل من لم يسلك الطريق النبوي والهدي النبوي وما كان عليه سلف الأمة في الدعوة إلى الله ؛ فإنه ضل وانحرف.

ولذلك انظروا عباد الله إلى قوله ﷻ في السورة العظيمة التي نقرؤها في كل صلاة ، بل في كل ركعة من كل صلاة ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿ ٢١٢ ﴾ ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي صراط محمد ﷺ وما كان عليه أصحابه الكرام ، ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ غير طريقة اليهود الذين علموا الحق فخالفوه وعملوا بخلافه ، ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ؛ أي النصارى الذين عملوا بأهوائهم ولم يعملوا بعلم فتزهدوا وتقشفوا ، ولكن ضلوا وانحرفوا إذ لم يعملوا بالعلم ، ولذلك قال سفيان : (من ضل من علماء هذه الأمة أشبه اليهود) ؛ لأنه عمل بخلاف ما علم ، وهذه الدعوات التي تعمل بخلاف هدي النبي ﷻ لا شك أنها أشبهت اليهود الذين عملوا بخلاف ما

(212) سورة الفاتحة (6-7) .

علموا وحرّفوا وبدلوا ، ومن ضل من عباد هذه الأمة أشبه
النصارى الذين عبدوا الله على غير علم .
فإذا الشيخ - رحمه الله تعالى - بين هذا الأمر بياناً واضحاً ، إذا الله
ﷺ قال : ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ فاحذروا يا عبد الله
من طريق اليهود ، ومن طريق النصارى فإن النبي ﷺ قد حذرنا من
سلوك طريقهم .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : **والدليل على موته ﷺ قوله تعالى**
: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ، إنك ميتٌ خطابٌ للنبي ﷺ فهذا
من الله إخبارٌ وإعلامٌ له ﷺ ولنا نحن أن محمداً ﷺ بشرٌ لن يخلد في
الأرض سيموت - عليه الصلاة والسلام - وقد مات ودفنه أصحابه
ﷺ .

فالنبي ﷺ يموت فلا يجوز لمسلمٍ يعتقد أن النبي ﷺ حيّاً موجوداً
كما يعتقد أصحاب الموالد أنه يحضر وله الحضرة في تلك الليلة
وأنه يحضر عندهم فلا شك أن هذا كذبٌ وافتراء ، فإن النبي ﷺ
قد مات ودفن في قبره - عليه الصلاة والسلام - وقد بلغ هذا الدين
وأكمّله أكمل بيانه - عليه الصلاة والسلام - ، ﴿ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾
يعني سنموت وسنجازي على أعمالنا ولذلك على العبد وعليك يا
أمة الله أن تتذكرا هذا الأمر ؛ أننا في هذه الحياة لن نخلد فيها لن
نعيش فيها أبداً ، بل سيأتي يومٌ نموت فيه والله أعلم بهذا اليوم ،
فليكن كل واحدٍ منا مستعداً لهذا اليوم وتلك الساعة ، وإذا متنا
فلن نموت وينتهي الأمر ، بل سنبعث ونجازي على أعمالنا ، إن
خيراً فخير وإن شراً فشر .

أسأل الله ﷻ أن يجعلني وإياكم ممّن حسن عمله وأسأله ﷻ أن
يبعدنا عن ساء عمله .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : **والدليل على موته ﷺ قوله تعالى**
: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ

رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ فمعنى قوله تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ أي فيما حصلت فيه المنازعة وفيما حصل فيه الخلاف فيفصل بينكم بحكمه العادل ويجازى كل بعمله وينتصر للمظلوم ويقتص من الظالم فإن الله عَزَّ وَجَلَّ قال كما في الحديث القدسي : (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ، فَلَا تَظَالَمُوا) (213).

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : " والنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ " ؛ يعني لا يموتون فيصيرون ترابا وتنتهي المسألة ، ولكن هناك البعث بعد الموت لما ينفخ إسرافيل عليه السلام نفخة البعث يحيى الناس ويبعثون من قبورهم ، قال : " والدليل قوله تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ ، فقوله تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ ﴾ أي من الأرض فالله عَزَّ وَجَلَّ خلق أبانا آدم من تراب ، ﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ أي في الأرض إذا متنا ندفن في الأرض في القبور ، ﴿ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ ﴾ ، أي من الأرض نخرجكم بعد أن صرتم ترابًا ﴿ نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ يعني مرة أخرى فنبعث من قبورنا ونحيا ليوم الفصل ، قال : " وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ فهذا دليل على البعث بعد الموت قال : " وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ (٣١)

لماذا يقول المصنف هذا الكلام أن بعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالنا ؟ لماذا يقول ؟

يقول هذا الكلام حتى نكون مستعدين لذلك اليوم ي ، قول هذا الكلام حتى لا يظلم بعضنا بعضا ولا يؤذي بعضنا بعضا ، وأن نتقي

(213) صحيح مسلم (2577) .

ظلم الناس ، وأن نتقي معصية الله ﷻ ، وأن نفعل الطاعات من واجباتٍ وأوامر شرعية وأن نبتعد عن المنهيات والمحرمات ؛ لأننا محاسبون ومجزيون على كل أمرٍ نعمله ، يقول الله ﷻ : ﴿مَنْ يَعْمَلْ سَوْءًا يُجْزَ بِهِ﴾ (214) فهذا دليلٌ على أن المرء يحاسب على جميع عمله ، وأيضًا قوله تعالى : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (215) .

يقول الشيخ - رحمه الله تعالى - : **والدليل قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾** كما سبق ، ثم قال : **" ومن كذب بالبعث كفر "** لأن البعث يكون في اليوم الآخر ، واليوم الآخر ركنٌ من أركان الإيمان فمن كفر وكذب بالبعث وقال إننا لن نبعث بعد الموت فهذا كافر.

ما الدليل؟

قوله تعالى : ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (216) ، فمن أنكر البعث وكذب به فإنه مكذبٌ بالقرآن ومكذب بسنة النبي ﷺ ، وأنكر أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة .
فهؤلاء الكفار كفروا بتكذيبهم بالبعث والله ﷻ ذكر لنا في مواضع في القرآن أن الكفار أنكروا البعث ، ولذلك ما يعرف اليوم بحزب البعث قد أفتى الشيخ بن باز - رحمة الله عليه - وغيره من أهل العلم بأنهم كفار .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : **" وَلَرَّسَلَّ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ "** ؛ مبشرين بالخير والثواب ومنذرين بالتخويف والتهديد ، فالله ﷻ أرسل الرسل - صلوات ربي وسلامه عليهم جميعا - أرسلهم مبشرين ومنذرين ؛ مبشرين بالخير والثواب لمن

(214) سورة النساء (123) .

(215) سورة الزلزلة [8 - 9] .

(216) سورة التغابن (7) .

طاع الله وبالجنة لمن وحد الله ﷻ ، ومنذرين بالنار لمن عصاه
ومن كفر أو أشرك به ﷻ .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : **"والدليل قوله تعالى : ﴿رُسُلًا
مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾**
، فالله ﷻ بإرسال الرسل قد قطع العذر عن بلغته دعوة الرسول
ﷻ ، أما من لم تبلغه فإن الله ﷻ يقول : **﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى
نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (217)** وهؤلاء من أهل الفترة الذين يُمتحنون يوم
القيامة ؛ أعني الذين لم تبلغهم دعوة النبي ﷺ .

قال - رحمه الله - : **" وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ "** أي أول الرسل نوح عليه السلام لما
حدث الشرك في قومه أرسله الله ﷻ ليبين لقومه أن هذا شرك
فينذرهم من عقوبة الشرك ، ويبين لهم التوحيد قال : **"وَأَخْرَهُمْ
مُحَمَّدٌ ﷺ"**

ما الدليل ؟

قال : **" والدليل على أن أولهم نوحٌ - قوله تعالى - : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾** ، قال : **" وكل أمة
بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ - عليهما الصلاةُ
والسَّلامُ - " أي على نوحٍ ومحمد ، وجميع الأنبياء والرسل -
عليهم الصلاة والسلام - ، قال : " يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ
وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ ؛ والدليل قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ
بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ،
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ ﴿ أَي أرسلنا في كل أمة ، في كل قوم رسولاً
رسولاً إليهم .**

**ماذا يقولون لهم ؟ وإلى ماذا يدعونهم ؟ إلى عبادة الله فقط ؟
يعبدون الله فقط ؟**

لا ، واجتنبوا الطاغوت ، ابتعدوا عن الأصنام والآلهة والكفر ،
فلذلك - كما سبق - أن الأمر بالعبادة وبالتوحيد مستلزمٌ أيضًا

للنهي عن الشرك ، و - يعني - لابد أيضًا من اجتناب الشرك ،
والبراءة منه
ولا إله إلا الله : فيها إقرارٌ للألوهية لله ، وكفرٌ بالألوهية بغير الله
ﷻ .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : **وافترض الله على جميع العباد
الكُفْرَ بالطَّاعُوتِ ، والإيمانَ بالله.**

" **افترض** " : بمعنى أوجب الله ﷻ على جميع العباد ، على جميع
المسلمين ، وعلى جميع الناس ، أوجب عليهم الله ﷻ أن يكفروا
بالطاغوت والإيمان به ﷻ ، فليس فقط أن يؤمنوا بالله ، ويعتبروا
هذه الطواغيت حق ، وليست بكفر ولا مانع منها ؛ هذا خطأ .

ما الطاغوت ؟

قال الشيخ - رحمه الله - مبيِّنًا معنى الطاغوت :
" **قال ابن القيم - رحمه الله - : " الطاغوتُ ما تجاوزَ به العبدُ
حدَّهُ من مَعْبُودٍ أو مَتَّبِعٍ أو مُطَاعٍ " ، فكل ما تجاوز به العبد
حدّه من معبود مع الله ﷻ بأي أنواع العبادة ، أو متَّبِعٍ ؛ يعني :
مثل الذين يتبعون علماء السوء ، الذين يدعون إلى الكفر والضلال
والشرك وكذلك الكهنة والسحرة ونحو ذلك ، أو مطاع ؛ يعني :
يطاع في تحليل ما حرم الله ، أو تحريم ما أحل الله ﷻ ؛ وهذه هي
الطواغيت الثلاث التي دلت النصوص الشرعية على أن ما جاوز
فيه العبد حدّه في معبود أو متَّبِعٍ أو مطاع هو طاغوت .
ثم قال : **" والطَّواغيتُ كثيرون "** ؛ يعني ليس واحد أو اثنان أو
ثلاث ، كل من اتصف بهذه الصفات التي سبق ذكرها فإنه يوصف
بهذا الأمر .**

قال : **" والطَّواغيتُ كثيرون ورؤوسُهُم خمسة : إبليسُ لعنه الله
، ومن عُبِدَ وهوراض ، ومن دَعَا النَّاسَ إلى عِبَادَةِ نفسه ، ومن
ادَّعى شيئًا من علم الغيب ، ومن حَكَمَ بغير ما أنزل الله " ؛ هذه
هي الطواغيت الخمسة أو رؤوس الطواغيت .**

ومعنى كونها رؤوس بمعنى أبرزها وأظهرها و- يعني - مرجعها إلى هذه الخمسة .

فإبليس وكلنا يعلم حاله وطاغوتيته وشره ، وأن الله ﷻ لعنه وطرده من الجنة وتوعده بالعقاب الأليم يوم القيامة فهو ملعون رجيم .

ومن عبد وهو راضٍ ؛ يعني : الشخص الذي يعبد الناس وهو راضٍ بذلك ، بمعنى لا ينكر عليهم ، ولا يتبرأ منهم بل يقرهم ، فأقراره لهم يجعله من الطواغيت ، ولذلك الأنبياء والرسل والملائكة يتبرؤون من هؤلاء .

والثالث من الطواغيت : من دعا الناس إلى عبادة نفسه . والفرق بين هذا والذي قبله ، أن الذي قبله لا يدعوا إلى عبادة نفسه ولكن الناس من تعظيمهم له يكسبونه صفات الربوبية فيصرفون له أنواعاً من العبادات وهو راضٍ فرضاه سبب في كونه طاغوتاً ، وأما الثالث هذا فهو يدعو الناس إلى عبادة نفسه كما فعل فرعون حين دعا الناس إلى عبادة نفسه حين قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ (218) وقال ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي ﴾ (219)

وأيضاً من الطواغيت وهو الرابع : من ادعى شيئاً من علم الغيب فإن علم الغيب خاصٌ بالله ﷻ ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ (220) ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (221) فالله ﷻ هو عالم الغيب والشهادة فمن ادعى علم الغيب فلا شك أنه من الطواغيت .

والخامس من الطواغيت : من حكم بغير ما أنزل الله ؛ من حكم القوانين الوضعية أو الجاهلية التي ليست من شرع الله فهو طاغوت كما قال الله ﷻ ﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ

(218) سورة النازعات (12) .

(219) سورة القصص (38) .

(220) سورة الأنعام (59) .

(15) سورة النمل (65) .

هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٢٢٢﴾ ولكن هنا لا بد أن نبين أن العلماء بينوا أن الحكم بغير ما أنزل الله على قسمين :

القسم الأول : كفرٌ مخرج من الملة .
الأول : من اعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله أفضل من حكم الله فهذا كفر .
والصورة الثانية : من اعتقد أن حكم غير ما أنزل الله مساوٍ لحكم الله هذا كفر ، من اعتقد أن حكم غير ما أنزل الله جائزٌ مثل الحكم بما أنزل الله فهذا أيضًا كفر هذا القسم الأول .

أما القسم الثاني : من حكم بغير ما أنزل الله وهو مقرٌّ بأن حكم الله هو الواجب وأنه آثم وأن حكم الله أفضل فهذا كفرٌ دون كفر لا يخرج من الملة كما قال ذلك ابن عباس - رضي الله عنهما - وعن جميع صحابة رسول الله ﷺ .
فالشيخ - رحمه الله تعالى - حين ذكر هذا الطاغوت الخامس وهو من حكم بغير ما أنزل الله يعني معتقدًا أن حكم غير ما أنزل الله أفضل أو مساوٍ أو جائز .

قال : والدليلُ قوله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ ، فالله ﷻ بين أنه **﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾** من أراد أن يسلم فليسلم ومن أراد أن يكفر فليكفر ، فإن أسلم فلنفسه وإن كفر فعليها ، ولكن من كفر فإنه يدعى إلى الإسلام فإن أبي فالحزبية فإن أبي فالقتال مع ولي الأمر ، ومن اختار الكفر فكفره على نفسه يضر نفسه ، ولذلك الله ﷻ قال **﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾** الدين ظاهر ، الحق واضح فلا يُكره الناس على الدخول في هذا الدين .
ونحن نرى بحمد الله أن كثيرًا من الكفار ومن أهل الكتاب يسلموا ويدخلون في هذا الدين ، وهذا من الأدلة على صدق نبوة نبينا

(222) سورة المائدة (44) .

محمد ﷺ وأن رسالته من عند الله ﷻ ، ولكن ليس في هذه الآية ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ أن المسلم له أن يرتد وله أن يختار النصرانية كما يقول أهل البدع والضلال ، ومنهم طارق السويدان الذي يقول أن المسلم له الخيار أن يكفر .
نقول : لا .

إذا أسلم ثم كفر فهو مرتد فيقام عليه حكم الردة ولكن إن اختار الكفر قبل أن يسلم فإننا لا نكرهه على الإسلام ، وأما إن دخل في الإسلام فإن حديث النبي ﷺ واضح جدًا (**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**) (223) .

فإذاً ليس المراد بالآية لا إكراه في الدين أن من كان مسلمًا له الخيار بالكفر هذا باطل من القول .
قال : ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾ أي الحق من الضلال والإسلام من الكفر ، ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى** ﴾ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى أي استمسك بالتوحيد .

متى ؟

يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله توحيد بالله وكفر بالطاغوت .
قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : " **وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** "

ما هو هذا المشار إليه ؟

الإيمان بالله والكفر بالطاغوت هو معنى ؛ لا إله إلا الله .
لا إله : كفر بالطاغوت .
إلا الله : إيمان بالله .
قال : " **وفي الحديث "رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ** " ومعنى الحديث ؛ أن الإسلام هو رأس الدين وهو أعلاه ، فالرسول ﷺ يقول : رأس الأمر

(223) الألباني ، صحيح النسائي (4076) .

الإسلام ؛ والإسلام كما مر معنا يقع بالشهادتين وبقية الأركان لما ذكر الشيخ - رحمه الله تعالى - أركان الإسلام ، ومر معنا أن الإسلام هو الاستسلام لله عز وجل بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص والبراءة من الشرك وأهله ؛ فهذا هو الإسلام .

قال : **" وعموده الصلاة "** ؛ أي أن الصلاة لها مكانتها عمود هذا الدين الصلاة ولها مكانتها ، والصلوات الخمس مفروضات واجبات على المسلم أن لا يخل بها ، يقول النبي ﷺ (**بين الرجل والشرك أو الكفر ترك الصلاة**) (224) ، وقال ﷺ (**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر**) (225) فمن أنكر وجوب الصلاة فقد كفر ، إن كان مثله لا يجهل وجوبها ، وأما من ترك الصلاة تهاوئاً وتكاسلاً فلاهل السنة قولان : منهم من يكفره ومنهم من لا يحكم بكفره .

عباد الله إن مسألة يقال فيها كفرٌ وعدم كفر ينبغي للمرء أن يحرص كل الحرص أن يجتنب مثل هذه المسائل فيؤدي الصلاة في أوقاتها وبأركانها وبشروطها وواجباتها ويحافظ عليهن ولا يتكاسل عن أداء الصلاة ولو قال بعض أهل العلم بأنه لا يكفر تاركها تهاوئاً وكسلاً ، فإن الواجب على المسلم أن يحافظ على هذه الصلوات فإن النبي ﷺ قد أخبر أن أول ما يحاسب عليه المرء من عمله الصلاة ؛ فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله وإن فسدت قيل له هل من تطوع ؟ إلى آخره أو كما قال عليه - الصلاة والسلام - .

فإذا هنا الحديث يقول وعموده الصلاة .

قال : (**وذروة سنامه** - يعني أعلاه وأرفعه والسنام من البعير أعلاه فذروة سنام هذا الدين - **الجهاد في سبيل الله**) .

(224) بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة .

ابن باز ، حديث المساء (431) .

(225) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى (613/7) .

وقد مر معنا بالأمس القريب ما هو الجهاد الذي يكون في سبيل الله وأن ليس كل من ادعى أنه يجاهد في سبيل الله أنه مجاهد في سبيل الله .

وبيّنا أن داعش والنصرة وتنظيم القاعدة وأنصار الشريعة وغيرهم من الجماعات كالسلفية الجهادية المسلحة وغيرهم من الجماعات ليسوا من الإسلام في شيء ، ليسوا من الجهاد الشرعي في شيء ، بل هم في سبيل الشيطان المتفرقة عما جاء به النبي ﷺ ، فالتكفير والتفجير والقتل للأبرياء الإسلام منه بريء .
والشيخ - رحمه الله تعالى - ختم بهذا الحديث للدلالة على أهمية الإسلام وأنه رأس هذا الدين ، وللدلالة على أهمية الصلاة بأنها عمود هذا الدين ، وبالدلالة على أهمية الجهاد في سبيل الله وأنه ذروة سنامه .

وأيضًا إذا ذكر الشيخ الجهاد في سبيل الله فينبغي أيضًا أن نعلم أمرًا مهمًا وهو ؛ أن الجهاد في سبيل الله ليس فقط بقتال الأعداء هناك أيضًا جهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد العدو الخارجي ، فينبغي أن نحرص على جهاد النفس بإلزامها بطاعة الله ﷻ وإبعادها عما يغضب الله ﷻ ويسخطه فإن هذا من الاستعداد الذي أمرنا الله ﷻ به ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ (٦٠) 226 فإن الجهاد بالسلاح يحتاج قبله إلى جهاد النفس وإلى تهذيبها على طاعة الله ﷻ وتربيتها على ذلك وإبعادها عن الشرك والكفر والمعاصي والذنوب إذ كيف نقاتل العدو الخارجي ولم نتغلب على العدو الداخلي .

وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله تعالى - في " زاد المعاد " أنواع الجهاد الأربع ، فإذا بعض الناس لا يفهم من الجهاد إلا قتال العدو لذا تجد هؤلاء لم يجاهدوا أنفسهم على السنة وتجاهلوا أنفسهم في الضلالات وفي المنكرات فهؤلاء لم يفلحوا بجهاد أنفسهم فكيف

(226) سورة الأنفال (60) .

يفلحوا بجهاد غيرهم؟! وهؤلاء نراهم على البدع والضلالات
وعلى الأمور المخالفة لسنة النبي ﷺ .
قال الشيخ - رحمه الله تعالى - " **والله أعلم وصلّ اللهم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم** " ختم رسالته هذه وهي رسالة
عظيمة مفيدة مهمة يحتاج إليها كل مسلم ومسلمة بالصلاة على
النبي ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .

أسأل الله ﷻ أن ينفعنا بما سمعنا وأن يكون حجةً لنا لا حجةً
علينا وأسأله ﷻ أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح ، وإن شاء
الله ﷻ في اللقاء القادم ستكون هناك مراجعة كاملة للأصول
الثلاثة مع ذكر بعض الأمور المتعلقة بهذه الرسالة .

أسأل الله ﷻ لي ولكم الثبات على الحق وأن يجعلنا من أهل
التوحيد والسنة الداعين إلى ذلك والذابين عنهما .

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
والحمد لله رب العالمين .

الدرس السابع عشر

من

شرح الأصول الثلاثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ
يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرَّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلَّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أما بعد :

فمن فضل الله ﷻ ومنتته علينا أن منّ علينا أن انتهينا من هذا
الكتاب ، ومن هذه الرسالة العظيمة " **الأصول الثلاثة وأدلتها** "
لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - ، وفي
هذه الليلة نتذكر إن شاء الله سويًا هذه الأصول الثلاثة من أولها
إلى آخرها على وجه المراجعة ، والمذاكرة ، والتثبيت للحفظ ،
والتأكيد للمعاني .

وأيضًا إن شاء الله في نهاية هذا اللقاء سأُملّي عليكم الإسناد
المتصل إلى شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله
تعالى - برواية هذه الرسالة .

كما إن شاء الله سنحدد الرسالة الأخرى التي سنتدارسها في اللقاء القادم بإذن الله تعالى ، وإني لأحمد الله ﷻ على توفيقه لنا جميعاً في هذه المدارس ، وفي هذه اللقاءات التي نتذاكر فيها العلم الشرعي على نهج واضح ، نهج السلف الصالح - رضوان الله عليهم أجمعين - ، فإن المرء حينما يتذاكر مع إخوانه ، وينشر العلم بين المسلمين ، وحين يحضر المرء حلق العلم ، لاشك بإذن الله تعالى أنه في خيرٍ عظيم ، وفي نعمةٍ من الله عظيمة ، عليه أن يشكر الله ﷻ أن يسر له مثل هذه الأمور ، فالشكر لله ﷻ على تيسير نشر العلم ومدارسه ومذاكرته مع إخواننا وأخواتنا في مشارق الأرض ومغاربها .

ونحن إذ نذكرُ إخواننا وأخواتنا فليعلم الجميع : أننا في هذا المعهد الرجال مفصولون تماماً عن النساء ، فالنساء لهم مجموعاتهم الخاصة بهم .

والرجال لهم مجموعاتهم الخاصة بهم ، فليس بين الرجال والنساء اختلاط بفضل الله - تعالى - ، ولا نرضى بذلك أبداً .

بل من قواعد وأسس هذا المعهد فصل الرجال عن النساء امتثالاً لأمر الله ﷻ ، وإرغاماً للشيطان ، وتطبيقاً لسنة النبي ﷺ ، فالحمد لله على توفيقه في الأقوال والأفعال وفي كل الأمور .

مرّ معنا - بارك الله فيكم - أن شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى -

ذكر لنا أنه : يجب علينا أن نتعلم أربع مسائل :

- الأولى : العلم ، وبيّن العلم أنه : معرفة الله ، ومعرفة نبيه ﷺ ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة .

- والثانية : العمل به .

- والثالثة : الدعوة إليه .

- والرابعة : الصبر على الأذى فيه بعد الدعوة إليه .

ثم أيضًا بيّن - رحمه الله تعالى - أنه يجب علينا أن نتعلم ثلاث مسائل :

- الأولى : أن الله خلقنا ، ورزقنا ، ولم يتركنا هملاً ، بل أرسل إلينا رسولاً ، من أطاعه دخل الجنة ، ومن عصاه دخل النار .

- والثانية : أن الله ﷻ لا يرضى أن يُشرك به أحد في عبادته ، لاملئ مقرب ولا نبي مرسل .

- والثالثة : أن من أطاع الله ورسوله ﷺ ووحده الله ، لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب .

ثم بيّن - رحمه الله تعالى - ما هي الحنيفية التي هي ملة أبينا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ، فبيّن أن الحنيفية هي أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين ، ويبيّن - رحمه الله تعالى - أن الله أمر بذلك جميع الناس ، وأنه لذلك خلقهم .

ثم بيّن - رحمه الله تعالى - أن أعظم ما أمر الله به التوحيد ؛ وهو : إفراد الله بالعبادة .

وأعظم ما نهى عنه الشرك ؛ وهو : دعوة غيره معه .

ثم بيّن الأصول الثلاثة وهي : معرفة العبدربه ، ومعرفة العبد دينه ، ومعرفة العبد نبيه محمداً ﷺ .

ثم بيّن لنا عن طريق السؤال والجواب :

- من هو الله ؟

- من هو الرب ؟

وأنه ﷻ هو الله الذي ربنا وربى جميع العالمين بنعمه ، وأنه هو معبودي ليس لي معبودٌ سواه .

ثم بيّن كيف يعرف العبد ربه ؟
وبيّن أن ذلك بآياته ومخلوقاته .

وأن الرب ﷻ هو المعبود ، وأن الخالق لهذه الآيات ولهذه المخلوقات هو المستحق للعبادة .

ثم بيّن أنواع العبادة ؛ وأن منها الإسلام والإيمان والإحسان ، ومنها والدعاء ، وكل هذه الأنواع من العبادات لا يُصرف منها شيءٌ لغير الله ، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشركٌ كافر .

ثم بيّن أدلة هذه العبادات من ذبحٍ ونذرٍ وخوفٍ واستغاثة .

وبيّن - رحمه الله تعالى - بعد ذلك الأصل الثاني : وهو معرفة دين الإسلام بالأدلة .

فبيّن أن الإسلام هو : الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله .

وبيّن أن الدين ثلاثة مراتب : الإسلام والإيمان والإحسان.

ثم بيّن أن للإسلام أركانٌ خمسة وهي : " شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت الحرام " .

ويبين أن معنى " لا إله إلا الله " أي لا معبود بحق إلا الله ، ف (لا إله) : نافياً لجميع ما يُعبد من دون الله ، و (إلا الله) : مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه ﷻ .

ثم بين الإيمان وأنه شعب ، بضْع وسبعون شعبة ، أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان .

ويبين أركان الإيمان الستة وهي : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره .

ثم بين الإحسان وأنه ركنٌ واحد ، كما جاء في الحديث : (أن تعبد الله كأنك تراه) ، مراقباً له ، خاشعاً له ﷻ (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) .

ثم بين - رحمه الله تعالى - الأصل الثالث وهو : معرفة نبينا محمد ﷺ ونسبه ، وأنه هاشمي قرشي عربي من ذرية إسماعيل بن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ، مات - عليه الصلاة والسلام - وله من العمر ثلاث وستون سنة ، أربعون قبل النبوة ، وثلاث وعشرون نبياً ورسولاً ، وأنه نبيء باقراً ، وأُرسِل بالمدثر ، نبيء : أي أُخبر بأنه رسول بقوله سبحانه : ﴿ اقْرَأْ ﴾ ، ثم أُخبر - عليه الصلاة والسلام - وأُمر بإخبار هذه الرسالة بالمدثر ، وفيها ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ ٢ ﴿ ﴾) ، بعثه الله ﷻ ليقوم التوحيد

(227) سورة المدثر (2) .

وينذر من الشرك ، ويعلم الناس ما يصلحهم في دينهم ودنياهم ، -
فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . -

ثم بيّن أن النبي ﷺ **دعا في مكة ثلاثة عشر سنة** ، عشرٌ دعا فيها
إلى التوحيد ، وبعد العشر عُرج به إلى السماء وفرضت الصلوات
الخمسة ، **وصلى في مكة ثلاث سنين** ، ثم أمر بالهجرة إلى المدينة
النبوية .

• **وهنا ننبه :** على لفظة يستعملها بعض الناس ، وهي أن بعضهم
قد يقول : (المدينة المنورة) ، وهذا اصطلاح صوفي ! وإنما
اصطلاح أهل السنة (المدينة النبوية) أو (مدينة النبي ﷺ) ، أما
المدينة المنورة فهم يزعمون أن المدينة بها أنوار لقبر النبي ﷺ ،
فلاشك أن هذا اصطلاحٌ صوفي على المسلم أن يبتعد عنه .

ثم بيّن - رحمه الله تعالى - **أن الهجرة واجبة ، وهي الانتقال من
بلد الكفر إلى بلد الإسلام** ؛ ومرّر معنا فيما سبق أن الإقامة في بلاد
الكفر بنية التعليم أو التجارة أو قضاء مصالح لا مانع منها ولو
طالت ، بشرطها المعتبر ؛ من حفظ الدين ، وإقامة الشعائر ،
والبعد عن الفتن ، وأن الإقامة الأبدية بمعنى عدم الانتقال إلى بلاد
المسلمين ؛ هذه هي التي لا تجوز .

ثم بيّن - رحمه الله تعالى - أن النبي ﷺ لما استقر بالمدينة أمر
ببقية شرائع الإسلام ، **ثم أخذ على هذا عشر سنين إلى أن مات ﷺ**
، وأن دينه باقٍ ، وأن ما من خيرٍ إلا ودلّ أمته عليه ، وما من شرٍ
إلا وحذر أمته منها ، وأن الخير الذي دلّ عليه التوحيد ، وجميع
ما يحبه الله ويرضاه ، والشر الذي حذرهما منه الشرك ، وجميع
ما يكرهه الله ويأباه ، وأن هذا الدين كامل ليس بحاجةٍ إلى زيادة

ولا إلى نقصان ، فليس بحاجة إلى أن نقول هذا ليس من الشرع ،
وليس بحاجة إلى أن نقول هذا من الشرع .

فالدين دين الله ﷻ أرسل به نبينا محمداً ﷺ وقد بلغنا جميع ما
أمره الله به ، ولم يُقصر في شيء ﷻ .

ثم بين أن الناس إذا ماتوا يُبعثون ، وأن بعد البعث حسابٌ وجزاء ،
وأن من كذب بالبعث فقد كفر ، فعلى الناس جميعاً أن يعلموا هذا
الأمر ، أن يعلموا أن هناك جزاء ، فلا يفتتنوا بالدنيا ولا بزخرفها ،
ولا مانع أن يستمتع المسلم بالحياة الدنيا بما أحله الله ، ولكن
الممنوع أن يغفل عن الآخرة ، وأن يشتغل بالدنيا ، وأن ينسى شرع
الله ، فيعيش في الدنيا كأنه لا يموت أبداً ، فيظلم هذا ، ويأخذ مال
هذا ، ويؤذي هذا ، فلا شك أن هذه أفعال من لا يخاف الله ﷻ
ومن لا يعدُّ ليوم الحساب موقفه ، فالمسلم عليه أن يتذكر
الموقف في ذاك اليوم ، وأهوال ذاك اليوم ، البعث بعد الموت ،
البعث من القبور ، وأرض المحشر ، ويُضرب الصراط على جهنم ،
بل أهوال القبور يا لها من أهوال !

على المسلم أن يتذكر هذا الأمر ، أنه يُجرّد من ثيابه ، ويُحمل
فيوضع في هذا القبر ، ويلقى حينها الملكين .

فعلى المسلم أن يتدبر هذه الأمور ، نعم لا مانع من الاستمتاع
بالدنيا بما أحله الله ﷻ مع الإتيان بما أمر الله ﷻ .

ولكن للأسف الشديد قد نجد من بعض المسلمين من الاعتراض
على شرع الله ﷻ فيرفض الحجاب ، وينكره على زوجته أو على
بناته وأخواته ووالله كم جاءت الأسئلة تسأل بعض النساء : زوجي

يرغمني ويغصبني على خلع الحجاب ! والأخرى بنتٌ تشتكي من أبيها : أنه يطردها ويتهدها بالطرد لكونها تتحجب !

فوالله هذا من الأمور التي تُحزن القلب وتُدمي والله .

فعلى المسلم أن يطبق شرع الله ﷻ وأن يحمد الله أن وفق لنساءٍ صالحاتٍ يردن شرع الله ﷻ ، وهو هو في نفسه عليه أن يراقب الله في أفعاله .

- إلى متى ستعيش ؟

- ستموت وتدخل القبر ، وتأتي يوم القيامة وتُسئل عما تفعل مع أبناءك وبناتك من شر ، وتُسئل عما تفعل مع زوجاتك من شر ، وتُسئلي أنت يا أمة الله إن خالفتي شرع الله ﷻ فأعدي لذلك اليوم ولذلك الموقف أعدي له جوابًا .
أسأل الله ﷻ أن يحفظني وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

ثم بيّن - رحمه الله تعالى - أن الرسول ﷺ أرسله الله إلى الإنس والجن مبشراً ومنذراً ، وأن أول الرسل نوح - عليه الصلاة والسلام- ، وأن آخرهم محمد ﷺ فلا نبي بعده .

وأن الله ﷻ أرسل كل رسولٍ إلى قومه يأمرهم بعبادة الله وحده ، وينهاهم عن عبادة الطاغوت .

ثم بيّن أن الله افترض علينا أن نكفر بالطاغوت ، وأن نؤمن به ﷻ .

وبيّن أن الطاغوت : ما تجاوز به العبد حده من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاع ، وأن الطواغيت كثيرة ، ورؤوسهم خمسة ، أولهم :

إبليس ، ومن عُبِدَ وهو راضٍ - هذا الثاني - ، والثالث : من دعا
الناس إلى عبادة نفسه ، والرابع : من ادعى شيئاً من علم الغيب
، والخامس : من حكم بغير ما أنزل الله .

وبيّنا تفاصيل هذه المسائل .

ثم بيّن - رحمه الله تعالى - أن رأس الأمر كما في الحديث الإسلام
، وأن عموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله .

وبهذا نكون قد انتهينا من مراجعة هذه الأصول الثلاثة ، وهي
أصول كما سبق معنا أصول نافعة ، ولا مانع أن أذكر بعض الفوائد
والقواعد من هذه الأصول الثلاثة باختصار :

فمن القواعد :

- أنه لا بد من العلم قبل القول والعمل ، وأن العمل هو ثمرة
العلم ، فعلمٌ بلا عمل وبالّ على صاحبه .
- وأن الدعوة إلى الله ﷻ بعد العلم والعمل لابد أن يوطن المرء
نفسه على الصبر على الأذى .

ثم أيضاً ومن القواعد : معرفة المسائل الثلاثة ، فيما تتعلق
بتوحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، ومسألة الولاء والبراء .

ومن الفوائد : أن الحنيفية هي أن تعبد الله وحده مخلصاً له
الدين .

ومن الفوائد : أن الله أمر جميع الناس ، أمرهم بذلك ، وأن أعظم
ما أمر الله به التوحيد ، وأعظم ما نهى عنه الشرك ، والتوحيد هو
إفراد الله بالعبادة ، والشرك هو دعوة غيره معه .

والأصول الثلاثة هي : معرفة العبد ربه ، ومعرفة العبد دينه ،
ومعرفة العبد نبيه محمدًا ﷺ .

ومن الفوائد : أن الدليل هو الحجة والبرهان في المسائل ولو كانت
المسائل ظاهرة ، فلا بد من الدليل .

ومن الفوائد : التي ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -
رحمه الله تعالى - : أن الله ﷻ هو الخالق الرازق ، وأنه عرّفنا
بنفسه بالآيات والمخلوقات ، وأنه هو المستحق للعبادة .

ومن الفوائد : أن العبادات متنوعة ، وأن جميع العبادات لا
تُصرف إلا لله ﷻ .

ومن الفوائد : التي ذكرها الشيخ - رحمه الله تعالى - : أن معنى لا
إله إلا الله : **لا معبود بحقٍ إلا الله ، (لا إله)** نافية ، و **(إلا الله)**
مثبتة للعبادة لله ﷻ .

ومن الفوائد : أن الأدلة تتنوع من الكتاب والسنة ، وأن المسلم
يتفقه في ذلك ، ولا تمر عليه الآيات والأحاديث وهو غافلٌ عنها .
فالشيخ - رحمه الله تعالى - كان يستنبط الدقائق من هذه الأدلة .

ومن الفوائد : أن الإيمان شُعَب ، أعلاها قول لا إله إلا الله ،
وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبةٌ من الإيمان .

ومن الفوائد : أن العمل جزءٌ من الإيمان .

وأيضًا من الفوائد من هذه الرسالة : محبة النبي ﷺ ، محبته لله
وفي الله ، وأن محبة الرسول ﷺ لذاته هي محبةٌ شركية لا تجوز .

وأن محبة النبي ﷺ مع الله أيضًا محبةً شركية لا تجوز !
فالنبي ﷺ نحبه لأن الله أخرجنا به من الظلمات إلى النور ، وأنه
أنار لنا الطريق بسنته وشرعه - عليه الصلاة والسلام - .

وأيضًا من الفوائد : معرفة وجوب الهجرة ، وعدم جواز الإقامة في
بلاد الشرك بنية الإقامة الأبدية .

ومن الفوائد : الاطلاع على شرعه - عليه الصلاة والسلام - ،
وكيف أنه قرر التوحيد أولًا ، ثم بعد ذلك قرر الأحكام الشرعية
والتوحيد أيضًا ، فشرعه - عليه الصلاة والسلام - من أوله إلى
آخره كله مبني على التوحيد .

ومن الفوائد : أن الدين كامل ، ليس بحاجة إلى نقص ولا إلى زيادة
، فالزيادة بدعة وضلالة ، والنقص انحراف عن الحق وروغانٌ
وزيغانٌ عنه .

وأيضًا من الفوائد : أننا نموت ، وأننا نبعث ونحاسب ، وأن إنكار
البعث والتكذيب به كفرٌ مخرجٌ من الملة .

ومن الفوائد : أن الله ﷻ أرسل جميع المرسلين بالتوحيد ،
فالتوحيد مهم وعظيم ، والشرك خطيرٌ وضلالٌ مبين ، فعلى المرء
أن يعود نفسه على هذا الأمر .

ومن الفوائد : الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ، هو - يعني - هو
كما قال الله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ
وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (٣٦) ﴿ ٢٢٨ ﴾ وأيضًا العروة الوثقى

وهي : التوحيد ؛ تحصل بالإيمان بالله وبالكفر بالطاغوت كما مرّ معنا .

من الفوائد أيضًا : الطاغوت ما هو ؟ كل ما جاوز العبد حده من

معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاع ، ويّين الطواغيت الخمسة وهي :
الشیطان ، ومن عبّد وهو راضٍ ، ومن دعا إلى عبادة نفسه ، ومن ادعى علم الغيب ، ومن حكم بغير ما أنزل الله وهو معتقّد جوازه ، أو أنه أفضل ، أو أنه مساوٍ لحكم الله .

ثم أن الإسلام رأس الأمر ، وأن الصلاة عمود هذا الدين ، وأن الجهاد ذروة سنامه .

إذا هذه جملة من الفوائد والقواعد التي ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - .

- وأما إسنادي إلى هذه الرسالة " الأصول الثلاثة " :
فإني أروي هذه الرسالة :

- عن الشيخ : محمد السبيل إمام وخطيب المسجد الحرام -
رحمة الله عليه - .
- وعن الشيخ : عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل رئيس الهيئة
الدائمة لمجلس القضاء الأعلى سابقًا - رحمة الله عليه - .
- وعن الشيخ : المحدث العلامة محمد بن عبد الله الصومالي -
رحمة الله عليه - .
- وعن شيخنا العلامة : يحيى بن عثمان المدرس - حفظه الله
تعالى - .

فهؤلاء الأربعة جميعهم يروون عن عبد الحق الهاشمي ، قال :
أخبرنا أحمد بن عبد الله البغدادي ، عن عبد الرحمن بن حسن بن
محمد بن عبد الوهاب ، عن جده شيخ الإسلام محمد بن عبد
الوهاب النجدي بهذه الرسالة .

فهذا إسنادٌ متصلٌ لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -
رحمه الله تعالى - .

وأيضًا أروي هذه الرسالة "رسالة الأصول الثلاثة " :

- عن شيخنا : محمد بن أحمد بن سعيد النجدي ، قال : أخبرنا
سعد بن محمد بن عتيق ، قال : أخبرني أحمد بن إبراهيم بن
عيسى ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، عن
جده محمد بن عبد الوهاب بهذه الرسالة ، فهذا أيضًا إسنادٌ
متصل فيه مشايخ كلهم حنابلة من المشايخ المشهورين
المعروفين .

فبهذه الأسانيد أروي هذه الرسالة ، وقد أجزتكم جميعًا بها أن
ترووها عني .

أسأل الله ﷻ أن ينفعني وإياكم بما في هذه الرسالة من خيرٍ وبركةٍ
وأصولٍ مهمة في هذا الدين .

وستكون إن شاء الله تعالى مدارستنا في اللقاء القادم لرسالة "
الأصول الستة " لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه

الله تعالى - ، وهي رسالة مهمة وعظيمة ، وإن شاء الله ﷻ يوفقنا
ربنا ﷻ ويسددنا لمدارسها ومذاكرتها فيما بيننا .

أسأل الله ﷻ أن يعينني وإياكم على هذا الأمر ، وأكتفي بهذا المقدار
لهذه الليلة

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فريق صيانة السلفي معهد الميراث النبوي

